



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بیتھی اور انصاف کیفیت کیلئے



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جواهر البلاغه (متن درسی)

کاتب:

احمد هاشمی

نشرت فی الطباعة:

حوزه علمیه قم - مرکز مدیریت

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

٥	الفهرس
١٨	جواهرالبلاغه (متن درسى)
١٨	اشاره
١٩	اشاره
٢١	الفهرس
٣٢	مقدمه الناشر
٣٤	مقدمه المؤلف
٣٦	تمهيد
٣٨	مقدمه
٣٨	اشاره
٣٨	الفصاحه
٣٨	اشاره
٣٩	فصاحه الكلمه
٤١	و الغرايه قسمان:
٤٣	تطبيق
٤٧	تمرين
٤٨	فصاحه الكلام
٥٤	تطبيق
٥٧	فصاحه المتكلم
٥٨	البلاغه
٥٨	اشاره
٥٩	بلاغه الكلام
٦١	بلاغه المتكلم
٦٢	أقوال ذوى النبوغ و العبقرية فى البلاغه

٦٦	تمارين
٦٧	ملاحظات
٦٨	أسباب و نتائج
٦٨	اشاره
٦٨	١-الأسلوب العلمى:
٦٨	٢-الأسلوب الأدبى:
٦٩	٣-الأسلوب الخطابى:
٧٠	علم المعانى
٧٠	اشاره
٧١	تعريف علم المعانى، و موضعه، و واضعه
٧٨	الباب الأول فى تقسيم الكلام إلى خبر و إنشاء
٧٨	المبحث الأول فى حقيقه الخبر
٧٨	اشاره
٧٩	المقاصد و الأغراض التى من أجلها يلقى الخبر
٨٠	تمارين
٨٣	المبحث الثانى فى كيفية إلقاء المتكلم الخبر للمخاطب
٨٣	اشاره
٨٤	تنبيهات
٨٧	تدريب
٨٨	تطبيق
٩٠	المبحث الثالث فى تقسيم الخبر إلى جمله فعلية و جمله اسميه
٩٠	اشاره
٩٢	أسئله يطلب أجوبتها
٩٢	تدريب
٩٣	الباب الثانى فى حقيقه الإنشاء و تقسيمه
٩٣	اشاره

٩٥	المبحث الأول فى الأمر
٩٥	اشاره
٩٧	تمرين
٩٩	المبحث الثانى فى التّهى
٩٩	اشاره
١٠٠	تطبيق
١٠٣	المبحث الثالث فى الاستفهام
١٠٣	اشاره
١٠٣	الهمزه
١٠٥	هل
١٠٦	تنبيهات
١٠٧	ما و من
١٠٩	متى و أيان
١٠٩	كيف و أين و أنى و كم و أى
١١٣	تمرين
١١٤	تمرين
١١٨	المبحث الرابع فى التّمنى
١١٨	اشاره
١١٩	تمرين
١٢١	المبحث الخامس فى التّداء
١٢١	اشاره
١٢٤	تمرين
١٢٨	تنبيهات
١٢٩	تطبيق
١٣١	تطبيق آخر
١٣١	تدريب

١٣٢	تمرين
١٣٤	تطبيق عام على الباب الثاني
١٣٧	الباب الثالث في أحوال المسند إليه
١٣٧	اشاره
١٣٧	المبحث الأول في ذكر المسند إليه
١٣٩	المبحث الثاني في حذف المسند إليه
١٣٩	اشاره
١٤٢	تدريب
١٤٣	تطبيق
١٤٥	المبحث الثالث في تعريف المسند إليه
١٤٥	اشاره
١٤٥	في تعريف المسند إليه بالإضمار
١٤٦	تنبيهات
١٤٨	في تعريف المسند إليه بالعلميه
١٥٠	في تعريف المسند إليه بالإشارة
١٥٢	في تعريف المسند إليه بالموصوليه
١٥٦	في تعريف المسند إليه بال
١٥٧	تنبيهات
١٥٨	في تعريف المسند إليه بالإضافه
١٥٩	في تعريف المسند إليه بالتداء
١٦٠	المبحث الرابع في تنكير المسند إليه
١٦١	المبحث الخامس في تقديم المسند إليه
١٦٤	المبحث السادس في تأخير المسند إليه
١٦٤	اشاره
١٦٤	تطبيق عام على أحوال المسند إليه و ما قبله
١٦٦	أسئله على أحوال المسند إليه يطلب أجوبتها

١٦٨	الباب الرابع فى المسند و أحواله
١٦٨	اشاره
١٦٨	المبحث الأول فى ذكر المسند أو حذفه
١٦٨	اشاره
١٧٠	تمرين
١٧٢	تدريب
١٧٤	المبحث الثانى فى تعريف المسند أو تنكيهه
١٧٤	تعريف المسند:
١٧٥	المبحث الثالث فى تقديم المسند أو تأخيريه
١٧٥	اشاره
١٧٧	خاتمه
١٧٨	تمرين
١٨٠	تطبيق عام على أحوال المسند
١٨٢	الباب الخامس فى الاطلاق
١٨٢	اشاره
١٨٣	المبحث الأول فى التقييد بالتعت
١٨٤	المبحث الثانى فى التقييد بالتوكيد
١٨٤	المبحث الثالث فى التقييد بعطف البيان
١٨٤	المبحث الرابع فى التقييد بعطف النسق
١٨٦	المبحث الخامس فى التقييد بالبدال
١٨٦	المبحث السادس فى التقييد بضمير الفصل
١٨٦	المبحث السابع فى التقييد بالنواسخ
١٨٧	المبحث الثامن فى التقييد بالشرط
١٨٧	اشاره
١٨٧	الفرق بين «إن، إذا، لو»
١٨٨	تنبيهات

١٩٠	المبحث التاسع فى التقييد بالنفى
١٩١	المبحث العاشر فى التقييد بالمفاعيل الخمسه و نحوها
١٩١	اشاره
١٩١	تنبيهات
١٩٣	تطبيق عام على الاطلاق و التقييد
١٩٦	الباب السادس فى أحوال متعلقات الفعل
١٩٦	اشاره
١٩٨	تطبيق
٢٠١	تدريب
٢٠١	تمرين
٢٠٣	الباب السابع فى القصر
٢٠٣	اشاره
٢٠٤	المبحث الأول فى طرق القصر
٢٠٤	اشاره
٢٠٧	ملاحظات
٢٠٨	المبحث الثانى فى تقسيم القصر باعتبار الحقيقه و الواقع إلى قسمين
٢٠٨	اشاره
٢٠٨	تنبيهات
٢٠٩	أسباب و نتائج
٢٠٩	اشاره
٢١١	المبحث الثالث فى تقسيم القصر باعتبار طرفيه
٢١٢	المبحث الرابع فى تقسيم القصر الإضافى
٢١٢	اشاره
٢١٣	تطبيق وضح فيما يلى نوع القصر و طريقه
٢١٣	تمرين
٢١٥	تطبيق عام على القصر و أنواعه و الأبواب السابقه

٢١٦	الباب الثامن فى الوصل و الفصل
٢١٦	تمهيد
٢١٦	تعريف الوصل و الفصل فى حدود البلاغه
٢١٨	بلاغه الوصل
٢١٨	المبحث الأول فى مواضع الوصل
٢١٨	اشاره
٢٢١	تمرين
٢٢١	تمرين اخر
٢٢٢	المبحث الثانى فى مواضع الفصل
٢٢٢	اشاره
٢٢٦	تنبيهان
٢٣٠	تمرين
٢٣٣	تطبيق عام على الوصل و الفصل
٢٣٥	الباب التاسع فى الإيجاز، و الإطناب، و المساواه
٢٣٥	اشاره
٢٣٦	المبحث الأول فى الإيجاز و أقسامه
٢٤٠	المبحث الثانى فى الإطناب و أقسامه
٢٤٨	المبحث الثالث فى المساواه
٢٤٨	اشاره
٢٤٩	أسئله على الإيجاز و الإطناب و المساواه تطلب أجوبتها
٢٤٩	تطبيق عام على الإيجاز و الإطناب و المساواه
٢٥٠	تمرين
٢٥٤	خاتمه
٢٥٧	الرابع: التعبير عن المضارع بلفظ الماضى، و عكسه.
٢٦٠	علم البيان
٢٦٠	اشاره

٢٦٢	الباب الاول فى التشبيه تمهيد
٢٦٢	اشاره
٢٦٢	تعريف التشبيه و بيان أركانه الأربعة
٢٦٣	و أركان التشبيه أربه:
٢٦٣	المبحث الاول فى تقسيم طرفى التشبيه إلى حسى و عقلى
٢٦٣	اشاره
٢٦٥	فالحسيان يشتركان:
٢٦٧	المبحث الثانى فى تقسيم طرفى التشبيه: باعتبار الإفراد، و التركيب
٢٦٨	المبحث الثالث فى تقسيم طرفى التشبيه: باعتبار تعددهما
٢٦٨	اشاره
٢٧٠	تمرين
٢٧٢	المبحث الرابع فى تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه
٢٧٢	اشاره
٢٧٧	تمرين
٢٧٩	المبحث الخامس فى تشبيه التمثيل
٢٧٩	اشاره
٢٨٠	مواقع تشبيه التمثيل
٢٨٠	تأثير تشبيه التمثيل فى النفس
٢٨٢	المبحث السادس فى أدوات التشبيه
٢٨٤	المبحث السابع فى تقسيم التشبيه باعتبار أدواته
٢٨٧	المبحث الثامن فى فوائد التشبيه
٢٨٧	اشاره
٢٩٢	تشبيه على غير طرقه الأصلية التشبيه الضمنى
٢٩٢	التشبيه المقلوب
٢٩٤	المبحث التاسع فى تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول و إلى مردود
٢٩٤	اشاره

٢٩٤	تنبيهات
٢٩٤	أسئله تطلب أجوبتها
٢٩٧	تطبيق عام على أنواع التشبيه
٢٩٨	تمرين
٣٠١	بلاغه التشبيه
٣٠٥	الباب الثانى فى المجاز
٣٠٥	اشاره
٣٠٤	المبحث الأول فى تعريف المجاز و أنواعه
٣٠٧	المبحث الثانى فى المجاز اللغوى المفرد المرسل و علاقاته
٣١١	المبحث الثالث فى تعريف المجاز العقلى و علاقاته
٣١١	اشاره
٣١١	أشهر علاقات المجاز العقلى
٣١٢	تنبيهات
٣١٣	تطبيق على أشهر علاقات المجاز العام
٣١٣	الإجابيه
٣١٥	نموذج آخر
٣١٤	بلاغه المجاز المرسل و المجاز العقلى
٣١٧	المبحث الرابع فى المجاز المفرد بالاستعاره تمهيد
٣١٧	اشاره
٣١٨	تعريف الاستعاره و بيان أنواعها
٣١٩	و أركان الاستعاره ثلاثه.
٣١٩	[و يقال لهما الطرفان]
٣٢٠	المبحث الخامس فى تقسيم الاستعاره باعتبار ما يذكر من الطرفين
٣٢٣	المبحث السادس فى الاستعاره باعتبار الطرفين
٣٢٣	المبحث السابع فى الاستعاره باعتبار اللفظ المستعار
٣٢٣	اشاره

٣٢٧	تنبيهات عشره
٣٣٧	المبحث الثامن فى تقسيم الاستعاره المصرحه باعتبار الطرفين إلى عناديه و وفاقيه
٣٣٨	المبحث التاسع فى تقسيم الاستعاره باعتبار الجامع
٣٤٠	المبحث العاشر فى تقسيم الاستعاره باعتبار ما يتصل بها من الملاءمات، و عدم اتصالها
٣٤٢	المبحث الحادى عشر فى المجاز المرسل المركب
٣٤٤	المبحث الثانى عشر فى المجاز المركب
٣٤٤	اشاره
٣٥٠	تمرين على كيفية إجراء الاستعارات
٣٥٢	بلاغه الاستعاره بجميع أنواعها
٣٥٤	الباب الثالث فى الكنايه و تعريفها و أنواعها
٣٥٤	اشاره
٣٦١	تمرين
٣٦٣	تمرين آخر
٣٦٥	بلاغه الكنايه
٣٦٨	أثر علم البيان فى تأديه المعانى
٣٧٤	علم البديع
٣٧٤	اشاره
٣٧٦	الباب الأول فى المحسنات المعنويه
٣٧٦	(١) التوريه [١]
٣٧٨	(٢) الاستخدام
٣٧٩	(٣) الاستطراد
٣٨٠	(٤) الافتنان
٣٨٠	(٥) الطباق
٣٨٢	(٦) المقابله
٣٨٢	(٧) مراعاه النظير
٣٨٤	(٨) الإرصاء

- ٣٨٥ الإدماج (٩)
- ٣٨٥ المذهب الكلامي (١٠)
- ٣٨٦ حسن التعليل (١١)
- ٣٩٠ التجريد (١٢)
- ٣٩١ المشاكله (١٣)
- ٣٩٢ المزواجه (١٤)
- ٣٩٣ الطي و النشر (١٥)
- ٣٩٤ الجمع (١٦)
- ٣٩٦ التفريق (١٧)
- ٣٩٨ التقسيم (١٨)
- ٣٩٨ الجمع مع التفريق (١٩)
- ٤٠٠ الجمع مع التقسيم (٢٠)
- ٤٠٠ المبالغه (٢١)
- ٤٠٢ المغايره (٢٢)
- ٤٠٣ تأكيد المدح بما يشبه الذم تأكيد المدح بما يشبه الذم: نوعان: (٢٣)
- ٤٠٤ تأكيد الذم بما يشبه المدح (٢٤)
- ٤٠٥ التوجيه (٢٥)
- ٤٠٥ اشاره
- ٤٠٥ الفرق بين التوريه و التوجيه
- ٤٠٧ نفى الشيء بإيجابه (٢٦)
- ٤٠٧ القول بالموجب القول بالموجب: نوعان: (٢٧)
- ٤٠٨ ائتلاف اللفظ مع المعنى (٢٨)
- ٤٠٨ التفريع (٢٩)
- ٤١٠ الاستتباع (٣٠)
- ٤١٠ السلب و الإيجاب (٣١)
- ٤١٢ الإبداع (٣٢)

٤١٤ (٣٣) الأسلوب الحكيم
٤١٧ (٣٤) تشابه الأطراف
٤١٧ (٣٥) العكس
٤١٩ (٣٦) تجاهل العارف
٤١٩ اشاره
٤٢١ تمرين
٤٢٣ تطبيق عام على البديع المعنوى
٤٢٨ الباب الثانى فى المحسنات اللفظيه
٤٢٨ ١-الجناس
٤٢٨ اشاره
٤٢٩ أنواع الجناس اللفظى
٤٣٨ أنواع الجناس المعنوى
٤٤٠ ٢-التصنيف
٤٤٠ ٣-الازدواج
٤٤٠ ٤-السجع
٤٤١ ٥-الموازنة
٤٤٢ ٦-الترصيع
٤٤٢ ٧-التشريع
٤٤٤ ٨-لزوم ما لا يلزم
٤٤٥ ٩-رد العجز على الصدر
٤٤٦ ١٠-ما لا يستحيل بالانعكاس
٤٤٦ ١١-المواربه
٤٤٨ ١٢-اكتلاف اللفظ مع اللفظ
٤٤٨ ١٣-التسميط
٤٤٨ ١٤-الانسجام أو السهوله
٤٥٠ ١٥-الاكتفاء

٤٥٠ ١٦-التطريز

٤٥٠ اشاره

٤٥١ نموذج

٤٥٢ خاتمه فى السرقات الشعريه و ما يتبعها

٤٧٠ تعريف مركز

سرشناسه: هاشمی، احمد، ۱۲۹۸ - ۱۳۵۰.

عنوان و نام پدیدآور: جواهر البلاغه (متن درسی) / تالیف احمد هاشمی؛ با تحقیق و تصحیح جمعی از اساتید حوزه.

وضعیت ویراست: [ویراست ؟]

مشخصات نشر: قم: حوزه علمیه قم، مرکز مدیریت، ۱۴۲۳ق. = ۱۳۸۱.

مشخصات ظاهری: ۳۵۴ ص. : جدول.

فروست: انتشارات مرکز مدیریت حوزه علمیه قم؛ ۱۲۸.

شابک: ۲۰۰۰۰ ریال ۹۶۴-۶۹۱۸-۳۳-۶؛ ۲۲۰۰۰ ریال (چاپ دوم)؛ ۲۲۰۰۰ ریال (چاپ پنجم)

یادداشت: عربی.

یادداشت: چاپ دوم: ۱۳۸۳.

یادداشت: چاپ پنجم: مرداد ۱۳۸۶.

یادداشت: کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشران مختلف منتشر شده است.

موضوع: زبان عربی -- معانی و بیان

موضوع: زبان عربی -- بدیع

شناسه افزوده: حوزه علمیه قم. مرکز مدیریت

رده بندی کنگره: PJA۲۰۲۸/۲۰ ج ۹ ۱۳۸۱ الف

رده بندی دیویی: ۸۰۸/۰۴۹۲۷

شماره کتابشناسی ملی: م ۸۲-۱۷۶۱۰

الموضوع الصفحه

تمهيد ١٣

مقدمه فى معرفه الفصاحه و البلاغه ١٥

فصاحه الكلمه ١٦

فصاحه الكلام ٢٣

فصاحه المتكلم ٣٠

البلاغه ٣١

بلاغه الكلام ٣٢

بلاغه المتكلم ٣٤

أقوال ذوى النبوغ و العبقرية فى البلاغه ٣٥

ملاحظات ٤٠

علم المعانى

تعريف علم المعانى، و موضعه، و واضعه ٤٤

الباب الأول فى تقسيم الكلام إلى خبر و إنشاء

المبحث الأول فى حقيقه الخبر ٥١

المقاصد و الأغراض التى من اجلها يلقى الخبر ٥٢

المبحث الثانى فى كيفية إلقاء المتكلم الخبر الموضوع الصفحه

للمخاطب ٥٥

المبحث الثالث فى تقسيم الخبر إلى جملة فعلية و جملة اسميه ٦٢

الباب الثاني في حقيقه الإنشاء و تقسيمه ٦٥

المبحث الأول في الأمر ٦٧

المبحث الثاني في النهي ٧٠

المبحث الثالث في الاستفهام ٧٣

المبحث الرابع في التمني ٨٤

المبحث الخامس في النداء ٨٦

تطبيق عام على الباب الثاني ٩٤

الباب الثالث في أحوال المسند إليه ٩٧

المبحث الأول في ذكر المسند إليه ٩٧

المبحث الثاني في حذف المسند إليه ٩٩

المبحث الثالث في تعريف المسند إليه ١٠٣

في تعريف المسند إليه بالإضمار ١٠٣

في تعريف المسند اليه بالعلميه ١٠٥

ص: ٣

فى تعريف المسند إليه بالاشاره ١٠٦

فى تعريف المسند إليه بالموصوليه ١٠٧

فى تعريف المسند إليه بأل ١٠٩

فى تعريف المسند إليه بالإضافه ١١١

المبحث العاشر فى تعريف المسند إليه بالنداء ١١٢

المبحث الرابع فى تنكير المسند إليه ١١٣

المبحث الخامس فى تقديم المسند إليه ١١٤

المبحث السادس فى تأخير المسند إليه ١١٧

تطبيق عام على احوال المسند اليه و ما قبله ١١٨

الباب الرابع فى المسند و أحواله ١٢١

المبحث الأول فى ذكر المسند أو حذفه ١٢١

المبحث الثانى فى تعريف المسند أو تنكيره ١٢٥

المبحث الثالث فى تقديم المسند أو تأخيره ١٢٦

تطبيق عام على احوال المسند ١٢٩

الباب الخامس فى الاطلاق و التقييد ١٣١

المبحث الاول فى التقييد بالنعته ١٣٢

المبحث الثانى فى التقييد بالتوكيد ١٣٣

المبحث الثالث فى التقييد بعطف البيان ١٣٣

المبحث الرابع فى التقييد بعطف النسق ١٣٣

المبحث الخامس فى التقييد بالبدل ١٣٥

المبحث السادس فى التقييد بضمير الفصل ١٣٥

المبحث السابع فى التقييد بالنواسخ ١٣٥

المبحث الثامن فى التقييد بالشرط ١٣٦

المبحث التاسع فى التقييد بالنفى ١٣٩

المبحث العاشر فى التقييد بالمفاعيل الخمسه و نحوها ١٤٠

تطبيق عام على الاطلاق و التقييد ١٤٢

الباب السادس فى أحوال متعلقات الفعل ١٤٥

الباب السابع فى تعريف القصر ١٤٩

المبحث الأول فى طرق القصر ١٥٠

المبحث الثانى فى تقسيم القصر باعتبار الحقيقه و الواقع ١٥٣

المبحث الثالث فى تقسيم القصر باعتبار طرفيه ١٥٥

المبحث الرابع فى تقسيم القصر الإضافى ١٥٦

تطبيق عام على القصر و انواعه ١٥٨

الباب الثامن فى الوصل و الفصل ١٥٩

تعريف الوصل و الفصل فى حدود البلاغه ١٥٩

بلاغه الوصل ١٦١

المبحث الأول فى إجمال مواضع الوصل ١٦١

المبحث الثاني فى مجمل مواضع الفصل ١٦٥

المبحث الثالث فى تفصيل مواضع الفصل ١٦٦

الباب التاسع فى الإيجاز، و الإطناب، و المساواه ١٧٧

المبحث الأول فى الإيجاز و أقسامه ١٧٨

المبحث الثانى فى الإطناب و أقسامه ١٨٢

المبحث الثالث فى المساواه ١٨٨

تطبيق عام على الإيجاز و الإطناب و المساواه ١٨٩

خاتمه ١٩٢

علم البيان

الباب الأول فى التشبيه ١٩٩

تعريف التشبيه و بيان أركانه الأربعة ١٩٩

المبحث الأول فى تقسيم طرفى التشبيه إلى حسى، و عقلى ٢٠٠

المبحث الثانى فى تقسيم طرفى التشبيه باعتبار الأفراد، و التركيب ٢٠٣

المبحث الثالث فى تقسيم طرفى التشبيه: باعتبار تعددهما ٢٠٤

المبحث الرابع فى تقسيم طرفى التشبيه باعتبار وجه الشبه ٢٠٧

المبحث الخامس فى تشبيه التمثيل ٢١١

المبحث السادس فى أدوات التشبيه ٢١٣

المبحث السابع فى تقسيم التشبيه باعتبار أدواته ٢١٤

المبحث الثامن فى فوائد التشبيه ٢١٦

التشبيه الضمنى ٢١٩

المبحث فى تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول و إلى مردود ٢٢١

تطبيق عام على انواع التشبيه ٢٢٤

بلاغه التشبيه و بعض ما أثر منه عن العرب و المحدثين ٢٢٧

الباب الثانى فى المجاز ٢٣١

المبحث الأول فى تعريف المجاز و أنواعه ٢٣٢

المبحث الثانى فى المجاز اللغوى المفرد المرسل و علاقاته ٢٣٣

المبحث الثالث فى تعريف المجاز العقلى و علاقاته ٢٣٧

بلاغه المجاز المرسل و المجاز العقلى ٢٤١

المبحث الرابع فى المجاز المفرد بالاستعاره ٢٤٢

تعريف الاستعارة و بيان أنواعها ٢٤٣

المبحث الخامس فى تقسيم الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين ٢٤٥

المبحث السادس فى الاستعارة باعتبار الطرفين ٢٤٨

المبحث السابع فى الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار ٢٤٨

المبحث الثامن فى تقسيم الاستعارة المصرحة باعتبار الطرفين ٢٤٢

المبحث التاسع فى تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع ٢٤٣

المبحث العاشر فى تقسيم الاستعارة باعتبار ما يتصل بها من الملاءمات، و عدم اتصالها ٢٤٥

المبحث الحادى عشر فى المجاز المرسل المركب ٢٤٧

المبحث الثانى عشر فى المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية ٢٤٩

بلاغه الاستعارة بجميع أنواعها ٢٧٥

الباب الثالث فى الكنايه و تعريفها و أنواعها ٢٧٧

بلاغه الكنايه ٢٨٥

أثر علم البيان فى تأديه المعانى ٢٨٧

علم البديع الباب الأول فى المحسنات المعنويه ٢٩٣

التوريه ٢٩٣

الاستخدام ٢٩٥

الاستطراد ٢٩٦

الافتنان ٢٩٧

الطباق ٢٩٧

المقابله ٢٩٩

مراعاة النظر ٢٩٩

الإرصاد ٣٠٠

الإدماج ٣٠١

المذهب الكلامي ٣٠١

حسن التعليل ٣٠٢

التجريد ٣٠٥

المشاكله ٣٠٦

المزاوجه ٣٠٧

الطى و النشر ٣٠٧

الجمع ٣٠٨

التفريق ٣٠٩

التقسيم ٣١٠

الجمع مع التفريق ٣١٠

ص: ٦

الجمع مع التقسيم ٣١١

المبالغه ٣١١

المغايره ٣١٢

تأكيد المدح بما يشبه الذم ٣١٣

تأكيد الذم بما يشبه المدح ٣١٤

التوجيه ٣١٥

نفى الشيء بإيجابه ٣١٦

القول بالموجب ٣١٦

ائتلاف اللفظ مع المعنى ٣١٧

التفريع ٣١٧

الاستتباع ٣١٨

السلب و الإيجاب ٣١٨

الإبداع ٣١٩

الأسلوب الحكيم ٣٢١

تشابه الأطراف ٣٢٣

العكس ٣٢٣

تجاهل العارف ٣٢٤

تطبيق عام على البديع المعنوى ٣٢٦

الباب الثانى فى المحسنات اللفظيه ٣٢٩

الجناس ٣٢٩

التصحييف ٣٣٧

الازدواج ٣٣٧

السجع ٣٣٧

الموازنه ٣٣٨

الترصيع ٣٣٩

التشريع ٣٣٩

لزوم ما لا يلزم ٣٤٠

رد العجز على الصدر ٣٤٤

ما لا يستحيل بالانعكاس ٣٤١

المواربه ٣٤١

ائتلاف اللفظ مع اللفظ ٣٤٢

التسميط ٣٤٢

الانسجام أو السهوله ٣٤٢

الاكتفاء ٣٤٣

التطريز ٣٤٣

خاتمه فى السرقات الشعريه و ما يتبعها ٣٤٥

ص: ٧

بسم الله الرحمن الرحيم لا- شك ان علم البلاغه (المعاني و البيان و البديع) من العلوم التي لها دور فاعل في الفهم الصحيح للمتون الاسلاميه خصوصا الآيات و الروايات، و يتوقف على الالمام بها فهم جانب كبير من اعجاز القرآن الكريم و ادراك عمق بعض المصادر الدينيه الاخرى (كنهج البلاغه) و (الصحيفه السجديه) ؛

و لهذه الأسباب دأب العلماء منذ القدم على تأليف الكتب و البحوث القيمه في هذا المجال؛ و التي بدورها تحتوى على فوائد جمّه.

و من جمله الآثار المدوّنه في هذا المجال كتاب (جواهر البلاغه) و الذي اختاره مركز مديره الحوزه العلميه في قم المقدسه متنا درسيا لطلابه نظرا لما فيه من المميزات التي تميزه عن باقي الكتب.

و هذا الكتاب يقمّ الابحاث التي يحتاجها طلاب علم البلاغه مقرونه بالتمارين المتعدده التي يرفع قدره الطالب على تعلّم ابحاث الكتاب بشكل جيّد، و لكنها في بعض الأحيان زائده عن حدها و اكثر مما يحتاجه الطالب، خصوصا اذا اخذنا بنظر الاعتبار الوقت المحدد لدراسه الكتاب؛ حيث كان الأساتذه و الطلاب يعانون مشكله اساسيه تكمن في عدم كفاف الوقت لاتمام الكتاب، اضافه الى ذلك فأنا قد وجدنا في الكتاب بعض الأخطاء المطبعيه و الفنيه-من حيث الاخراج الفنى للكتاب-و ايضا وجدنا فيه مدحا من المؤلف لبعض الأشخاص الذين ثبت اندافهم الفكرى.

لذلك قامت معاينه التعليم فى مركز مديره الحوزه العلميه فى قم المقدسه باعاده النظر فى الكتاب و اصلاحه سواء على صعيد حذف بعض التمارين الزائده او اعاده الأخراج الفنى للكتاب او تغيير متن الكتاب فى موارد قليله.

بالرغم من ان الكتاب يحتوى على نقاط ضعف فى متنه الاصلى الا أننا-و لبعض الأسباب-لم نقم بأصلاح علمى لجميع متن الكتاب و بالطبع يجدر بالأساتذه الأعزاء ان يسيروا الى الموارد التى تحتوى على اشكالات و ينبهوا الطلاب عليها.

و يجدر بنا فى هذه المقدمه ان نتقدم بالشكر الجزيل لسماحه حجه الإسلام و المسلمين السيد حميد الجزائرى تقديرا له على ما بذله من جهد مبارك فى اصلاح الكتاب.

كما و نرجوا من البارى تعالى ان تستمر حركه اصلاح المتون الدراسيه بما يؤثر فى تحصن نظام التعليم فى الحوزه و ان يتقبل اعمال العاملين فى هذا المجال.

معاونه التعليم مركز مديره الحوزه العلميه قم

بسم الله الرحمن الرحيم حمدا لمن خصَّ سيّد الرّسل بكمال الفصاحه بين البدو و الحضرة و أنطقه بجوامع الكلم فأعجز بلغاء ربيعه و مضرة، و أنزل عليه الكتاب المفحم بتحدّيه مصاقع بلغاء الأعراب، و آتاه بحكمته أسرار البلاغه و فصل الخطاب، و منحه الأسلوب الحكيم (1) في جوامع كلمه، و خصَّ «السّعادة الأبدية» لمقتفى آثاره و حكمه، صلّى الله عليه و آله و سلّم «جواهر البلاغه» الذين نظموا لآلئ البديع في عقود الإيجاز و الإطناب، ففهنّا بعد اللّكن «جواهر الإعراب» و نطقنا «بميزان الذهب» و طرّزنا سطور الطّروس «جواهر الأدب» فصارت «المفرد العلم» في باب النّسب (و بعد) فإنّ العلوم أرفع المطالب، و أنفع المآرب، و علم البلاغه من بينها أجلها شأنًا و أبينها تبيانًا، إذ هو الكفيل بإيضاح حقائق التّنزيل؛ و إفصاح دقائق التّأويل، و إظهار «دلائل الإعجاز» و رفع معالم الإيجاز، و لاشتغالي بتدريس البيان بالمدارس الثّانويه، كانت البواعث داعيه إلى تأليف كتاب «جواهر البلاغه» جامعا للمهمّات من القواعد و التطبيقات-و أسأل المولى جل شأنه أن ينفع بهذا الكتاب، و هو الموفّق للحق و الصّواب.

المؤلف السيد أحمد الهاشمي

ص: ١١

١-١). الأسلوب الحكيم و السعادة الأبدية و جواهر البلاغه. و جواهر الإعراب و جواهر الأدب، و ميزان الذهب، و المفرد العلم، الواردة في هذه الخطبه أسماء بعض كتب مطبوعه لمؤلف هذا الكتاب. و غيرها من القواعد الأساسيه للغه العربيه. و مختار الأحاديث النبويه و الحكم المحمديه و السحر الحلال في الحكم و الأمثال.

لمّا وضع «علم الصّيرف» للنّظر في أبنية الألفاظ. و وضع «علم النّحو» للنّظر في إعراب ما تركب منها. وضع «البيان» (1) للنّظر في أمر هذا التركيب، و هو ثلاثه علوم:

العلم الأول: ما يحترز به عن الخطأ في تأديه المعنى الذى يريده المتكلم لإيصاله إلى ذهن السامع، و يسمّى «علم المعانى» .

العلم الثانى: ما يحترز به عن التعقيد المعنوى أى عن أن يكون الكلام غير واضح الدّلاله على المعنى المراد، و يسمّى «علم البيان» .

العلم الثالث: ما يراد به تحسين الكلام و يسمّى «علم البديع» فعلم البديع تابع لهما إذ بهما يعرف التحسين الذاتى، و به يعرف التحسين العرضى.

و الكلام باعتباره «المعانى البيان» يقال إنه:

«فصيح» من حيث اللفظ-لأن النّظر فى الفصاحه إلى مجرّد اللفظ دون المعنى.

«و بليغ» من حيث اللفظ و المعنى جميعا-لأن البلاغه ينظر فيها إلى الجانبين (2).

ص: ١٣

١-١) . علم البيان فى اصطلاح المتقدمين من أئمه البلاغه يطلق على فنونها الثلاثه من باب تسميه الكل باسم البعض، و خصه المتأخرون بالعلم الباحث عن المجاز و الاستعاره و التشبيه، و الكنايه، و الغرض منه صوغ الكلام بطريقه تبين ما فى نفس المتكلم من المقاصد، و توصل الأثر الذى يريده إلى نفس السامع.

٢-٢) . و بيان ذلك أن الفصاحه تمام آله البيان فهى مقصوره على اللفظ لأن الآله تتعلق باللفظ دون المعنى، فإذن هى كمال لفظى توصف به الكلمه و الكلام: و البلاغه إنما هى إنهاء المعنى فى القلب فكأنها مقصوره على المعنى، و من الدليل على أن الفصاحه تتضمن اللفظ. و البلاغه تتناول المعنى. أن البغاء يسمّى فصيحاً و لا يسمّى

و أما باعتبار البديع فلا يقال إنه فصيح و لا بليغ، لأن البديع أمر خارجي يراد به تحسين الكلام لا غير.

إذا تقرّر ذلك، وجب على طالب البيان أن يعرف قبل الشروع فيه معرّفه معنى «الفصاحة و البلاغه» لأنهما محوراه، و إليهما مرجع أبحاثه. فهما الغايه التي يقف عندها المتكلم و الكاتب، و الضالّه التي ينشدها.

و ما عقد أئمه البيان الفصول، و لا بوّوا الأبواب، إلا بغيه أن يوقفوا المسترشد على تحقيقات، و ملاحظات و ضوابط، إذا روعيت في خطابه أو كتابه بلغت الحدّ المطلوب من سهوله الفهم، و إيجاد الأثر المقصود في نفس السّامع، و اتّصفت من ثمّ بصفه الفصاحة (١) و البلاغه.

(٢)

بليغاً، إذ هو مقيم الحروف و ليس لها قصد إلى المعنى الذي يؤديه، و قد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره فج، و لا متكلف و خم، و لا يمنعه من أحد الاسمين شيء لما فيه من إيضاح المعنى و تقويم الحروف. و اعلم أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين. و إنما كان ظاهراً بيناً لأنه مألوف الاستعمال و إنما كان مألوف الاستعمال بين النابهين من الكتاب و الشعراء لمكان حسنه. و حسنه مدرك بالسمع. و الذي يدرك بالسمع إنما هو اللفظ لأنه صوت يتألف من مخارج الحروف، فما استلذه السمع منه فهو الحسن، و ما كرهه فهو القبيح، و الحسن هو الموصوف بالفصاحه، و القبيح غير موصوف بالفصاحه، لأنه ضدها لمكان قبحه.

ص: ١٤

١-١). يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني و جمع من المتقدمين أن الفصاحه و البلاغه و البيان و البراعه، ألفاظ مترادفه لا تتصف بها المفردات، و إنما يوصف بها الكلام بعد تحرى معانى النحو فيما بين الكلم حسب الأغراض التي يصاغ لها. قال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين: الفصاحه و البلاغه ترجعان الى معنى واحد، و إن اختلف أصلاهما، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى و الإظهار له. و قال الرازى في نهايه الإيجاز: و أكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين الفصاحه و البلاغه. و قال الجوهرى في كتاب الصحاح: الفصاحه هي البلاغه.

مقدمه (١) (فى معرفه الفصاحه و البلاغه)

الفصاحه: تطلق فى اللغه على معان كثيره، منها: البيان و الظهور، قال الله تعالى: وَ أَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا [القصص: ٣٤] أى أبين منى منطقاً و أظهر منى قولاً. و يقال: أفصح الصبى فى منطقه. إذا بان و ظهر كلامه. و قالت العرب: أفصح الصبح. إذا أضاء، و فصح أيضا. و أفصح الأعجمى: إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح و يبين. و فصح اللسان: إذا عبّر عمّا فى نفسه. و أظهره على وجه الصواب دون الخطأ.

و الفصاحه: فى اصطلاح أهل المعانى، عباره عن الألفاظ البينه الظاهره، المتبادره إلى الفهم، و المأنوسه الاستعمال بين الكتاب و الشعراء لمكان حسنهما.

ص: ١٥

١ - ١ . مقدمه مشتقه من قدم اللازم، و هذه مقدمه كتاب لأنها ألفاظ تقدمت أمام المقصود لارتباط له بها و انتفاع بها فيه، بخلاف مقدمه العلم فهى معان يتوقف المشروع عليها، كبيان حد العلم المشروع فيه، و موضوعه، و غايته. و اعلم أن علوم البلاغه أجل العلوم الأدبيه قدرا، و أرسخها أصلا، و أسبقها فرعا و أحلاها جنى، و أعذبها وردا. لأنها العلوم التى تستولى على استخراج درر البيان من معادنها، و تريك محاسن النكت فى مكانها (و لو لاها لم تر لسانا يحوك الوشى، و يلفظ الدر. و ينفث السحر، و يريك بدائع الزهر، و ينثر بين يديك الحلو اليانع من الثمر) فهى الغايه التى تنتهى إليها أفكار النظر و اللآلىء التى تتطلبها غاصه البحار لهذا كانت منزلتها تلو العلم بتوحيد الله تعالى.

و هي تقع وصفا للكلمه؛ و الكلام، و المتكلم؛ حسبما يعتبر الكاتب اللفظه وحدها، أو مسبوكة مع أخواتها.

فصاحه الكلمه

تتحقق فصاحه الكلمه بسلامتها من أربعة عيوب.

١-خلوصها من تنافر الحروف: لتكون رقيقه عذبه، تخفّ على اللسان؛ و لا تثقل على السّمع، فلفظ: أسد، أخفّ من لفظ فدوكس! .

٢-خلوصها من الغرابه، و تكون مألوفه الاستعمال.

٣-خلوصها من مخالفه القياس الصرفي، حتى لا تكون شاذه.

٤-خلوصها من الكراهه في السمع. (١)

أمّا تنافر الحروف: فهو وصف في الكلمه يوجب ثقلها على السّمع و صعوبه أدائها باللسان، بسبب كون حروف الكلمه متقاربه المخارج. و هو نوعان:

١-شديد في الثقل: نحو: هعخع لبت ترعاه الإبل من قول أعرابي:

تركت ناقتي ترعى الهعخع

٢-و خفيف في الثقل: كالتنقنه: لصوت الضفادع، و النّقاخ: للماء العذب الصافي، و نحو: مستشزرات «بمعنى مرتفعات» من قول امرئ القيس يصف شعر ابنه عمّه: [البحر الطويل]

ص: ١٦

١-١). ففصاحه الكلمه تكونها من حروب متالفه يسهل على اللسان نطقها من غير عناء، مع وضوح معناها، و كثره تداولها بين المتكلمين و موافقتها للقواعد الصرفيه و مرجع ذلك الذوق السليم، و الإلمام بمتن اللغه، و قواعد الصرف، و بذلك تسلم مادتها، و صيغتها، و معناها، من الخلل، و اعلم أنه ليس تنافر الحروف يكون موجباً دائماً قرب مخارج الحروف. إذ قربها لا يوجب دائماً، كما أن تباعدها لا يوجب خفتها. فها هي كلمه «بفمي» حسنه، و حروفها من مخرج واحد و هو الشفه، و كلمه «ملع» متنافره ثقيله، و حروفها متباعده المخارج، و أيضاً ليس موجب الثنافر طول الكلمه و كثره حروفها.

تضل العقاص في مثنى و مرسل (١)

و لا ضابط لمعرفة الثقل و الصعوبه سوى الذوق السليم، و الحس الصادق الناجمين عن النظر في كلام البلغاء و ممارسه أساليبهم (٢).

و أمّا غرابه الاستعمال، فهي كون الكلمه غير ظاهره المعنى، و لا- مألوفه الاستعمال عند العرب الفصحاء، لأنّ المعوّل عليه في ذلك استعمالهم.

ص: ١٧

١ - ١). «الغدائر» الصفائر، و الضمير يرجع إلى (فرع) في البيت قبله (و الاستشزار) الارتفاع (و العقاص) جمع عقيصه و هي الخصله من الشعر (و المثنى) الشعر المفتول (و المرسل) ضده أى ابنه عمه لكثرة شعرها بعضه مرفوع، و بعضه مثنى، و بعضه مرسل، و بعضه معقوص، أى ملوى.

٢ - ٢). الألفاظ تنقسم إلى ثلاثة أقسام، قسمان حسان، و قسم قبيح، فالقسمان الحسان: أحدهما ما تداول استعماله السلف و الخلف من الزمن القديم إلى زماننا هذا و لا يطلق عليه أنه وحشى. و الآخر ما تداول استعماله السلف دون الخلف، و يختلف في استعماله بالنسبه إلى الزمن و أهله، و هذا هو الذى يعاب استعماله عند العرب لأنه لم يكن عندهم وحشياً و هو عندنا وحشى. و لا يسبق وهمك إلى قول قصرء النظر بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا و كذا، فهذا دليل على أنه حسن، بل ينبغى أن تعلم أن الذى نستحسنه نحن في زماننا هذا، هو الذى كان عند العرب مستحسناً، و الذى نستقبحه هو الذى كان عندهم مستقبحاً، و الاستعمال ليس بدليل على الحسن، فإننا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس يحسن، و إنما نستعمله لضروره، فليس استعمال الحسن بممكن في كل الأحوال، و اعلم أن استحسان الألفاظ و استقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لأنه شىء ليس للتقليد فيه مجال، و إنما هو شىء له خصائص و هيئات و علامات إذا وجدت علم حسنه من قبحه، ألا ترى أن لفظه (المزنه) مثلاً حسنه عند الناس كافة من العرب و غيرهم، لا- يختلف أحد في حسنها و كذلك لفظ (البعاق) فإنها قبيحه عند الناس كافة من العرب و غيرهم، فإذا استعملتها العرب لا- يكون استعمالهم إياها مخرجا لها عن القبح، و لا- يلتفت إذن إلى استعمالها إياها بل يعاب استعمالها و يغلظ له النكير حيث استعمالها، فلا تظن أن الوحشى من الألفاظ ما يكرهه سمعك و يثقل عليك النطق به و إنما هو الغريب الذى يقل استعماله، فتاره يخف على سمعك و لا تجد به كراهه و تاره يثقل على سمعك و تجد منه الكراهه، و ذلك في اللفظ عيبان: كونه غريب الاستعمال و كونه ثقيلاً على السمع كرها على الذوق. و ليس وراءه في القبح درجه أخرى، و لا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شىء من معرفه هذا الفن أصلاً. انتهى عن المثل السائر، بتصرف.

القسم الأول: ما يوجب حيره السّامع فى فهم المعنى المقصود من الكلمه: لتردّدها بين معنيين أو أكثر بلا قرينه.

و ذلك فى الالفاظ المشتركه: كمسّرج، من قول رؤبه بن العجاج: [الرجز]

و مقله و حاجبا مزججا

و فاحما و مرسنا مسّرجا (١)

فلا يعلم ما أراد بقوله: مسّرجا حتى اختلف أئمه اللغه فى تخريجه.

فقال ابن دريد: يريد أنّ أنفه فى الاستواء و الدقه كالسيف السّريجي. و قال «ابن سيده»: يريد أنه فى البريق و اللمعان كالسّراج (٢). فلهدا يحتر السّامع فى فهم المعنى المقصود لتردّد الكلمه بين معنيين بدون «قرينه» تعين المقصود منهما. فلأجل هذا التردد، و لأجل أنّ ماده (فعل) تدلّ على مجرّد نسبه شىء لشىء، لا على النسبه التشبيهيّه: كانت الكلمه غير ظاهره الدلاله على المعنى فصارت غريبه.

و أما مع القرينه فلا- غرابه- كلفظه: عزّر فى قوله تعالى: فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّوهُ وَ نَصَّوهُ [الأعراف: ١٥٧] فإنها مشتركه بين التّعظيم و الإهانه. و لكن ذكر النصر قرينه على إرادته التّعظيم.

ص: ١٨

١- ١). مزججا: مدققا مطولا (فاحما) شعرا أسود كالفحمه (مرسنا) بكسر الميم و فتح السين كمنبر، أو بفتح الميم و كسر السين كمجلس، و معناه أنه ذو لمعان كالسّراج أو ذو صقاله واحد يداب كالسيف السّريجي أى المنسوب إلى سريج و هو قين حداد تنسب إليه السيوف فى الدقه و الاستواء.

٢- ٢). أى و لفظه مسرج غير ظاهره الدلاله على ما ذكر، لأن فعل إنما يدل على مجرد النسبه. و هى لا تدل على التشبيه، فأخذه منها بعيد، لهذا أدخل الحيره على السامع فى فهم المعنى المقصود من الكلمه لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينه، و مثله قول الشاعر: لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل [الكامل] فلا يعلم ما إذا أراد الشاعر بقوله فعلت ما لم أفعل، أكان يبكى إذ رحلوا، أم كان يهيم على وجهه من الغم الذى لحقه، أم يتبعهم إذا ساروا، أم يمنعهم من المضى على عزمه الرحيل.

القسم الثاني: ما يعاب استعماله لاحتياج إلى تتبع اللغات. و كثره البحث و التفتيش في المعاجم و قواميس متن اللغة المطوله.

أ- فمنه ما يعثر فيها على تفسيره بعد كدّ و بحث نحو: تكأ كأتّم (بمعنى اجتمعتم) من قول عيسى بن عمرو النحوى:

ما لكم تكأ كأتّم على، كتكأ كئكم على ذى جنّه؟ (١) افرنقوا عني (٢) و نحو (مشمخر) فى قول: بشر بن عوانه. يصف الأسد:

فخرّ مضرّجا بدم كانى

هدمت به بناء مشمخرًا

ب- و منه ما لم يعثر على تفسيره نحو: (جحلنجع) من قول أبى الهميسع [الرجز]

من طمحه صبيرها جحلنجع (٣)

لم يحضها الجدول بالتّنوع

و أما مخالفه القياس: فهو كون الكلمه شاذّه غير جاريه على القانون الصّرفيّ المستنبط من كلام العرب؛ بأن تكون على خلاف ما

ثبت فيها عن العرف العربى الصّحيح (٤)

ص: ١٩

١-١. جنون.

٢-٢. انصرفوا، و قال ذلك حين سقط عن دابته فاجتمع الناس حوله.

٣-٣. الطمحه النظره، و الصبير السحاب المتراكم. و قبله: [الرجز]. إن تمنى صوبك صوب المدمع يجرى على الخد كضئب الشع الشع الضئب الحب و الشع اللؤلؤ، قال صاحب القاموس: ذكروا جحلنجع و لم يفسروه. و قالوا: كان أبو الهميسع من أعراب مدين. و كنا لا نكاد نفهم كلامه.

٤-٤. ما استثناه الصرفيون من قواعدهم المجمع عليها و إن خالف القياس (فصيح) فمثل «آل و ماء» أصلهما أهل و موه، أبدلت الهاء فيهما همزه. و إبدال الهمزه من الهاء و إن كان على خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع، و مثل «أبى يابى» بفتح الباء فى المضارع. و القياس، كسرهما فيه لأن فعل بفتح العين لا يأتى مضارعه على يفعل بالفتح إلا إذا كان عين ماضيه أو لامه حرف حلق كسأل و نفع، فمجيء المضارع بالفتح على خلاف القياس، إلا أن الفتح ثبت عن الواضع، و مثل (عور يعور) فالقياس فيهما عار يعار بقلب الواو ألفا لتحركها و انفتاح ما قبلها، فتصحيح الواو خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع.

(مثل الأجل) في قول أبي النجم: [الرجز]

الحمد لله العلى الأجل

الواحد الفرد القديم الأول

فإن القياس الأجل بالإدغام، ولا مسوغ لفكه.

و كقطع همزه وصل إثنين في قول جميل: [الطويل]

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمه

على حدثان الدهر متى و من جمل (1)

و يستثنى من ذلك ما ثبت استعماله لدى العرب مخالفا للقياس و لكنه فصيح.

لهذا لم يخرج عن الفصاحة لفظتا: المشرق و المغرب بكسر الراء، و القياس فتحها فيهما، و كذا لفظتا: المدهن و المنخل و القياس فيهما مفعول بكسر الميم و فتح العين - و كذا نحو قولهم: عور و القياس: عار، لتحرك الواو و انفتاح ما قبلها.

و أمّا الكراهه في السمع: فهو كون الكلمه وحشيه، و تأنفها الطباع و تمجها الأسماع، و تنبو عنه، كما ينبو عن سماع الأصوات المنكره. كالجرشيّ للنفس في قول أبي الطيب المتنبّي يمدح سيف الدوله: [المتقارب]

مبارك الاسم أغرّ اللقب

كريم الجرشيّ شريف النسب

و ملخص القول: أن فصاحه الكلمه تكون بسلامتها من تنافر الحروف و من الغرابه، و من مخالفه القياس، و من الابتدال، و الضعف.

فإذا لصق بالكلمه عيب من هذه العيوب السابقه وجب نبذها و أطراحها.

تطبيق

ما الذي أخلّ بفصاحه الكلمات فيما يأتي:

قال يحيى بن يعمر لرجل حكّمته امرأته إليه: «أئن سألتك ثمن شكرها و شبرك، أخذت تطلّها و تضهلّها؟» (٢)

١-١) . الشيمه الخلق، و الحدثان نوابب الدهر.

٢-٢) . الشكر الرضاع و الشبر النكاح و تطلها تسعى فى بطلان حقا و تضهلها تعطيا الشىء القليل.

و قال بعض امراء العرب، و قد اعتلت أمه، فكتب رقاعا و طرحها فى المسجد الجامع بمدينة السلام: صين امرؤ و رعا، دعا لامرأه أنقله (١) مقسنه (٢) قد منيت بأكلها الظرموق (٣) فأصابها من أجله الاستمصال (٤) بأن يمن الله عليها بالأطرعشاش (٥) و الأبرعشاش. أسمع جعجعه (٦) و لا- أرى طحنا، الإسقنط (٧) حرام، و هذا الخنشليل (٨) صقيل، و الفدوكس مفترس (٩). يوم عصبص، و هلوف، ملأ السجسج طلا (١٠).

أمنّا أن تصرّع عن سماح

و للآمال فى يدك اصطراع (١١)

[الوافر]

و قال الفرزدق: [الكامل]

و إذا الرّجال رأوا يزيد رأيتهم

خضع الرّقاب نواكس الأبصار (١٢)

يا نفس صبرا كل حى لاقى

و كل اثنين إلى افتراق

ص: ٢١

١-١ . يابسه.

٢-٢ . مسنه عجوز.

٣-٣ . ابتليت بأكل الطين.

٤-٤ . الإسهال.

٥-٥ . البرء، و كذا معنى ما بعده.

٦-٦ . جعجعه غير فصيحته لتنافر حروفها، و هو مثل يضرب لمن يقول و لا يفعل.

٧-٧ . الاسقنط الخمر.

٨-٨ . الخنشليل السيف.

٩-٩ . الفدوكس الأسد، فكل من هذه الألفاظ الثلاثه وحشيه غير مألوفه.

١٠-١٠ . شديد البرد فيهما، السجسج الأرض التى ليست بسهله و لا صلبه.

١١-١١ . أراد: أنهم أمنوا أن يغلبه غالب يصرعه عن السماع و يمنعه منه و أما قوله: (و للآمال فى يدك اصطراع) فمعناه تنافس

و تغالب و ازدحام فى يده، يريد كثره نواله و كرمه. و استعماله للفظه الاضطراع بهذا المعنى بعيد.

١٢-١٢). فقد جمع (ناكس) على (فواعل) شذوذاً و هذا لا يطرد إلا في وصف لمؤنث عاقل لا لمذكر كما هنا إلا في موضعين (فوارس و هوالك) و الناكس: مطأطء الرأس.

تشكو الوجى من أظلل و أظلل

من طول إملال و ظهر ممل (١)

[الرجز]

تمرين

١- أى أجزاء هذين البيتين غير فصيح:

أصبحت كالثوب اللبیس قد اخلقت

جداته منه فعاد مذالا (٢)

[الكامل]

رمتنى مئى بالهوى رمى مضع

من الوحش لوط لم تعقه الأوالس (٣)

[الطويل]

ص: ٢٢

١ - ١) . الوجى الحفا: و الأظلل باطن خف البعير، و خالف القياس بفك الإدغام. تنبيهات: الأول من عيوب فصاحه اللفظه المفرده كونها مبتذله، أى عاميه ساقطه كالفالق و الشنطار و نحوهما: و الابتذال ضربان: أ- ما استعملته العامه و لم تغيره عن وضعه، فسخف و انحطت رتبته. و أصبح استعماله لدى الخاصه معيبا. كلفظه البرسام فى قول المتنبى. [الخفيف]. إن بعضا من القرىض هراء ليس شيئا و بعضه أحكام فيه ما يجلب البراعه و الفهم و فيه ما يجلب البرسام ب- ما استعملته العامه دالا على غير ما وضع له. و ليس بمستقبح و لا- مكروه كقول المتلمس: و قد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعريه مكدم الثانى: لا تستعمل الالفاظ المبهمه اذا كان غرضك التعيين و إحضار صوره الشئ. أو المعنى المراد فى الذهن. الثالث: لا تستعمل اللفظ المشترك إلا مع قرينه تبين المراد من معانيه المشتركه.

٢- ٢) . لابن الرومى، و اللبیس: الملبوس و الإخلاق: البلى. و الجده: صفه الثوب الجديد: و المذال: الممتهن.

٣- ٣) . اللوط: الخفيف السريع، و الأوالس: النوق السريعه.

فصاحة الكلام: سلامته بعد فصاحه مفرداته ممّا يبهم معناه، و يحول دون المراد منه (١) و تتحقق فصاحته بخلوّه من سته عيوب.

١- تنافر الكلمات مجتمعه، ٢- ضعف التأليف، ٣- التعقيد اللفظي، ٤- التعقيد المعنوي، ٥- كثره التكرار (٢)، ٦- تنابع الإضافات.

الأوّل: تنافر الكلمات مجتمعه: أن تكون الكلمات ثقيله على السمع، يلزم من تركيبها مع بعضها عسره النطق بها مجتمعه على اللسان. (و إن كان كل جزء منه على انفراده فصيحاً).

و التنافر يحصل: إمّا بتجاور كلمات متقاربه الحروف، و إمّا بتكرير كلمه واحده.

ص: ٢٣

١ - ١). المراد بفصاحة الكلام تكوّنه من كلمات فصيحه يسهل على اللسان النطق بها لتألفها، و يسهل على العقل فهمها لترتيب ألفاظها وفق ترتيب المعاني. و مرجع ذلك إلى الذوق السليم و الإلمام بقواعد النحو، بحيث يكون واضح المعنى سهل اللفظ. حسن السبك، و لذلك يجب أن تكون كل لفظه من ألفاظه واضحة الدلاله على المقصود منها. جاريه على القياس الصرفي، عذبه سلسله، كما يكون تركيب الكلمات جاريًا على القواعد النحويه خاليا عن تنافر الكلمات مع بعضها، و من التعقيد. فمرجع الفصاحه سواء في اللفظه المفرد، أو في الجمل المركبه إلى أمرين (مراعاة القواعد، و الذوق السليم) و تختلف فصاحه الكلام أحيانا باختلاف التعبير عما يدور بالنفس من المعاني اختلافا ظاهرا. فتجد في عبارات الأدباء من الحسن و الجوده ما لا تجد في تعبير غيرهم، مع اتحاد المعنى الذي يعبر عنه و يختلف الأدباء أنفسهم في أساليبهم: فقد يعلو بعضهم في أسلوبه. فتراه يسيل رقه و عذوبه. و يصل إلى القلوب فيبلغ منها ما يشاء أن يبلغ. و ذلك نوع من البيان يكاد يكون سحرا، و قد يكون دون هذه المنزله قليلا أو كثيرا، و هو مع ذلك من فصيح القول و حسن البيان.

٢ - ٢). (كثره التكرار: و تنابع الإضافات) أقول الحق، إن هذين العيين قد احترز عنهما بالتنافر. على أن بعضهم أجازهما لوقوعهما في القرآن كما في قوله تعالى وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا آيَات، و في قوله تعالى: ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً.

أ-و منه شديد الثقل: كالشطر الثاني في قوله: [الرجز]

و قبر حرب بمكان قفر

و ليس قرب قبر حرب قبر (١)

ب-و منه خفيف الثقل كالشطر الأول في قول أبي تمام [الطويل]

كريم متى أمدحه أمدحه و الورى

معى، و إذا ما لمته لمته وحدى (٢)

الثانى: ضعف التّأليف: أن يكون الكلام جاريا على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المعتبره عند جمهور العلماء: كوصل الضميرين، و تقديم غير الأعراف منهما على الأعراف، مع أنه يجب الفصل فى تلك الحاله، كقول المتنبي: [الكامل]

خلت البلاد من الغزاه ليلها

فأعاضهاك الله كى لا تحزنا

و كالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظا و رتبه و حكما فى غير أبوابه (٣) نحو: [الطويل]

ص: ٢٤

١- ١). حرب بن أمية: قتله قائل هذا البيت، و هو هاتف من الجن صاح عليه (قفر) خال من الماء و الكلاء، و قبر اسم ليس مؤخر، و قرب خبرها مقدم، قيل: إن هذا البيت لا يمكن إنشاده ثلاث مرات متواليه إلا و يغلط المنشد فيه، لأن نفس اجتماع كلماته و قرب مخارج حروفها. يحدثان ثقلا ظاهرا، مع أن كل كلمه منه لو أخذت وحدها ما كانت مستكرهه و لا ثقلية.

٢- ٢). أى هو كريم. و إذا مدحته وافقنى الناس على مدحه. و يمدحونه معى لإسداء إحسانه إليهم كإسداءه إلى، و إذا لمته، لا يوافقنى أحد على لومه، لعدم وجود المقتضى للوم فيه، و أثر لمته على هجوته مع أنه مقابل المدح إشاره إلى أنه لا يستحق الهجو و لو فرط منه شىء فإنما يلام عليه فقط و الثقل فى قوله: «أمدحه» لما بين الحاء و الهاء من التنافر، للجمع بينهما. و هما من حروف الحلق، كما ذكره الصحاح إسماعيل بن عباد.

٣- ٣). المجموعه فى قول بعضهم: [الرجز]. و مرجع الضمير قد تأخرا لفظا و رتبه و هذا حصرا فى باب نعم و تنازع العمل و مضمرة الشأن و رب و البدل و مبتدا مفسر بالخبر و باب فاعل بخلف فاخبر و اعلم أن ضعف التّأليف ناشىء من العدول عن المشهور إلى قول له صحه عند بعض أولى النظر، أما إذا خالف المجمع عليه كجر الفاعل و رفع المفعول ففاسد غير معتبر، و الكلام فى (تركيب له صحه و اعتبار).

و لو أنّ مجدا أخذ الدهر واحدا

من الناس أبقى مجده الدهر (مطعما) (١)

الثالث: التعقيد اللفظي: هو كون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد به، بحيث تكون الألفاظ غير مرتّبه على وفق ترتيب المعاني. (و ينشأ ذلك التعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور و يتصل بعضها ببعض) (٢) و هو مذموم: لأنه يوجب اختلال المعنى و اضطرابه، من وضع ألفاظه في غير المواضع اللائقة بها كقول المتنبي: [الكامل]

جفخت و هم لا يجفخون بها بهم

شيم على الحسب الأغر دلائل (٣)

أصله: جفخت بهم شيم دلائل على الحسب الأغر، و هم لا يجفخون بها.

الرابع: التعقيد المعنوي: كون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد (٤) بحيث لا يفهم معناه إلا بعد عناء و تفكير طويل.

و ذلك لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة، المفتقره إلى وسائط كثيره، مع عدم ظهور القرائن الداله على المقصود: بأن يكون

ص: ٢٥

١- ١). فإن الضمير في (مجده) راجع إلى (مطعما) و هو متأخر في اللفظ كما يرى و في الرتبة لأنه مفعول به. فالبيت غير فصيح لمخالفته قواعد النحو. و مطعم أحد رؤساء المشركين، و كان يدافع عن النبي صلى الله عليه و آله. و معنى البيت أنه لو كان مجد الإنسان سببا لخلوده في هذه الدنيا لكان (مطعم بن عدى) أولى الناس بالخلود لأنه حاز من المجد ما لم يحزه غيره، على يد أصحاب الشريعة.

٢- ٢). و ذلك كالفصل بأجنبي بين الموصوف و الصفه، و بين البدل و المبدل منه، و بين المبتدأ و الخبر، و بين المستثنى و المستثنى منه، ما يسبب ارتباكا و اضطرابا شديدا.

٣- ٣). فلفظه جفخت مره الطعم، و إذا مرت على السمع اقشعر منها. و لو استعمل (المتنبي) عوضا عن جفخت (فخرت) لاستقام البيت، و حظى في استعماله بالأحسن.

٤- ٤). بحيث يعمد المتكلم إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلمات في غير معانيها الحقيقيه، فيسئ اختيار الكلمات للمعنى الذي يريد، فيضطرب التعبير و يلتبس الأمر على السامع نحو. نشر الملك ألسنته في المدينه، يريد جواسيسه و الصواب نشر عيونته.

فهم المعنى الثانى من الأول بعيدا عن الفهم عرفا (١). كما فى قول عباس بن الأحنف: [الطويل]

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا

و تسكب عيناى الدموع لتجمدا (٢)

جعل سكب الدموع كناية عما يلزم فى فراق الأحبه من الحزن و الكمد: فأحسن و أصاب فى ذلك، و لكنه أخطأ فى جعل جمود العين كناية عما يوجه التلاقى من الفرح و السرور بقرب أحبته، و هو خفى و بعيد (٣)، إذ لم يعرف فى كلام العرب عند الدعاء لشخص بالسرور أن يقال له: (جمدت عينك) أو لا زالت عينك جامده. بل المعروف عندهم أن جمود العين إنما يبنى به عن عدم البكاء حاله الحزن، كما فى قول الخنساء: [المقارب]

أعيني جودا و لا تجمدا

ألا تبكيان لصخر الندى

و كما فى قول أبى عطاء يرثى ابن هبيرة: [الطويل]

ص: ٢٦

١- ١). فالمناطق فى الصعوبه عدم الجريان على ما يتعاطاه أهل الذوق السليم، لا كثره الوسائط الحسيه، فإنها قد تكثر من غير صعوبه، كما فى قولهم: فلان كثير الرماد كناية عن المضياف، فإن الوسائط كثيره فيه و لكن لا تعقيد.
٢- ٢). تسكب بالرفع عطف على أطلت، و بالنصب عطف على بعد: من قبيل عطف الفعل على اسم خالص من التأويل بالفعل. و المراد طلب استمرار السكب: لا أصله لثلا يلزم تحصيل الحاصل.
٣- ٣). و وجه الخفاء و البعد: أن أصل معنى جمود العين جفافها من الدموع عند إرادتها منها، و الانتقال منه إلى حصول السرور بعيد لأنه يحتاج إلى وسائط. بأن ينتقل من جمود العين إلى انتفاء الدمع منها، حال إرادته البكاء، و منه إلى انتفاء الدمع مطلقا، و منه إلى انتفاء الحزن و نحوه «فإن ذلك هو السبب غالبا فى الدمع» و من انتفاء الحزن و نحوه إلى السرور، و لا يخفى أن الشاعر قد طوى و حذف جميع هذه الوسائط فأورث بقاء الانتقال من المعنى الأصل الحقيقى إلى المعنى المراد، و خالف حينئذ أسلوب البلغاء. فنشأ من ذلك التعقيد المعنوى. و اعلم أن الشاعر أراد أن يرضى بالبعد و الفراق، و يعود نفسه على مقاساه الأحزان و الأشواق. و يتحمل من أجلها حزنا يفيض من عينيه الدموع. ليتوصل بذلك إلى وصل يدوم. و مسره لا تزول، على حد قول الشاعر: [الكامل]. و لطالما اخترت الفراق مغالطا و احتلت فى استشمار غرس و دادى و رغبت عن ذكر الوصال لأنها تبنى الأمور على خلاف مرادى

ألا إنَّ عينا لم تجد يوم واسط

عليك بجارى دمعها لجمود (١)

و هكذا كل الكنايات التى تستعملها العرب لأغراض و يغيرها المتكلم، و يريد بها أغراضا أخرى تعتبر خروجاً عن سنن العرب فى استعمالاتهم، و يعدّ ذلك تعقيداً فى المعنى، حيث لا يكون المراد بها واضحاً.

الخامس: كثره التكرار (٢): كون اللفظ الواحد اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً.

و سواء أكان الاسم: ظاهراً أو ضميراً، تعدّد مرّته بعد أخرى بغير فائده كقوله: [الرجز]

إنى و أسطار سطرن سطرأ

لقائل يا نصر نصر نصراً

و كقول المتنبي: [البسيط]

أقل أنل اجمل علّ سل عد

زد هسّ بشّ تفضل أدن سرّ صل

و كقول أبى تمام فى المديح: [البسيط]

كأنه فى اجتماع الرّوح فيه له

فى كل جارحه من جسمه روح

السادس: تتابع الإضافات: كون الاسم مضافاً إضافته متداخلة غالباً، كقول ابن بابك: [الطويل]

حمامه جرعا حومه الجندل اسجعى

فأنت بمرأى من سعاد و مسمع (٣)

و ملخص القول: إنّ فصاحه الكلام تكون بخلوّه من تنافر كلماته. و من ضعف تأليفه، و تعقيد معناه، و من وضع ألفاظه فى غير المواضع اللائقة بها.

١-١) . أى لبخيله بالدموع.

٢-٢) . المراد بالكثرة ههنا ما فوق الواحده، فذكر الشىء ثانيا تكرر. و ذكره ثالثا كثره. و إنما شرطت الكثره لأن التكرار بلا كثره لا يخل بالفصاحه، و إلا لقبح التوكيد اللفظى.

٣-٣) . ففيه إضافه حمامه إلى جرعا و هو تأنيث الأجرع و هو المكان ذو الحجاره السود، أو مكان الرمل الذى لا ينبت شيئا «و جرعا» مضاف إلى «حومه» و هى معظم الشىء مضاف إلى «الجدل» بسكون النون و هو الحجر، و المراد به هنا مكان الحجاره، فهو بمعنى الجندل بفتح النون و كسر الدال، و قوله: فأنت بمرأى من سعاد و مسمع، أى أنت بحيث تراك سعاد و تسمع كلامك، يقول: اسجعى أرض قفره سبخه، فإن سعاد تراك و تسمعك.

بين العيوب التي أخلت بفصاحه الكلام فيما يأتي:

لك الخير غيرى رام من غيرك الغنى

و غيرى بغير اللاذقيه لاحق

[الطويل]

و أزور من كان له زائرا

و عاف عافى العرف عرفانه (١)

[السريع]

أنى يكون أبا البرايا آدم

و أبوك و الثقلان أنت محمد (٢)

[الكامل]

و من جاهل بى و هو يجهل جهله

و يجهل علمى أنه بى جاهل

[الطويل]

و قلقت بالهم الذى قلقل الحشا

قلاقل هم كلهن قلاقل

[الطويل]

و ما مثله فى الناس إلا مملكا

أبو أمه حى أبوه يقاربه (٣)

[الطويل]

- ١-١) . العيب فى تنافر الكلمات، و المعنى انحرف عنه من كان يزوره، و كره طالب الإحسان معرفته.
- ٢-٢) . يريد كيف يكون آدم أبا البرايا و أبوك محمد و أنت الثقلان أى الإنس و الجن. يعنى أنه قد جمع ما فى الخليقه من الفضل و الكمال، و قد فصل بين المبتدأ و الخبر و هما أبوك محمد. و قدم الخبر على المبتدأ تقديما قد يدعو إلى اللبس فى قوله: «و الثقلان و أنت» على أنه بعد هذا التعسف لم يسلم كلامه من سخف و هذر.
- ٣-٣) . يريد الفرزدق مدح إبراهيم بن إسماعيل خال هشام بن عبد الملك، و ما مثله فى الناس حى «أحد» يقاربه «يشابهه» إلا مملكا، أبوه، فقدم المستثنى على المستثنى منه، و فصل بين مثل و حى و هما بدل و مبدل منه و بين أبو أمه و أبوه و هما مبتدا و خبر، و بين حى و يقاربه و هما نعت و منعت، و لا يفصل بين كل منهما بأجنبى و المعنى: و ليس إبراهيم فى الناس أحد يشبهه فى الفضائل إلا ابن أخته هشام، فضمير أمه عائد على المملك، و ضمير أبوه عائد على إبراهيم الخال.

إلى ملك ما أمّه من محارب

أبوه ولا كانت كليب تصاهر (١)

[الطويل]

ليس إلاك يا علىّ همام

سيفه دون عرضه مسلول (٢)

[الخفيف]

كسا حلمه ذا الحلم أثواب سؤدد

ورقى نداه ذا الندى فى ذرا المجد (٣)

[الطويل]

من يهتدى فى الفعل ما لا يهتدى

فى القول حتى يفعل الشعراء (٤)

[الكامل]

ص: ٢٩

١-١) . يريد إلى ملك أبوه ليس أمه من محارب، أى ما أمه منهم.

٢-٢) . فيه ضعف تأليف حيث وضع الضمير المتصل بعد إلا، و حقه وضع المنفصل (إياك) .

٣-٣) . أى من كان ديدنه الحلم و الكرم حاز السيادة و الرفعه، فالضمير فى حلمه لذا الحلم المذكور بعد، فهو المتأخر لفظاً و معنى و حكماً، و كذا الضمير فى نداء لذا الندى.

٤-٤) . أى يهتدى فى الفعل ما لا يهتديه الشعراء فى القول حتى يفعل.

فصاحه المتكلم: عباره عن الملكه (١) التي يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح في أى غرض كان.

فيكون قادرا بصفه الفصاحه الثابته في نفسه على صياغه الكلام متمكنا من التصرف في ضروبه. بصيرا بالخوض في جهاته و مناخيه.

ص: ٣٠

١- ١). أى كيفيه و صفه من العلم راسخه و ثابتة في نفس صاحبها يكون قادرا بها على أن يعبر عن كل ما قصده من أى نوع من المعانى كالمدح و الذم و الرثاء و غير ذلك بكلام فصيح فإذا المراد على الاقتدار المذكور سواء وجد التعبير أو لم يوجد و أن من قدر على تأليف كلام فصيح في نوع واحد من تلك المعانى لم يكن فصيحاً، و أنه لا يكون فصيحاً إلا إذا كان ذا صفه من العلم راسخه فيه و هى المسماه «بالملكه» يقتدر بها على أن يعبر عن أى معنى قصده بكلام فصيح أى خال عن الخلل في مادته «و ذلك بعدم تنافر كلماته» و عن الخلل في تأليفه «و ذلك بعدم ضعف تأليفه» و عن الخلل في دلالة على المعنى التركيبى «و ذلك بعدم التعقيد اللفظى و المعنوى» فإن كان شاعرا اتسع أمامه ميدان القول في جميع فنون الشعر، من نسيب و تشبيب و مديح و هجاء و وصف و رثاء و عتاب و اعتذار و أشباه ذلك، و إن كان ناثرا حاك الرسائل المحلاه، و الخطب الممتعه الموشاه، في الوعظ، و الإرشاد و الحفل، و الأعياد.

البلاغه فى اللغه (الوصول و الانتهاء) يقال بلغ فلان مراده- إذا وصل إليه، و بلغ الركب المدينه، إذا انتهى إليها (1) و مبلغ الشىء منتهاه. و بلغ الرجل بلاغه فهو بليغ: إذا أحسن التعبير عمًا فى نفسه.

ص: ٣١

(١ - ١) . البلاغه هى تأديه المعنى الجليل واضحا بعباره صحيحه فصيحه: لها فى النفس أثر خلاب، مع ملاءمه كل كلام للموطن الذى يقال فيه، و الأشخاص الذين يخاطبون. و البلاغه مأخوذه من قولهم بلغت الغايه إذا انتهيت إليها، و بلغت غيرى، و المبالغه فى الشىء الانتهاء إلى غايته، فسميت البلاغه بلاغه لأنها تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، و سميت البلغه بلغه لأنك تتبلغ بها، فتنتهى بك إلى ما فوقها، و هى البلاغ أيضا و يقال: الدنيا بلاغ لأنها تؤديك إلى الآخره و البلاغ أيضا التبليغ و منه هذا بلاغ للناس- أى تبليغ- و يقال بلغ الرجل بلاغه إذا صار بليغا، كما يقال نبل الرجل نباله إذا صار نبيلًا، قال أعرابى. البلاغه التقرب من البعيد، و التباعد من الكلفه: و الدلاله بقليل على كثير، و قال عبد الحميد بن يحيى، البلاغه تقرير المعنى فى الأفاء، من أقرب وجوه الكلام، و قال ابن المعتز: البلاغه البلوغ إلى المعنى و لم يطل سفر الكلام، و قال العتابى: البلاغه مد الكلام بمعانيه إذا قصر، و حسن التأليف إذا طال، و قال عبد الله بن المقفع: البلاغه لمعان تجرى فى وجوه كثيره، فمنها ما يكون فى الإشاره، و منها ما يكون فى الحديث و منها ما يكون فى الاستماع، و منها ما يكون فى الاحتجاج. و منها ما يكون شعرا. و منها ما يكون ابتداء و منها ما يكون جوابا و منها ما يكون خطبا، و منها ما يكون رسائل. فعامه هذه الأبواب الوحى فيها و الإشاره إلى المعنى أبلغ، و الإيجاز هو البلاغه. فالسكوت يسمى بلاغه مجازا، و هى فى حاله لا ينجح فيها القول، و لا ينفع فيها إقامه الحجج إما عند جاهل لا يفهم الخطاب أو عند وضع لا يرهب الجواب، أو ظالم سليط يحكم بالهوى، و لا يرتدع بكلمه التقوى و إذا كان الكلام يعرى من الخير. أو يجلب الشر فالسكوت أولى، و قال الرشيد: البلاغه التباعد من الإطاله، و التقرب من البغيه و الدلاله بالقليل من اللفظ، على الكثير من المعنى قال أحد الأدباء: أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، و قل مجازه و كثر إعجازه و تناسب صدوره و أعجازه.

و تقع البلاغه فى الاصطلاح: وصفا للكلام، و المتكلم فقط.

و لا توصف الكلمه بالبلاغه، لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه، و لعدم السماع بذلك.

بلاغه الكلام

البلاغه فى الكلام: مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب (١)، مع فصاحه ألفاظه مفردا و مركبا.

و الكلام البليغ: هو الذى يصوره المتكلم بصوره تناسب أحوال المخاطبين.

و حال الخطاب: و يسمى بالمقام هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صوره مخصوصه دون أخرى.

و المقتضى: و يسمى الاعتبار المناسب هو الصوره المخصوصه التى تورد عليها العبارة.

مثلا: المدح حال يدعو لإيراد العبارة على صوره الإطناب. و ذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صوره الإيجاز. فكل من المدح و الذكاء حال و مقام. و كل من الإطناب و الإيجاز مقتضى.

ص: ٣٢

١ - ١). مقتضى الحال، هو ما يدعو إليه الأمر الواقع، أى ما يستلزمه مقام الكلام و أحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص. و لن يطابق الحال إلا- إذا كان وفق عقول المخاطبين، و اعتبار طبقاتهم فى البلاغه، و قوتهم فى البيان و المنطق، فللسوقه كلام لا يصلح غيره فى موضعه، و الغرض الذى يبنى له، و لسراه القوم و الأمراء فن آخر لا يسد مسده سواه، من أجل ذلك كانت مراتب البلاغه متفاوتة، بقدر تفاوت الاعتبارات المقتضيات و بقدر رعايتها يرتفع شأن الكلام فى الحسن و القبح، و يرتقى سعدا إلى حيث تنقطع الاطماع، و تخور القوى، و يعجز الإنس و الجن أن يأتوا بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا، و تلك مرتبه الإعجاز التى تخرس عندها ألسن الفصحاء لو تاقت إلى العبارة: و قد عرف بالخبر المتواتر أن القرآن الكريم نزل فى أوفى العصور فصاحه، و أجملها بلاغه. و لكنه سد السبل أمام العرب عند ما صاح عليهم صيحه الحق. فوجفت قلوبهم، و خرست شقاشقهم، مع طول التحدى و شد النكير (و حقت للكتاب العزيز الكلمه العليا).

و إيراد الكلام على صورته الإطناب (١) أو الإيجاز مطابقه للمقتضى و ليست البلاغه (٢) إذا منحصره فى إيجاد معان جليله، و لا فى اختيار ألفاظ واضحه جزيله. بل هى تتناول مع هذين الأمرين أمرا ثالثا: هو إيجاد أساليب مناسبه للتأليف بين تلك المعانى و الألفاظ مما يكسبها قوه و جمالا.

و ملخص القول: أن الأمر الذى يحمل المتكلم على إيراد كلامه فى صورته دون أخرى: يسمى «حالا» و إلقاء الكلام على هذه الصوره التى اقتضاها الحال يسمى «مقتضى» و البلاغه هى مطابقه الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال.

ص: ٣٣

١-١). فإن اختلاف هذه الظروف يقتضى هيئه خصوصيه من التعبير، و لكل مقام مقال، فعلى المتكلم ملاحظه المقام أو الحال: و هو الأمر الذى يدعوه إلى أن يورد كلامه على صورته خاصه تشاكل غرضه، و تلك الصوره الخاصه التى يورد عليها تسمى المقتضى، أو الاعتبار المناسب، فمثلا- الوعيد و الزجر و التهديد مقام يقتضى كون الكلام المورد فيه فخما جزلا، و البشاره بالوعد، و استجلاب الموده، مقام يتطلب رقيق الكلام و لطيفه: و الوعظ مقام يوجب البسط و الاطناب، و كون المخاطب عاميا سويا، أو أميرا شريفا، يوجب الاتيان بما يناسب بيانه عقله.

٢-٢). لأن البلاغه كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه فى نفسه كتمكنه فى نفسك مع صورته مقبوله، و معرض حسن، و إنما جعلنا حسن المعرض و قبول الصوره شرطا فى البلاغه، لأن الكلام إذا كانت عبارته رثه، و معرضه خلقا، لم يسم بليغا و إن كان مفهوم المعنى؛ مكشوف المغزى. فعناصر البلاغه إذا (لفظ و معنى، و تأليف للألفاظ)؛ يمنحها قوه و تأثيرا و حسنا. ثم دقه فى اختيار الكلمات و الأساليب، على حسب مواطن الكلام و مواقعه، و موضوعاته و حال السامعين و النزعه النفسيه التى تملكهم و تسيطر على نفوسهم، فرب كلمه حسنت فى موطن، ثم كانت مستكرهه فى غيره، و رب كلام كان فى نفسه حسنا خلابا، حتى إذا جاء فى غير مكانه، و سقط فى غير مسقطه، خرج عن حد البلاغه، و كان غرضا لسهام الناقدین.

بلاغه المتكلم: هي ملكه في النفس (1) يقتدر بها صاحبها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال. مع فصاحته في أى معنى قصده.

و تلك غايه لن يصل إليها إلا من أحاط بأساليب العرب خبرا، و عرف سنن مخاطبهم فى منافراتهم، و مفاخراتهم، و مديحهم، و هجائهم، و شكرهم، و اعتذارهم؛ ليلبس لكل حاله لبوسها، و لكل مقام مقال.

ص: ٣٤

١ - ١). أى أن الهيئه و الصفه الراسخه الثابته فى نفس المتكلم يمكنه بواسطتها أن يعبر عن المعانى التى يريد إفادتها لغيره بعبارات بليغه، أى مطابقه لحال الخطاب. فلو لم يكن ذا ملكه يقتدر بها على التصرف فى أغراض الكلام و فنونه بقول رائع، و بيان بديع بالغاً من مخاطبه كل ما يريد، لم يكن بليغاً، و إذا لا بد للبلوغ: أولاً من التفكير فى المعانى التى تجيش فى نفسه، و هذه يجب أن تكون صادقه ذات قيمه، و قوه يظهر فيها أثر الابتكار و سلامه النظر و ذوق تنسيق المعانى و حسن ترتيبها، فإذا تم له ذلك عمد إلى الألفاظ الواضحه المؤثره الملائمه، فألف بينها تأليفاً يكسبها جمالا و قوه. فالبلاغه ليست فى اللفظ وحده، و ليست فى المعنى وحده، و لكنها أثر لازم لسلامه تألف هذين و حسن انسجامهما. و قد علم أن البلاغه أخص و الفصاحه أعم لأنها مأخوذه فى تعريف البلاغه، و أن البلاغه يتوقف حصولها على أمرين، الأول: الاحتراز عن الخطأ فى تأديه المعنى المقصود، و الثانى: تمييز الكلام الفصيح من غيره، لهذا كان للبلاغه درجات متفاوتة تعلق و تسفل فى الكلام بنسبه ما تراعى فيه مقتضيات الحال، و على مقدار جوده ما يستعمل فيه من الأساليب فى التعبير و الصور البيانيه و المحسنات البديعيه و أعلى تلك الدرجات ما يقرب من حد الاعجاز، و أسفلها ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات العجم، و إن كان صحيح الإعراب: و بين هذين الطرفين مراتب عديده.

١-قال قدامه: البلاغه ثلاثه مذاهب:

المساواه: و هى مطابقه اللفظ المعنى، لا زائدا و لا ناقصا.

و الإشاره: و هى أن يكون اللفظ كاللمحه الداله.

و التذليل: و هو إعاده الألفاظ المترادفه على المعنى الواحد، ليظهر لمن لم يفهمه، و يتأكد عند من فهمه (١).

٢-و قيل لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ فقال: أن يكون اللفظ محيطا بمعناك، كاشفا عن مغزاك، و تخرجه من الشركه، و لا تستعين عليه بطول الفكره، و يكون سالما من التكلف، بعيدا من سوء الصنعه، بريئا من التعقيد، غنيا عن التأمل (٢).

٣-و مما قيل فى وصف البلاغه: لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغه حتى يسابق معناه لفظه، و لفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك (٣).

٤-و سأل معاويه صحارا العبدى: ما البلاغه؟ قال: أن تجيب فلا تبطىء، و تصيب فلا تخطىء (٤).

٥-و قال الفضل: قلت لأعرابى ما البلاغه؟ قال: الإيجاز فى غير عجز، و الإطناب فى غير خطل (٥).

٦-و سئل ابن المقفع: ما البلاغه؟ فقال: البلاغه اسم جامع لمعان تجرى فى وجوه كثيره: فمنها ما يكون فى السكوت، و منها ما يكون فى الاستماع، و منها ما يكون فى الإشاره، و منها ما يكون فى الحدث، و منها ما يكون فى الاحتجاج، و منها ما يكون جوابا، و منها ما يكون ابتداء، و منها ما يكون شعرا، و منها ما يكون سجعا و خطبا، و منها ما يكون رسائل. فعامة ما يكون من هذه الأبواب-الوحى فيها، و الإشاره إلى المعنى، و الإيجاز هو البلاغه.

ص: ٣٥

١-١ . نهايه الأرب، جزء ٧، ص ٨.

٢-٢ . نهايه الأرب، جزء ٧، ص ٩.

٣-٣ . من كتاب البيان و التبيين للجاحظ، جزء ١، صحيفه ٩١.

٤-٤ . نهايه الأرب، جزء ٧، ص ٨.

٥-٥ . البيان و التبيين، جزء ١، ص ٩١.

فأما الخطب بين السَّماطين، و في إصلاح ذات البين، فالإكثار في غير خطل، و الإطاله في غير إملال. و ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك فقيل له: فإن ملّ المستمع الإطاله التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف؟ قال: إذا أعطيت كل مقام حقه، و قمت بالذى يجب من سياسه ذلك المقام، و أرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد و العدو، فإنه لا يرضيهما شيء. و أما الجاهل فلست منه، و ليس منك. و قد كان يقال: «رضاء الناس شيء لا ينال» (١).

٧- و لابن المعتز: أبلغ الكلام: ما حسن إيجازه، و قلّ مجازه، و كثر إعجازه، و تناسبت صدوره و أعجازه (٢).

٨- و سمع خالد بن صفوان رجلا يتكلم، و يكثر الكلام.

فقال: اعلم-رحمك الله-أن البلاغه ليست بخفه اللسان، و كثره الهذيان، و لكنها بإصابه المعنى، و القصد إلى الحجه (٣).

٩- و لبشر بن المعتمر فيما يجب أن يكون عليه الخطيب و الكاتب: رساله من أنفس الرسائل الأديبه البليغه، جمعت حدود البلاغه و صورتها أحسن تصوير. و سند كرم مع شيء من الإيجاز ما يتصل منها بموضوعنا-قال:

خذ من نفسك ساعه نشاطك، و فراغ بالك، و إجابتها إياك، فإن قليل تلك الساعه أكرم جوهرًا، و أشرف حسبا، و أحسن في الأسماع و أحلى في الصدور، و أسلم من فاحش الخطأ، و أجلب لكل عين و غرّه من لفظ شريف، و معنى بديع. و اعلم أن ذلك أجدى عليك: مما يعطيك يومك الأطول بالكّدّ و المطاوله و المجاهده، و بالتكليف و المعاوده. و إياك و التوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، و التعقيد هو الذى يستهلك معانيك، و يشين ألفاظك، و من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، و من حقهما أن تصونهما عما يفسدهما و يهجنهما. . .

ص: ٣٦

١-١ . البيان و التبيين، جزء ١، ص ٩٢، ٩١.

٢-٢ . نهاية الأرب، جزء ٧، ص ١١.

٣-٣ . مختار العقد الفريد، ص ٩٨.

و كن فى ثلاث منازل: فىن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا و فخما سهلا، و يكون معناك ظاهرا مكشوفاً، و قريبا معروفا. إمّا عند الخاصه: إن كنت للخاصه قصدت، و إمّا عند العامه: إن كنت للعامه أردت، و المعنى ليس يشرف بأن يكون من معانى الخاصه، و كذلك ليس يتّضع بأن يكون من معانى العامه، و إنما مدار الشرف على الصواب، و إحراز المنفعه، مع موافقه الحال، و ما يجب لكل مقام من المقال، و كذلك اللفظ العامى و الخاصى؛ فىن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك و بلاغه قلمك، و لطف مداخلك، و اقتدارك على نفسك... على أن تفهم العامه معانى الخاصه، و تكسوها الألفاظ الواسعه التى لا تلتف عن الدهماء، و لا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام.

فىن كانت المنزله الأولى لا تواتيك و لا تعتريك، و لا تسنح لك عند أول نظرك، و فى أول تكلفك، و تجد اللفظه لم تقع موقعها، و لم تصل إلى حقها: من أماكنها المقسومه لها، و القافيه لم تحلّ فى مركزها و فى نصابها، و لم تصل بشكلها، و كانت قلقه فى مكانها، نافرّه من موضعها. فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن، و النزول فى غير أوطانها، فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون، و لم تتكلف اختيار الكلام المنثور، لم يعبك بترك ذلك أحد. و إن أنت تكلفته، و لم تكن حاذقا مطبوعا، و لا محكما لسانك. بصيرا بما عليك أو ما لك، عابك من أنت أقلّ عيبا منه و رأى من هو دونك أنه فوقك. فىن ابتليت بأن تتكلف القول، و تتعاطى الصنعه، و لم تسمح لك الطباع فى أول وهله، و تعصى عليك بعد إحاله الفكره، فلا تعجل و لا تضجر و دعه بياض يومك، أو سواد ليلك، و عاوده عند نشاطك و فراغ بالك، فإنك لا تعدم الإجابه و المواتاه، إن كانت هناك طبيعه، أو جريت من الصناعه على عرق.

فىن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض، و من غير طول إهمال، فالمنزله الثالثه أن تتحول من هذه الصناعه إلى أشهى الصناعات إليك، و أخفها عليك... ، لأن النفوس تجود بمكنونها مع الرغبه، و لا تسمح بمخزونها مع الرهبه؛ كما تجود به مع المحبه و الشهوه. فهكذا هذا.

و ينبغي للمتكلم: أن يعرف أقدار المعانى؛ و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين، و بين أقدار الحالات؛ فيجعل لكل طبقه من ذلك كلاما، و لكل حاله من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعانى، و يقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات، و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.

و بعد، فأنت ترى فيما قالوه: أن حد البلاغه-هو أن تجعل لكل مقام مقالا؛ فتوجز: حيث يحسن الإيجاز، و تطنب: حيث يجمل الإطناب، و تؤكد: فى موضع التوكيد، و تقدم أو تؤخر، إذا رأيت ذلك أنسب لقولك و أوفى بعرضك، و تخاطب الذكى بغير ما تخاطب به الغبى، و تجعل لكل حال ما يناسبها من القول، فى عباره فصيحته، و معنى مختار. و من هنا عرّف العلماء البلاغه بأنها مطابقه الكلام لمقتضى الحال مع فصاحه عباراته.

و اعلم: أن الفرق بين الفصاحه و البلاغه: أن الفصاحه مقصوره على وصف الألفاظ، و البلاغه لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعانى؛ و أن الفصاحه تكون وصفا للكلمه و الكلام، و البلاغه لا تكون وصفا للكلمه، بل تكون للكلام؛ و أن فصاحه الكلام شرط فى بلاغته.

فكل كلام بليغ فصيح، و ليس كل فصيح بليغا، كالذى يقع فيه الإسهاب حين يجب الإيجاز.

بين الحال و مقتضاه فيما يلي:

١-هناك محاذات العزاء المقدّما

فما عبس المحزون حتى تبسما (١)

[الطويل]

٢-تقول للراضى عن إثاره الحروب: إن الحرب متلفه للعباد، ذهابه (٢) بالطارف و التلاد.

٣-يقول الناس إذا رأوا لصًا أو حريقًا: لصّ، حريق (٣).

٤-قال تعالى: وَ أَنَا لَا نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (٤)[الجن: ١٠].

٥-يقول رائى البرامكة:

أصبت بساده كانوا عيوننا

بهم نسقى إذا انقطع الغمام (٥)

[الوافر]

ص: ٣٩

١-١) . الحال هنا هو تعجيل المسره، و المقتضى هو تقديم الكلمه الداله على السرور، و هى «كلمه هناء» .

٢-٢) . الحال هنا هو إنكار الضرر من الحرب، و المقتضى هو توكيد الكلام.

٣-٣) . الحال هنا هو ضيق المقام، و المقتضى هو الاختصار بحذف المسند إليه و التقدير، هذا لص. هذا حريق.

٤-٤) . الحال فى (أشّر أريد) هو عدم نسبه الشر إلى الله تعالى. و المقتضى هو حذف الفاعل، إذ الأصل. أشّر أراده الله بمن فى

الأرض؟ و الحال فى (أم أراذ بهم ربهم رشدا) هو نسبه الخير إلى الله تعالى، و المقتضى بقاء الفاعل من غير حذف «أى فعل

الإراداه جاء مع الشر على صورته المبني للمجهول، و مع الرشده على صورته المبني للمعلوم، و الحال الداعيه إلى بناء الأول

للمجهول (التأدب) فى جانب الله تعالى بعدم نسبه الشر إليه صراحه، و إن كان الخير و الشر مما قدره الله تعالى و أراده» .

٥-٥) . الحال هنا هو الخوف من (الرشيد) ناكب البرامكة، و المقتضى حذف الفاعل من أصبت.

١-التَّنَافَرُ: يعرف بالذُّوق السليم، و الحسِّ الصادق (١).

٢-مخالفة القياس: تعرف بعلم الصِّرف.

٣-ضعف التَّأليف و التَّعقيد اللفظيين: يعرفان بعلم النحو.

٤-الغرابه: تعرف بكثرة الأطلاق على كلام العرب، و الإحاطه بالمفردات المأنوسه.

٥-التَّعقيد المعنوى: يعرف بعلم البيان.

٦-الأحوال و مقتضياتها: تعرف بعلم المعانى.

٧-خلوُّ الكلام من أوجه التَّحسين: التى تكسوه رقه و لطافه بعد رعايه مطابقته: يعرف بعلم البديع.

فإذا وجب على طالب البلاغه: معرفه اللغه. و الصِّرف. و التَّحو، و المعانى و البيان، و البديع، مع كونه سليم الذُّوق، كثير الاطلاع على كلام العرب، و صاحب خبره وافره بكتب الأدب، و درايه تامه بعاداتهم و أحوالهم، و استظهار للجيد الفاخر من نثرهم و نظمهم، و علم كامل بالنابعين من شعراء و خطباء و كتّاب ممّن لهم الأثر البين فى اللغه و الفضل الأ-كبر على اللسان العربى المبين.

ص: ٤٠

١- ١). الذوق: فى اللغه الحاسه يدرك بها طعم المأكّل، و فى الاصطلاح، قوه غريزيه لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام و محاسنه الخفيفه، و تحصل بالمتابره على الدرس، و ممارسه كلام أئمه الكتاب، و تكراره على السمع، و التفطن لخواص معانيه و تراكيبه، و أيضا تحصل بتنزيه العقل و القلب عما يفسد الآداب و الأخلاق فإن ذلك من أقوى أسباب سلامه الذوق. و اعلم أن (الذوق السليم) هو العمده فى معرفه حسن الكلمات و تمييز ما فيها من وجوه البشاعه و مظاهر الاستكراه، لأن الألفاظ أصوات، فالذى يطرب لصوت البلبل، و ينفر من صوت البوم و الغربان، ينبو سمعه عن الكلمه إذا كانت غريبه متنافره الحروف، ألا ترى أن كلمتى (المزنه و الديمه، للسحابه الممطره) كلتاها سهله عذبه يسكن إليها السمع، بخلاف كلمه (البعاق) التى فى معناها فإنها قبيحه تصك الأذن و أمثال ذلك كثير فى مفردات اللغه تستطيع أن تدركه بذوقك، و قد سبق شرح ذلك.

إشارة

يحسن أيضا بطالب البلاغه أن يعرف شيئا عن الأسلوب الذى هو المعنى المصوغ فى ألفاظ مؤلفه على صورته تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، و أفعال فى نفوس سامعيه.

و أنواع الأساليب ثلاثة:

١- الأسلوب العلمى:

و هو أهدأ الأساليب، و أكثرها احتياجا إلى المنطق السليم، و الفكر المستقيم، و أبعدها عن الخيال الشعري؛ لأنه يخاطب العقل، و يناجى الفكر، و يشرح الحقائق العلميه التى لا تخلو من غموض و خفاء، و أظهر ميزات هذا الأسلوب: الوضوح. و لا بد أن يبدو فيه أثر القوه و الجمال؛ و قوته فى سطوع بيانه، و رصانه حججه. و جماله فى سهوله عباراته، و سلامه الذوق فى اختيار كلماته، و حسن تقريره المعنى فى الأفهام، من أقرب وجوه الكلام.

فيجب أن يعنى فيه باختيار الألفاظ الواضحه الصريحه فى معناها الخاليه من الاشتراك، و أن تؤلف هذه الألفاظ فى سهوله و جلاء، حتى تكون ثوبا شفافا للمعنى المقصود، و حتى لا تصبح مثارا للظنون، و مجالا للتوجيه و التأويل.

و يحسن التنجى عن المجاز، و محسنات البديع فى هذا الأسلوب، إلا ما يجيء من ذلك عفوا، من غير أن يمس أصلا من أصوله أو ميزه من ميزاته.

أما التشبيه الذى يقصد به تقريب الحقائق إلى الأفهام، و توضيحها بذكر مماثلها، فهو فى هذا الأسلوب مقبول.

٢- الأسلوب الأدبى:

و الجمال أبرز صفاته، و أظهر مميزات و منشأ جماله، لما فيه من خيال رائع، و تصوير دقيق، و تلمس لوجوه الشبه البعيده بين الأشياء، و إلباس المعنوى ثوب المحسوس، و إظهار المحسوس فى صورته المعنوى.

هذا-و من السهل عليك: أن تعرف أن الشعر و النثر الفني هما موطننا هذا الأسلوب، ففيهما يزدهر، و فيهما قنّه الفنّ و الجمال.

٣- الأسلوب الخطابي:

هنا تبرز قوّه المعاني و الألفاظ، و قوه الحجّج و البرهان، و قوه العقل الخصب، و هنا يتحدث الخطيب إلى إرادته سامعيه لإثارة عزائمهم، و استنهاض هممهم، و لجمال هذا الأسلوب و وضوحه، شأن كبير في تأثيره، و وصوله إلى قراره النفوس، و ممّا يزيد في تأثير هذا الأسلوب، منزله الخطيب في نفوس سامعيه، و قوه عارضته، و سطوع حجّته، و نبرات صوته، و حسن إلقائه، و محكم إشاراته. و من أظهر مميزات هذا الأسلوب: التكرار و استعمال المترادفات و ضرب الأمثال، و اختيار الكلمات الجزله ذات الرنين.

و يحسن فيه أن تتعاقب ضروب التعبير من إخبار، إلى استفهام، إلى تعجب، إلى استنكار، و أن تكون مواطن الوقف كافيه شافيه، ثم واضحه قويّه.

و يظنّ الناشئون في صناعه الأدب أنه كلما كثر المجاز و كثرت التشبيهات، و الأخيله، في هذا الأسلوب-زاد حسنه.

و هذا خطأ بين، فإنه لا يذهب بجمال هذا الأسلوب أكثر من التكلّف، و لا يفسده شرّ من تعمد الصّناعه.

إن الكلام البيغ: هو الذي يصوره المتكلم بصوره تناسب أحوال المخاطبين، و إذا لا بد لطالب البلاغه أن يدرس هذه الأحوال، و يعرف ما يجب أن يصور به كلامه في كل حاله، فيجعل لكل مقام مقالا.

و قد اتفق رجال البيان على تسميه العلم الذي تعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق اقتضاء الحال: باسم: علم المعانى (1).

ص: ٤٣

١- ١). قال بعض العلماء: المعانى المتصوره فى عقول الناس المتصله بخواطرهم، خفيه بعيده. لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، و لا- حاجه أخيه، و لا- مراد شريكه و لا- المعاون على أمره إلا- بالتعبير التى تقربها من الفهم، و تجعل الخفى منها ظاهرا و البعيد قريبا، فهى تخلص الملتبس، و تحل المنعقد، و تجعل الخفى منها ظاهرا مطلقا و المجهول معروفا، و الوحشى مألوفاً، و على قدر وضوح الدلاله و صواب الإشاره يكون ظهور المعنى، و العاقل يكسو المعانى فى قلبه، ثم يبديها بألفاظ عرائس فى أحسن زينه. فينال المجد و الفخار، و يلحظ بعين العظمه و الاعتبار. و الجاهل يستعجل فى إظهار المعانى قبل العناية بتزيين معرضها، و استكمال محاسنها فيكون بالدم موصوفا و بالنقص معروفا، و يسقط من أعين السامعين، و لا يدرج فى سلك العارفين. و اعلم أن الأصل فى اللفظ أن يحمل على ظاهر معناه؛ و من ذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كما جاء فى القرآن وَ لِيَأْبَكَ فَظَهَّرْ فَإِن الظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس و من تأول ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس و هذا لا بد له من دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ. و اعلم أيضا أنه يجب على صناعه معانى المعانى أن يرجع المعانى بحيث يرجع بين حقيقه و مجاز، أو بين حقيقتين، أو مجازين.

١- علم المعاني أصول و قواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال (١) بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له.

فذكاء المخاطب: حال تقتضى إيجاز القول، فإذا أوجزت في خطابه كان كلامك مطابقا لمقتضى الحال، و غباوته حال تقتضى الإطناب و الإطالة- فإذا جاء كلامك في مخاطبته مطنبا: فهو مطابق لمقتضى الحال، و يكون كلامك في الحالين بليغا، و لو أنك عكست لانتفت من كلامك صفة البلاغه.

٢- و موضوعه: اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثواني (٢) التي هي الأغراض لمقصوده للمتكلم: من جعل الكلام مشتملا على تلك اللطائف و الخصوصيات، التي بها مطابق مقتضى الحال.

ص: ٤٤

١- ١). الحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى إيراد خصوصيه في الكلام، و تلك الخصوصيه هي مقتضى الحال، مثلا إن كان بينك و بين مخاطبك عهد بشيء، فالعهد حال يقتضى إيراد الكلام معرفا، و التعريف هو مقتضى الحال، فالحال هو ما بعد لام التعليل المذكوره بعد كل خصوصيه كقولك في الذكر: لكون ذكره الأصل و في الحذف: حذف للاستغناء عنه، و هلم جرا.

٢- ٢). أى المعاني الأول، ما يفهم من اللفظ بحسب التركيب. و هو أصل المعنى مع زياده الخصوصيات من التعريف و التنكير: قال بعض أهل المعاني: الكلام الذى يوصف بالبلاغه، هو الذى يدل بلفظه على معناه اللغوى. أو العرفى أو الشرعى، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانيه على المعنى المقصود الذى يريد المتكلم إثباته أو نفيه، فهناك ألفاظ و معان ثوان، فالمعاني الأول هي مدلولات التركيب، و الألفاظ التي تسمى في علم النحو أصل المعنى، و المعاني الثواني و الأغراض التي يساق لها الكلام لذا قيل (مقتضى الحال) و هو المعنى الثانى كرد الإنكار و دفع الشك، مثلا إذا قلنا إن زيدا قائم. فالمعنى الأول هو القيام المؤكد. و المعنى الثانى هو رد الإنكار. و دفع الشك بالتوكيد، و هلم جرا، و الذى يدل على المعاني خمسه أشياء: اللفظ و الإشاره و الكنايه، و العقد، و الحال.

٣-وفائده: أ- معرفه إعجاز القرآن الكريم، من جهه ما خصّه الله به من جوده السبك، و حسن الوصف، و براعه التراكيب، و لطف الإيجاز و ما اشتمل عليه من سهوله التركيب، و جزاله كلماته، و عذوبه ألفاظه و سلامتها، إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته، و حارت عقولهم أمام فصاحته و بلاغته.

ب- و الوقوف على أسرار البلاغه و الفصاحه: في مثور كلام العرب و منظومه، كى تحتذى حذوه، و تنسج على منواله، و تفرق بين جيد الكلام و رديئه.

٤- و واضعه: الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ (١).

ص: ٤٥

١- (١). اعلم أنه لما احتدم الجدل في صدر الدوله العباسيه، إبان زهو اللغه و عزها في بيان وجوه إعجاز القرآن. و تعددت نزعات العلماء في ذلك. و لما قامت سوق نافقه للمناظره بين أئمه اللغه و النحو، أنصار الشعر القديم الذين جنحوا إلى المحافظه على أساليب العرب. رأوا الخير كله في الوقوف عند أوضاعهم. و بين الأدباء و الشعراء أنصار الشعر الحديث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم و آمنوا بان للحضاره التي غدوا بلبانها آثارا، غدوا معها في حل من كل قديم و لما شجر الخلاف بين أساطين الأدب في بيان جيد الكلام و رديئه. دعت هذه البواعث و لفتت أنظار العلماء إلى وضع قواعد و ضوابط يتحاكم إليها الباحثون. و تكون دستوراً للناظرين في آداب العرب (المنثور منها و المنظوم). لا نعلم أحدا سبق أبا عبيده بن المثنى المتوفى سنة ٢١١ هـ تلميذ الخليل بن أحمد في تدوين كتاب في علم البيان يسمى (مجاز القرآن) كما لا نعرف بالضبط أول من ألف في علم المعاني، و إنما أثر فيه نبذ عن بعض البلغاء كالجاحظ في كتابه «إعجاز القرآن». و ابن قتيبه في كتابه «الشعراء»، و المبرد في كتابه «الكامل» و لكن نعلم أن أول من ألف في البديع (الخليفه عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي) المتوفى سنة ٢٩٦ هـ و ما زالت هذه العلوم تسير في طريق النمو، حتى نزل في الميدان (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني) المتوفى سنة ٤٧١ هـ فشم عن ساعد الجد، فدون كتابيه، أسرار البلاغه، و دلائل الإعجاز، و قرن فيهما بين العلم و العمل، ثم جاء إثر عبد القاهر، (جار الله الزمخشري)، فكشف في تفسيره «الكشاف»؛ عن وجوه إعجاز القرآن، و أسرار بلاغته، و أوضح ما فيه من الخصائص و المزايا، و قد أبان خلالها كثيرا من

٥- واستمداده: من الكتاب الشريف، والحديث النبوي، وكلام العرب.

و اعلم أنّ المعانى جمع معنّى؛ و هو فى اللغة المقصود.

و فى اصطلاح البيهقيين: هو التعبير باللفظ عما يتصوره الذّهن، أو هو الصورة الذّهنيه: من حيث تقصد من اللفظ.

و اعلم أنّ لكل جملة ركنين:

مسندا: و يسمى محكوما به، أو مخبرا به.

مسندا إليه: و يسمى محكوما عليه، أو مخبرا عنه.

و أمّا التّسبه التى بينهما فتدعى إسنادا.

و ما زاد على المسند و المسند إليه من مفعول، و حال، و تمييز، و نحوها فهو قيد زائد على تكوينها، إلاّ صله الموصول، و المضاف إليه ٢ (١).

و الإسناد انضمام كلمه (٢) المسند إلى أخرى (٣) المسند إليه على وجه يقيد الحكم

(١)

قواعد هذه الفنون، ثم نهض بعده (أبو يعقوب يوسف السكاكى) المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فى القسم الثالث من كتاب «المفتاح» ما لا مزيد عليه. و جاء بعده علماء القرن السابع فما بعده يختصرون و يضعون مؤلفاتهم حسب ما تسمح به مناهج التعليم للمتعلمين فى كل قطر من الأقطار حتى غدت أشبه بالمعميات و الألغاز.

ص: ٤٦

١- ١). اعلم أنّ الجمل ليست فى مستوى واحد عند أهل المعانى، بل منها جمل رئيسيه و جمل غير رئيسيه. و الأولى هى المستقله التى لم تكن قيّدا فى غيرها، و الثانيه ما كانت قيّدا إعرابيا فى غيرها، و ليست مستقله بنفسها. و القيود هى: أدوات الشرط، و النفي، و التوابع، و المفاعيل، و الحال، و التمييز، و كان و أخواتها، و إن و أخواتها، و ظن و أخواتها، كما سيأتى.

٢- ٢). أى: و ما يجرى مجراها.

٣- ٣). أى: و ما يجرى مجراها، كما سيأتى.

١- ١). تنبيه: الإسناد مطلقا قسمان: حقيقه عقليه، و مجاز عقلى، فالحقيقه العقليه هى إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى ما وضع له عند المتكلم فى الظاهر من حاله نحو: تجرى الأمور بما لا يشتهى البشر. و أنبت الله النبات. و المجاز العقلى (و يسمى إسنادا مجازيا، و مجازا حكما، و مجازا فى الإسناد) هو إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى غير ما وضع له لعلاقه مع قرينه مانعه من إرادته الإسناد إلى ما هو له نحو، تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن، و له علاقات شتى فيلائم الفاعل لوقوعه منه. نحو سيل مفعم بفتح العين أى مملوء، فإسناد مفعم و هو مبنى للمفعول إلى ضمير السيل و هو فاعل مجاز عقلى ملابسته الفاعليه، و يلائم المفعول به لوقوعه عليه نحو عيشه راضيه: فإسناد راضيه و هو مبنى للفاعل إلى ضمير العيشه و هى مفعول به (مجاز عقلى) ملابسته المفعوليه، و يلائم الزمان و المكان لوقوعه فيهما نحو صام نهارا. و سال الميزاب، و نهار صائم، و نهر جار، و يلائم المصدر نحو جد جده، و يلائم السبب نحو بنى الأمير المدينه، و كما يقع المجاز العقلى فى الإسناد يقع فى النسبه الإضافيه: كمكر الليل، و جرى الأنهار: و شقاق بينهما. و غراب البين (على زعم العرب) و فى النسبه الإيقاعيه: نحو وَ أَطِيعُوا أَمْرِي وَ لَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ، و أجريت النهر، و كما يكون فى الإثبات يكون فى النفي نحو قوله تعالى: فَمَا زَبَحَتْ بِجَارْتُهُمْ وَ مَا نَامَ لَيْلِي، على معنى خسرت تجارتهم، و سهر ليلى قصد إلى إثبات النفي، لا نفي الإثبات، و يكون أيضا فى الإنشاء كما سبقت الإشارة إليه نحو قوله تعالى: أَ صَبَّأْتَ كَأَمْرُكَ وَ نَحْوِهَا يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَبَّأً وَ لِيَصْمَ نَهَارَكَ وَ لِيَجِدَ جَدَّكَ، و لیت النهر جار، و ما أشبه ذلك. و أقسامه باعتبار حقيقه طرفيه و مجازيتهما أربعة، لأنهما إما حقيقتان لغويتان نحو أنبت الربيع البقل، أو مجازان لغويان نحو أحيا الأرض شباب الزمان، إذ المراد بإحياء الأرض تهيج القوى الناميه فيها، و إحداث نضارتها بأنواع الرياحين و الإحياء فى الحقيقه إعطاء الحياه، و هى صفه تقتضى الحس و الحركه و كذا المراد بشباب الزمان، زمان ازدياد قواها الناميه، و هو فى الحقيقه عباره عن كون الحيوان فى زمان تكون حرارته الغريزيه مشبوهه أى قويه مشتعله، أو المسند حقيقه لغويه و المسند إليه مجازى لغوى: نحو أنبت البقل شباب الزمان، أو المسند إليه حقيقه لغويه و المسند مجاز لغوى نحو أحيا الأرض الربيع: و وقوع المجاز العقلى فى القرآن كثير: نحو ما تقدم، و نحو وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا، وَ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا، أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وَ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا. و لا بد له من قرينه صارفه عن إرادته المعنى الأصلى لأن الفهم لو لا القرينه يتبادر إلى الحقيقه، و القرينه إما

١- خبر المبتدأ: نحو قادر من قولك: الله قادر.

٢- والفعل التام: نحو حضر من قولك: حضر الأمير.

٣- اسم الفعل: نحو هيهات و وى و آمين.

(١)

لفظيه و إما معنويه فاللفظيه كقولك هزم الأمير الجند و هو فى قصره، و المعنويه كاستحاله قيام المسند بالمسند إليه المذكور معه عقلا- بمعنى أنه لو خلى العقل و نفسه عد ذلك القيام محالا كقولك محبتك جاءت بى إليك لاستحاله قيام المجيء بالمحبه عقلا، و كاستحاله ما ذكر عاده نحو هزم الأمير الجند لاستحاله قيام هزيمه الجند بالأمير وحده عاده، و إن أمكن، و كان يصدر من الموحد: نحو [المتقارب]. أشاب الصغير و أفنى الكبى ر كر الغداه و مر العشى فإن صدور ذلك من الموحد قرينه معنويه على أن إسناد أشاب و أفنى إلى كر الغداه و مر العشى مجاز، ثم هذا غير داخل فى الاستحاله إذ قد ذهب إليه كثير من المبطلين. و لا- يجب أن يكون فى المجاز العقلى للفعل فاعل يعرف الإسناد إليه حقيقه. بل تاره يكون له فاعل. يعرف إسناده إليه حقيقه كما تقدم، و تاره لا، نحو قوله: [مجزوء الوافر]. يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا فإن اسناد الزيادة للوجه مجاز عقلى و ليس لها أى الزيادة فاعل يكون الإسناد إليه معروفا حقيقه، و مثله سرتنى رؤيتك و أقدمنى بلدك حق لى عليك، فهذه الأمثله و نحوها من المجاز العقلى الذى لا فعل له يعرف الإسناد إليه حقيقه: كما قال الشيخ (عبد القاهر)، و قيل لا بد له من فاعل يعرف الإسناد إليه حقيقه، و معرفته إما ظاهره نحو **فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ** أى فما ربحوا فى تجارتهم، و إما خفيه كهذه الأمثله و الفاعل الله تعالى. هذا، و قد أنكر (السكاكى) المجاز العقلى ذاهبا إلى أن أمثله السابقه و نحوها منتظمه فى سلك الاستعاره بالكنايه فنحو أنبت الربيع البقل يجعل الربيع استعاره عن الفاعل الحقيقى بواسطه المبالغه فى التشبيه، و يجعل نسبه الاثبات إليه قرينه الاستعاره و سيأتى مذهبه، إن شاء الله تعالى فى فن البيان عند الكلام على الاستعاره بالكنايه. تنبيه: ذكر بعض المؤلفين (مبحث المجاز العقلى و الحقيقه العقليه) فى أحوال الإسناد من علم المعانى. و بعضهم ذكرهما فى فن البيان عند تقسيم اللفظ إلى حقيقه و مجاز و لكل وجهه.

٤-و المبتدأ الوصف المستغنى عن الخبر بمرفوعه: نحو عارف من قولك: أعارف أخوك قدر الإنصاف.

٥-و أخبار التواسخ: كان و نظائرها، و إنّ و نظائرها.

٦-و المفعول الثانى لظنّ و أخواتها.

٧-و المفعول الثالث لأرى و أخواتها. نحو: يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ.

٨-و المصدر النائب عن فعل الأمر: نحو سعيًا فى الخير.

و مواضع المسند إليه ستة:

١-الفاعل للفعل التام أو شبهه: نحو فؤاد و أبوه من قولك: حضر فؤاد العالم أبوه.

٢-و أسماء التواسخ: كان و أخواتها، و إنّ و أخواتها، نحو: المطر من قولك: كان المطر غزيرا، و نحو: إنّ المطر غزير.

٣-و المبتدأ الذى له خبر: نحو العلم من قولك: العلم نافع.

٤-و المفعول الأول لظن و أخواتها.

٥-و المفعول الثانى لأرى و أخواتها.

٦-و نائب الفاعل: كقوله تعالى: وَ وُضِعَ الْكِتَابُ [الكهف:٤٩].

ثم إن المسند و المسند إليه يتنوعان إلى أربعة أقسام:

١-إما أن يكونا كلمتين حقيقه: كما ترى فى الأمثلة السالفه.

٢-و إما أن يكونا كلمتين حكما، نحو: لا إله إلا لله ينجو قائلها من النار، أى: توحيد الإله نجاه من النار.

٣-و إما أن يكون المسند إليه كلمه حكما، و المسند كلمه حقيقه نحو: تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه، أى: سماعك بالمعيديّ خير من رؤيته.

٤- وإما بالعكس. نحو: الأمير قرب قدومه، أى الأمير: قريب قدومه (١)

و يسمى المسند و المسند إليه: ركنى الجملة.

و كل ما عداهما يعتبر قيذا زائدا عليها كما سبق الكلام عليه.

و ينحصر علم المعانى فى ثمانية أبواب و خاتمه.

ص : ٥٠

١- ١) . فى الأول بؤول، سماعك بالمعيدى خير، و فى الثانى: الأمير قريب قدومه، و فى نحو لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار، عدم شريك للمولى نجاه من النار.

الخبر: كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته (١).

و إن شئت فقل: الخبر هو ما يتحقق مدلوله فى الخارج بدون النطق به. نحو: العلم نافع، فقد أثبتنا صفه النفع للعلم، و تلك الصفه ثابتة له، سواء تلفظت بالجملة السابقه أم لم تلفظ. لأن نفع العلم أمر حاصل فى الحقيقه و الواقع، و إنما أنت تحكى ما اتفق عليه الناس قاطبه، و قضت به الشرائع، و هدت إليه العقول، بدون نظر إلى إثبات جديد.

و المراد بصدق الخبر مطابقته للواقع و نفس الأمر. و المراد بكذبه عدم مطابقته له.

فجملة: «العلم نافع»، إن كانت نسبه الكلاميه «و هى ثبوت النفع للعلم المفهومه من تلك الجملة» مطابقه للنسبه الخارجيه، أى موافقه لما فى الخارج و الواقع فصدق و إلا فكذب

ص: ٥١

١-١). أى بقطع النظر عن خصوص المخبر، أو خصوص الخبر، و إنما ينظر فى احتمال الصدق و الكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله: و ذلك لتدخل الأخبار الواجبه الصدق كأخبار الله تعالى، و أخبار رسله. و البديهيات المألوفه، نحو السماء فوقنا، و النظريات المتعين صدقها و لا تحتمل شكًا كإثبات العلم و القدره للمولى سبحانه و تعالى، و لتدخل الأخبار الواجبه الكذب كأخبار المتنبئين فى دعوى النبوه.

نحو: الجهل نافع فنسبته الكلاميه ليست مطابقيه و موافقه للنسبه الخارجيه (١).

المقاصد والأغراض التي من أجلها يلقى الخبر

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين:

أ- إما إفاده المخاطب الحكم الذي تضمّنته الجملة، إذا كان جاهلا له، و يسمى هذا النوع: فائده الخبر نحو: الدّين المعامله.

ب- وإما إفاده المخاطب أن المتكلم عالم أيضا بأنه يعلم الخبر كما تقول لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان و علمته من طريق آخر: أنت نجحت في الامتحان، و يسمى هذا النوع: لازم الفائدة: لأنه يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علم أو ظنّ به.

و قد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن، و من سياق الكلام: أهمّها:

١- الاسترحام و الاستعطاف، نحو: إني فقير إلى عفو ربّي (٢).

٢- تحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله، نحو: ليس سواء عالم و جهول.

٣- إظهار الضّعف و الخشوع. نحو: رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي [مريم: ٤].

٤- إظهار التحسّر على شيء محبوب. نحو: إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنتَى [آل عمران: ٣٦].

ص: ٥٢

١- ١). فمطابقه النسبه الكلاميه للنسبه الخارجيه ثبوتا و نفيًا صدق، و عدم المطابقه كذب، فالنسبه التي دل عليها الخبر و فهمت منه تسمى كلاميه. و النسبه التي تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر تسمى خارجيه، فحينئذ هناك نسبتان نسبه تفهم من الخبر. و يدل عليها الكلام و تسمى النسبه الكلاميه، و نسبه أخرى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر و تسمى النسبه الخارجيه. فما وافق الواقع فهو صدق، و ما خالف الواقع فهو كذب.

٢- ٢). فليس الغرض هنا إفاده الحكم. و لا- لازم الفائدة، لأن الله تعالى عليم و لكنه طلب عفو ربه، و لهذا ترى في الكلام العربي أخبارا كثيرة لا يقصد بها إفاده المخاطب الحكم. و لا أن المتكلم عالم به، فتكون قد خرجت عن معناها الأصلي السالف ذكره إلى أغراض أخرى.

٥- إظهار الفرح بمقبل، و الشماته بمدير. نحو: جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ [الإسراء: ٨١].

٦- التوبيخ كقولك للعاثر: الشمس طالعه.

٧- التذكير بما بين المراتب من التفاوت نحو: لا يستوى كسلان و نشيط.

٨- التحذير. نحو: أبغض الحلال إلى الله الطلاق.

٩- الفخر. نحو: إن الله اصطفاني من قريش.

١٠- المدح كقوله: [الطويل].

فإنك شمس و الملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

و قد يجيء لأغراض أخرى، و المرجع في معرفه ذلك إلى الذوق و العقل السليم.

تمرين

عين الأغراض المستفاده من الخبر في الأمثلة الآتية:

١- قال تعالى: لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ، فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقره: ٢٨٤].

٢- قال تعالى: عَبَسَ وَ تَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْمَأْمُومِيُّ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى، أَمَّا مَنْ اسْتَعْزَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى، وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى! وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَ هُوَ يَخْشَى، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى [عبس: ١-١٠].

٣- قال صلى الله عليه و آله: «عدل ساعه في حكومه خير من عباده ستين سنه» .

٤- قال صلى الله عليه و آله: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَشْرَكَ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ الْجُورَ فِي عَدْلِهِ» .

٥- من خطبه له عليه الصلاه و السلام بمكه حين دعا قومه إلى الإسلام: «إِنَّ الزَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَاللَّهُ لَوْ كَذَبَتِ النَّاسَ مَا كَذَبْتَكُمْ وَ لَوْ غَرَّرَتِ النَّاسَ مَا غَرَّرْتَكُمْ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ حَقًّا، وَ إِلَى النَّاسِ كَافَةٌ» .

٦- وقال الشريف الرضى: [الكامل]

جار الزمان فلا جواد يرتجى

للنابثات ولا صديق يشفق

و إذا الحلیم رمى بسرّ صديقه

عمدا فأولى بالوداد الأحمق

٧- وقال المعرى [الطويل]

عرفت سجايا الدهر، أما شروره

فنفد، و أما خيره فوعود

٨- وقال: [الطويل]

رأيت سكوتى متجرا فلزمته

إذا لم يفد ربها فلست بخاسر

٩- وقال أيضا: [الوافر]

أرى ولد الفتى عبثا عليه

لقد سعد الذى أمسى عقيما

فإما أن يربيه عدوا

و إما أن يخلفه يتيما

١٠- قال ابن حيوس مادحا: [الطويل]

بنى صالح أقصدتم من رميتم

و أحييتم من أم معروفكم قصدا

و ذلّتم صعب الزمان لأهله

فذلّ وقد كان الجماح له وكدا

مناقب لو أن الليالي توشحت

بأذيالها لا بيضّ منهن ما اسودّا

١١- وقال أبو فراس: [الطويل]

صبت على اللأواء صبر ابن حزه

كثير العدا فيها قليل المساعد

منعت حمى قومي و سدت عشيرتي

وقلّدت أهلي غز هذي القلائد

ص: ٥٤

حيث كان الغرض من الكلام الإفصاح و الإظهار، يجب أن يكون المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض، يشخص حالته، و يعطيه ما يناسبها. فحقّ الكلام: ، أن يكون بقدر الحاجه، لا زائدا عنها، لئلا يكون عبثا، و لا ناقصا عنها، لئلا يخلّ بالغرض، و هو: الإفصاح و البيان.

لهذا تختلف صور الخبر في أساليب اللغه باختلاف أحوال المخاطب الذى يعتريه ثلاث أحوال:

أولا: أن يكون المخاطب خالى الذهن من الخبر. غير متردد فيه و لا منكر له، و فى هذه الحال لا يؤكّد له الكلام، لعدم الحاجه إلى التوكيد. نحو قوله تعالى: **الْمَالُ وَ الْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** [الكهف:٤٦]. و يسمى هذا الضرب من الخبر: ابتدائيا و يستعمل هذا الضرب حين يكون المخاطب خالى الذهن من مدلول الخبر فيتمكن فيه لمصادفته إياه خاليا (١).

ثانيا: أن يكون المخاطب مترددا فى الخبر، طالبا الوصول لمعرفته، و الوقوف على حقيقته فيستحسن تأكيد (٢) الكلام الملقى إليه تقويه للحكم، ليتمكن من نفسه و يطرح الخلاف وراء ظهره، نحو: إن الأمير منتصر.

ص: ٥٥

١-١ . عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

٢-٢ . المراد بالتأكيد فى هذا الباب تأكيد الحكم، لا تأكيد المسند إليه و لا تأكيد المسند. و اعلم أن الخطاب بالجمله الاسميه وحدها آكد من الخطاب بالجمله الفعلية، فإذا أريد مجرد الاخبار أتى بالفعل، و أما إن أريد التأكيد فبالاسميه وحدها، أو بها مع إن، أو بهما و باللام، أو بالثلاثه و القسم، و اعلم أن لام الابتداء هى الداخلة على المبتدأ، و اللاحقه للخبر، كما أن السين و سوف لا تفيدان التوكيد إلا إذا كانت للوعد أو الوعيد.

و يسمّى هذا الضرب من الخبر: طلبياً و يؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب شاكاً في مدلول الخبر، طالبا التثبت من صدقه.

ثالثاً: أن يكون المخاطب منكراً للخبر الذى يراد إلقاؤه إليه، معتقداً خلافه، فيلزم تأكيد الكلام له بمؤكد. أو مؤكداً أو أكثر، على حسب حاله من الإنكار، قوه و ضعفه. نحو: إنّ أخاك قادم، أو إنه لقادم، أو والله إنه لقادم. أو لعمري: إنّ الحقّ يعلو و لا يعلو عليه. و يسمّى هذا الضرب من الخبر: إنكارياً و يؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب منكراً.

و اعلم أنه كما يكون التأكيد فى الإثبات، يكون فى النفي أيضاً، نحو: ما المقتصد بمفتقر، و نحو: و الله ما المستشير بنادم.

تنبيهات

الأول: لتوكيد الخبر أدوات كثيرة، و أشهرها إنّ، و لام الابتداء و أحرف التنبية، و القسم، و نونا التوكيد، و الحروف الزائدة (كتفعل و استفعل نحو: استعفف)، و التكرار، و قد، و أمّا الشرطية، و إنّما، و اسميه الجملة، و ضمير الفصل، و تقديم الفاعل المعنوى.

الثانى: يسمى إخراج الكلام على الأضرب الثلاثة السابقة إخراجاً على مقتضى ظاهر الحال (1).

و قد تقتضى الأحوال العدول عن مقتضى الظاهر و يورد الكلام على خلافه لاعتبارات يلحظها المتكلم، و سلوك هذه الطريقة شعبه من البلاغه.

١- منها: تنزيل العالم بفائده الخبر، أو لازمها، أو بهما معاً، منزله الجاهل بذلك، لعدم جريه على موجب علمه فيلقى إليه الخبر كما يلقى إلى الجاهل به، كقولك لمن يعلم وجوب

ص: ٥٦

١ - ١). اعلم أن (الحال) هو الأمر الداعى إلى إيراد الكلام مكيفاً بكيفية ما سواء أكان ذلك الأمر الداعى ثابتاً فى الواقع، أو كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم كتنزيل المخاطب غير السائل منزله السائل. (و ظاهر الحال) هو الأمر الداعى إلى إيراد الكلام مكيفاً بكيفية مخصوصه بشرط أن يكون ذلك الأمر الداعى ثابتاً فى الواقع فكل كيفية اقتضاها ظاهر الحال اقتضاها الحال، و ليس كل كيفية اقتضاها الحال اقتضاها ظاهره.

الصلاه، و هو لا يصلى: الصلاه واجبه تويخا على عدم عمله بمقتضى علمه، و كقولك، لمن يؤذى أباه: هذا أبوك.

٢- ومنها تنزيل خالى الذهن منزله السائل المتردد، إذا تقدّم فى الكلام ما يشير إلى حكم الخبر كقوله سبحانه و تعالى: **وَ مَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** [يوسف: ٥٣] فمدخول إنّ مؤكّد لمضمون ما تقدمه، لإشعاره بالتردد فيما تضمنه مدخولها، و كقوله سبحانه و تعالى: **وَ لَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرَقُونَ** [الدخان: ٢٤]. لما أمر المولى نوحا أولا بصنع الفلك، و نهاه ثانيا عن مخاطبته بالشفاعة فيهم، صار مع كونه غير سائل فى مقام السائل المتردد (١). هل حكم الله عليهم بالإغراق؟ فأجيب بقوله: **إِنَّهُمْ مُعْرَقُونَ**.

٣- منها: تنزيل غير المنكر منزله المنكر: إذا ظهر عليه شىء من أمارات الإنكار؛ كقول حجل بن نضله القيسى «من أولاد عمّ شقيق». [السريع].

جاء شقيق عارضا رمحه

إنّ بنى عمك فيهم رماح

فشقيق رجل لا ينكر رماح بنى عمه. و لكن مجيئه على صورته المعجب بشجاعته، واضعا رمحه على فخذه بالعرض و هو راكب أو حاملا له عرضا على كتفه فى جهه العدو بدون اكرائه به، بمنزله إنكاره أن لبنى عمه رماحا، و لن يجد منهم مقاوما له كأنهم كلّهم فى نظره

ص: ٥٧

١- ١). أى فصار الكلام مظنه للتردد و الطلب و إن لم يتردد المخاطب، و لم يطلب بالفعل، و ذلك لأنه تكاد نفس الذكى إذا قدم لها ما يشير إلى جنس الخبر أن تتردد فى شخص الخبر، و تطلبه من حيث إنها تعلم أن الجنس لا يوجد إلا فى فرد من أفراده فيكون ناظر إليه بخصوصه كأنه متردد فيه كنظر السائل، فقوله: و لا تخاطبني، يشير إلى جنس الخبر و أنه عذاب، و قوله إنهم مغرقون، يشير إلى خصوص الخبر الذى أشير إليه ضمنا فى قوله و لا تخاطبني، و كقول الشاعر: [الوافر] ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجاني عتاب فالأصل: أن يورد الخبر هنا خاليا من التوكيد، لأن المخاطب خالى الذهن من الحكم، و لكن لما تقدم فى الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متشوقا لمعرفة فتزل منزله السائل المتردد الطالب، و استحسّن إلقاء الكلام إليه مؤكدا جريا على خلاف مقتضى الظاهر.

عزل، ليس مع أحد منهم رمح. فأكد له الكلام استهزاء به، خوطب خطاب التفات بعد غيبه تهكما به، و رميا له بالنزق و خرق
الرأى.

٤- ومنها تنزيل المتردد منزله الخالى، كقولك للمتردد فى قدوم مسافر مع شهرته: قدم الأمير.

٥- ومنها تنزيل المتردد (١) منزله المنكر، كقولك للسائل المستبعد لحصول الفرج: إن الفرج لقريب.

٦- ومنها تنزيل المنكر منزله الخالى، إذا كان لديه دلائل و شواهد لو تأملها لارتدع و زال إنكاره كقوله تعالى: **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ [البقره: ١٦٣]**. و كقولك لمن ينكر منفعه لطب: **الطّب نافع**.

٧- ومنها تنزيل المنكر منزله المتردد، كقولك لمن ينكر شرف الأدب إنكارا ضعيفا: «إنّ الجاه بالمال إنّما يصحبك ما صحبك المال، و أمّا الجاه بالأدب فإنه غير زائل عنك» .

الثالث: قد يؤكد الخبر لشرف الحكم و تقويته، مع أنه ليس فيه تردّد و لا إنكار، كقولك فى افتتاح كلام: **إنّ أفضل ما نطق به اللسان كذا (٢)**.

ص: ٥٨

١- ١) . و فائده التنزيل و جوب زياده التأكيد قوه و ضعفا، لأنه نزل المتردد منزله المنكر، فيعطى حكمه حينئذ و هكذا تفهم فى عكسه و هو تنزيل المنكر منزله المتردد فى استحسان التوكيد له. و اعلم أنه إذا التبس إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بإخراجه على مقتضى الظاهر يحتاج إلى قرينه تعين المقصود أو ترجمه، فإن لم توجد قرينه صح حمل الكلام على كل من الأمرين، و ذلك كجعل السائل كالخالى، و جعل المتردد كالمنكر، فإن وجدت قرينه عمل بها، و الأصح الحكم بأحدهما.

٢- ٢) . من مزايا اللغة العربيه دقه التصرف فى التعبير، و اختلاف الأساليب باختلاف المقاصد و الأغراض، فمن العيب الفاضح عند ذوى المعرفه بها «الاطناب» إذا لم تكن هناك حاجه إليه «و الإيجاز و الاختصار» حيث تطلب الزيادة، و قد تخفى دقائق تراكيها على الخاصه بله العامه، فقد أشكل أمرها على بعض ذوى الفطنه من نابتة القرن الثالث: إبان زهو اللغه و نضره شبابها، يرشدك إلى ذلك ما رواه الثقافه من أن المتفلسف الكندى: ركب إلى أبى العباس المبرد و قال له: **إنى لأجد فى كلام العرب حشوا، فقال أبو العباس فى أى موضع وجدت**

بين أغراض الخبر و المقاصد منه فيما يأتي:

- ١- قومي هم قتلوا أميم أخي فإذا رميت يصيني سهمي (١) [الكامل]
- ٢- قد كنت عدتي التي أسطو بها و يدي إذا اشتد الزمان و ساعدي (٢) [الكامل]
- ٣- أبا المسك أرجو منك نصرا على العدي و أمل عزا يخضب البيض بالدم (٣) [الطويل]
- ٤- كفى بجسمي نحولا أننى رجل لو لا مخاطبتى إياك لم ترنى (٤) [البيسط]

(٢)

ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون عبد الله قائم. ثم يقولون: إن عبد الله قائم، ثم يقولون، إن عبد الله لقائم، فالألفاظ متكرره، و المعنى واحد، فقال أبو العباس بل المعانى مختلفه لاختلاف الألفاظ، فالأول إخبار عن قيامه، و الثانى جواب عن سؤال سائل، و الثالث جواب عن إنكار منكر قيامه؛ فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعانى. فما أحرار المتفلسف جوابا. و من هذا: نعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجه. لا أزيد و إلا كان عبثا، و لا أنقص و لا أخل بالعرض، و هو الإفصاح و البيان.

ص: ٥٩

-
- ١-١ . إظهار الحسره على موت أخيه بيد قومه.
 - ٢-٢ . إظهار الضعف لكونه أصبح بلا معين.
 - ٣-٣ . الاسترحام بطلب المساعدة و شد الأزر.
 - ٤-٤ . إظهار الضعف بأن نحو له صيره إلى ما وصف.

أحص المؤكدات فى العبارات التالىة، و بين ضروب الخبر التلاتة:

١- ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف و إقدام و حزم و نائل [الطويل]

٢- و إن امرأ قد سار خمسين حجّه إلى منهل من ورده لقريب [الطويل]

٣- ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا متبسما عن باطن متجهم [الكامل]

٤- قال تعالى: لَئِن أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ [يونس: ٢٢].

٥- قال تعالى: وَ جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتاً وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاساً وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً. [النبا: ٩-١١]

٦- أمّا الفراق فإنه ما أعهد هو توأمى، لو أن بينا يولد [الكامل]

٧- و إن الذى بينى و بين بنى أبى و بين بنى عمى لمختلف جدا (١) [الطويل]

ص: ٦٠

١- (*) الرقم المؤكدات ١ ألا- (أداه استفتاح و تنبيه) ٢ إن، قد، اللام فى (لقريب) ٣ الباء الزائده فى (بمن) ٤ لام القسم، لام التوكيد، نون التوكيد ٥ تكرار جعلنا ٦ أما، إن، أن ٧ أن، لام الابتداء ضرب الخبر طلبى إنكارى لزياده المؤكدات على واحد طلبى إنكارى طلبى طلبى لأن كل مؤكده فى جملة إنكارى لزياده المؤكدات على واحد

٨- إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ [يس:١٤]

٩- وَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنْبَغُنِي وَحَسْبُكَ أَنْ اللَّهُ أَتْنَى عَلَى الصَّبْرِ [الطويل]

١٠- وَإِنِّي لَقَوْلٍ لَدَى الْبَيْتِ مَرْحَبًا وَأَهْلًا إِذَا مَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ مَرْصَدٍ (١) [الطويل]

ص: ٦١

١- (*) ٨ لما روى القرآن قصه رسل عيسى الذين أرسلهم إلى قومه فأنكروا رسالتهم قال لهم الرسل إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْكَلَامَ مُؤَكَّدًا بِمُؤَكَّدِينَ، فَكَذَّبُوا فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ مُؤَكَّدِينَ لَهُمُ الْقَوْلَ بِمُؤَكَّدٍ ثَالِثٍ، فَجَحَدُوا، فَقَالُوا لَهُمْ: رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ فَزَادُوا مُؤَكَّدًا رَابِعًا وَهُوَ الْقَسَمُ.

إشاره

١- الجملة الفعلية: ما تركبت من فعل و فاعل، أو من فعل و نائب فاعل؛ و هى: موضوعه لإفاده التجدد و الحدوث فى زمن معين مع الاختصار (١) نحو: يعيش البخيل عيشه الفقراء، و يحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء. و نحو: اشرفت الشمس و قد ولى الظلام هاربا. فلا يستفاد من ذلك إلا ثبوت الإشراق للشمس، و ذهاب الظلام فى الزمان الماضى.

و قد تفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجددى شيئا فشيئا بحسب المقام، و بمعونه القرائن، لا بحسب الوضع (٢)، بشرط أن يكون الفعل مضارعا نحو قول المتنبي: [الطويل].

تدبر شرق الأرض و الغرب كفه

و ليس لها يوما عن المجد شاغل

فقرينه المدح تدل على أن تدبير الممالك ديدنه، و شأنه المستمر الذى لا يحدد عنه. و يتجدد أنا، فأنا.

ب- و الجملة الاسمية: هى ما تركبت من مبتدأ و خبر، و هى تفيد بأصل وضعها ثبوت شىء لشىء (٣) ليس غير، بدون نظر إلى تجدد و لا استمرار، نحو: الأرض متحركة، فلا

ص: ٦٢

١- ١). و ذلك أن الفعل دال بصيغته على أحد الأزمنة الثلاثة بدون احتياج لقرينه بخلاف الاسم: فإنه يدل على الزمن بقرينه ذكر لفظه: الآن، أو أمس، أو غدا.

٢- ٢). و ذلك نظير الاستمرار الثبوتى فى الجملة الاسمية نحو لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَتَّتُمْ أَى لو استمر على إطاعتكم وقتا فوقتا لحصل لكم عنت و مشقه.

٣- ٣). فالجملة الاسمية موضوعه لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه. قال الشيخ عبد القاهر: موضوع الاسم على أن يثبت به الشىء للشىء من غير اقتضاء أنه يتجدد و يحدث شيئا فشيئا: فلا تعرض فى نحو: زيد منطلق، لأكثر من إثبات الانطلاق له فعلا، كما فى زيد طويل و عمرو قصير، أى أن ثبوت الطول و القصر هو بأصل الوضع، و أما استفاده الدوام فمن الملازمه فى هذين الوصفين، و حينئذ فالتمثيل للنفى.

يستفاد منها سوى ثبوت الحركة للأرض، بدون نظر إلى تجدد ذلك و لا حدوثه.

و قد تخرج الجملة الاسميه عن هذا الأصل، و تفيد الدوام و الاستمرار بحسب القرائن: إذا لم يكن فى خبرها فعل مضارع: و ذلك بأن يكون الحديث فى مقام المدح، أو معرض الذم كقوله تعالى: وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم:٤] فسياق الكلام فى معرض المدح دال على إرادته الاستمرار مع الثبوت، و منه قول النضر بن جؤبه يتمدح بالغنى و الكرم: [البسيط].

لا يَألف الدرهم المضروب صرّتنا

لكن يمر عليها و هو منطلق

يريد أن دراهمه لا ثبات لها فى الصره و لا بقاء، فهى دائما تنطلق منها، و تمرق مروق السهام من قسيتها، لتوزع على المعوزين و أرباب الحاجات.

و اعلم أن الجملة الاسميه لا تفيد الثبوت بأصل وضعها، و لا الاستمرار بالقرائن، إلا إذا كان خبرها مفردا نحو: الوطن عزيز. أو كان خبرها جملة اسميه نحو: الوطن هو سعادتى. أما إذا كان خبرها فعلا فإنها تكون كالجمله الفعلية فى إفاده التجدد و الحدوث فى زمن مخصوص، نحو: الوطن يسعد بأبنائه، و نحو: [المتقارب].

نروح و نغدو لحاجاتنا

و حاجه من عاش لا تنقضى

ص: ٦٣

أسئلة يطلب أجوبتها

ما هو علم المعاني؟ ما هو الإسناد؟ ما هي مواضع المسند و المسند إليه؟ ما المراد بصدق الخبر و كذبه؟ ما الفرق بين النسبه الكلاميه و النسبه الخارجيه؟ ما هو الأصل في إلقاء الخبر؟ ما هي الأغراض الأخرى التي يلقي إليها الخبر؟ ما هي أضرب الخبر؟ ما هي أدوات التوكيد؟ لماذا يعدل عن مقتضى الظاهر؟ إلى كم ينقسم الخبر؟ لأي شيء وضعت الجملة الاسميه و الفعلية؟ هل تفيد الجملة الفعلية و الاسميه غير ما وضعتا لأجله؟

تدريب

بين فائده التعبير بالجملة الاسميه أو الفعلية في التراكيب الآتية:

١- قال تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ [الرعد: ٣٩].

٢- نروح و نغدو لحاجاتنا و حاجه من عاش لا تنقضي [المتقارب]

٣- و على إثرهم تساقط نفسى حسرات و ذكرهم لى سقام (١)[الخفيف]

ص: ٦٤

الإنشاء لغه: الإيجاد، و اصطلاحا: كلام لا يحتمل صدقا و لا كذبا لذاته (1)، نحو اغفر- و ارحم، فلا ينسب إلى قائله صدق-أو كذب. و إن شئت فقل في تعريف الإنشاء: هو ما لا يحصل مضمونه و لا يتحقق إلا إذا تلفظت به. فطلب الفعل في: افعل، و طلب الكف في لا تفعل، و طلب المحبوب في: التمني، و طلب الفهم في: الاستفهام، و طلب الإقبال في النداء، كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها.

و ينقسم الإنشاء إلى نوعين: إنشاء طلبى، و إنشاء غير طلبى.

فالإنشاء غير الطلبى: ما لا يستدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، و يكون: بصيغ المدح، و الذم، و صيغ العقود، و القسم، و التعجب و الرجاء، و يكون برّب و لعلّ، و كم الخبرية.

١- أما المدح و الذم فيكونان: بنعم و بئس، و ما جرى مجراهما. نحو حبّذا و لا حبّذا؛ و الأفعال المحوّله إلى فعل نحو طاب على نفسا و خيث بكر أصلا.

٢- أما العقود: فتكون بالماضى كثيرا، نحو بعت و اشتريت و وهبت، و بغيره قليلا، نحو عبدى حرّ لوجه الله تعالى.

ص: ٦٥

١-١). أى بقطع النظر عما يستلزمه الإنشاء فإنّ «اغفر» يستلزم خيرا و هو أنا طالب المغفره منك، و كذا لا تكسل، يستلزم خيرا، و هو أنا طالب عدم كسلك، لكن كل هذا ليس لذاته.

٣- أما القسم: فيكون: بالواو، و الباء، و التاء، و غيرها نحو: لعمر ك ما فعلت كذا.

٤- أما التعجب: فيكون قياسا بصيغتين، ما أفعله، و أفعل به و سماعا بغيرهما، نحو: لله درّه عالما، كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ
أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ [البقره: ٢٨].

٥- أما الرّجاء: فيكون: بعسى، و حرى، و اخلوق، نحو: عسى الله أن يأتي بالفتح.

و اعلم أنّ الإنشاء غير الطلبي لا- تبحث عنه علماء البلاغ، لأن أكثر صيغه في الأصل أخبار نقلت إلى الإنشاء. و إنما المبحوث عنه في علم المعاني هو: الإنشاء الطلبي: لما يمتاز به من لطائف بلاغيّه.

إذن يتضح أن الإنشاء الطلبي هو الذي يستدعى مطلوبا (١) غير حاصل (٢) في اعتقاد المتكلم وقت الطلب. و أنواعه خمسة: الأمر، و النهي و الاستفهام، و التمني، و النداء (٣). و في هذا الباب خمسة مباحث.

ص: ٦٦

١ - ١) . اعلم أنه إذا كان المطلوب غير متوقع كان الطلب (تمنيا) و إن كان متوقعا فأما حصول صوره أمر في الذهن فهو (الاستفهام) و أما حصوله في الخارج فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل، فهو (النهي) و إن كان ثبوته: فأما بأحد حروف (النداء) فهو النداء، و أما بغيرها فهو (الأمر) . و بهذا تعلم أن الطلب هنا منحصر في هذه الأنواع الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغيّه.

٢ - ٢) . أي لأنه لا يليق طلب الحاصل، فلو استعمل صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع إجراؤها على معانيها الحقيقيه، و يتولد من تلك الصيغ ما يناسب المقام، كطلب دوام الإيمان و التقوى في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ، و هلم جرا.

٣ - ٣) . و يكون الإنشاء الطلبي أيضا، بالعرض و التحضيض، و لكن لم يتعرض لهما البيانين لأنهما مولدان على الأصح من الاستفهام و التمني، فالأول من الهمزه مع لا النافية في «ألا» و الثاني من هل و لو للتمنى مع لا و ما الزائدين في «هلا و ألا» بقلب الهاء همزه. و كذا: لو لا- و لو ما، و اعلم أن الإنشاء الطلبي نوعان، الأول ما يدل على معنى الطلب بلفظه و يكون بالخمسه المذكوره. و الثاني: ما يدل على الطلب بغير لفظه كالنداء.

الأمر: هو طلب الفعل من المخاطب: على وجه الاستعلاء (١) مع الإلزام، وله أربع صيغ:

١- فعل الأمر كقوله تعالى: يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ [مريم: ١٢].

٢- المضارع المجزوم بلام الأمر كقوله سبحانه و تعالى: لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ [الطلاق: ٧].

٣- اسم فعل الأمر نحو: عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة: ١٠٥].

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: سعيًا في سبيل الخير.

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي و هو «الإيجاب و الإلزام» إلى معان أخرى: تستفاد من سياق الكلام، و قرائن الأحوال.

١- كالدعاء: في قوله تعالى: رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ [النمل: ١٩ و الأحقاف: ١٥].

٢- الالتماس: كقولك لمن يساويك: أعطني القلم أيها الأخ.

٣- الإرشاد: كقوله تعالى: إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجْلِ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ، وَ لِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ [البقره: ٢٨٢].

٤- التهديد: كقوله تعالى: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [فصلت: ٤٠].

٥- التعجيز: كقوله تعالى: فَأَتُوا بِسُورِهِ مِنْ مِثْلِهِ [البقره: ٢٣].

١- ١). بأن يعد الأمر نفسه عاليا لمن هو أقل منه شأنًا، سواء أكان عاليا في الواقع أو لا. و لهذا نسب إلى سوء الأدب إن لم يكن عاليا. و ذهب بعض إلى أن لا يشترط هذا، و الأشبه أن الصدور من المستتر يفيد إيجابا في الأمر، و تحريما في النهي، و اعلم أن الأمر للطلب مطلقا، و الفور و التراخي من القرائن، و لا- يوجب الاستمرار و التكرار في الأصح، و قيل ظاهره الفور كالنداء و الاستفهام إلا بقرينه، و هو ما اختاره السكاكي، و اعلم أيضا أن الأمر يكون استعلاء مع الأدنى، و دعاء مع الأعلى، و التماسا مع النظر.

٦- والإباحه: كقوله تعالى: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ [البقره: ١٨٧].

و نحو: اجلس كما تشاء.

٧- والتسويه: نحو قوله تعالى: فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا [الطور: ١٦].

٨- والإكرام: كقوله تعالى: أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ [الحجر: ٤٦].

٩- الامتان: كقوله تعالى: فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ [النحل: ١١٤].

١٠- الإهانه: كقوله تعالى: كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا [الإسراء: ٥٠].

١١- الدوام: كقوله تعالى: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحه: ٦].

١٢- التمنى: كقول امرئ القيس: [البحر الطويل]

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى

بصبح و ما الإصباح منك بأمثل

١٣- الاعتبار: أَنْظَرُوا إِلَيَّ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ [الأنعام: ٩٩].

١٤- الإذن: كقولك لمن طرق الباب: ادخل.

١٥- التكوين: كقوله تعالى: كُنْ فَيَكُونُ [البقره: ١١٧، الأنعام: ٧٣، النحل: ٤٠].

١٦- التخيير: نحو: تزوج هنداً أو أختها.

١٧- التأديب: نحو: كل ممّا يليك.

١٨- التّعجب: كقوله تعالى: أَنْظَرُ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ [الإسراء: ٤٨].

١٩- التسخير: كقوله تعالى: كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ

٢٠- الاخبار: كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، اذا المراد: يتبوأ مقعده.

بين ما يراد من صيغ الأمر في التراكيب الآتية:

١- خُذِ الْعَفْوَ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف: ١٩٩].

٢- أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومه

لدينا و لا مقلتيه إن تقلت

٣- يا ليل ظل يا نوم زل

يا صبح قف لا تطلع

٤- عش ما بدا لك سالما

فى ظلّ شاهقه القصور

٥- وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [الملك: ١٣].

٦- ترفق أيها المولى عليهم

فإنّ الرّفق بالجانى عتاب

٧- أرى العنقاء تكبر أن تصادا

فعاند من تطيق له عنادا

٨- خليلي هبنا طالما قد رقدتما

أجدكما لا تقضيان كراكما

٩- أريني جوادا مات هزلا لعننى

أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

١٠- قال تعالى: قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١) [البقره: ١١١].

النهي: هو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء (١) مع الإلزام، وله صيغته واحده، وهي المضارع المقرون بلا الناهية: كقوله تعالى: وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا [الأعراف: ٨٥] وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا [الحجرات: ١٢].

وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أخرى، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

١- كالدعاء: نحو قوله تعالى: رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا [البقرة: ٢٨٦].

٢- والالتماس: كقولك لمن يساويك: أيها الأخ لا تتوان.

٣- والإرشاد: كقوله تعالى: لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ [المائدة: ١٠١].

٤- والدوام: كقوله تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ [ابراهيم: ٤٢].

٥- وبيان العاقبة: نحو قوله تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ

[آل عمران: ١٦٩].

٦- والتيسير: نحو قوله تعالى: لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ [التوبة: ٦٦].

٧- والتمنى: نحو يا ليله الأنس لا تنفضي. و كقوله: [الكامل]

يا ليل طل يا نوم زل

يا صبح قف لا تطلع

ص: ٧٠

(١ - ١). اعلم: أن النهي طلب الكف عن الشيء، ممن هو أقل شأنًا من المتكلم، وهو حقيقة في التحريم: كما عليه الجمهور، فمتى وردت صيغته النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور. و اعلم: أن النهي كالأمر، فيكون استعلاء مع الأذني، و دعاء مع الأعلى، و التماسا مع النظر.

٨-و التهديد: كقولك لخادمك: لا تطع أمرى.

٩-و الكراهه: نحو لا تلتفت و أنت فى الصلاه.

١٠-و التويخ: نحو لا تنه عن خلق و تأتى مثله.

١١-و الائتناس: نحو لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبه: ٤٠].

١٢-و التحقير: كقوله: [البسيط]

لا تطلب المجد إنَّ المجد سلمه

صعب، و عش مستريحا ناعم البال

و كقوله: [البسيط]

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

و اقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

تطبيق

اذكر ما يرد من صيغ النهى الآتية:

١- وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقره: ٤٢].

٢-فلا تلزمنَّ الناس غير طباعهم

فتتعب من طول العتاب و يتعبوا

و لا تغترر منهم بحسن بشاشه

فأكثر إيماض البوارق خلب

[الكامل]

٣-فلا تهج إن كنت ذا إربه

حرب أخى التجربه العاقل

[السريع]

٤- لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ [التحریم:٧].

٥- لَا تحسب المجد تمرا أنت آكله

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

[البسيط]

ص: ٧١

٦- لا تحتجب عن العيون أيها القمر

٧- لا تعرضن لجعفر متشبها

بندى يديه فلست من أنداده

[الكامل]

٨- لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم

فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى

[الكامل]

و لا تجلس إلى أهل الدنيا

فإن خلائق السفهاء تعدى (١)

[الوافر]

ص: ٧٢

(١-*)

إشارة

الاستفهام: هو طلب العلم بشىء لم يكن معلوما من قبل. و ذلك بأداه من إحدى أدواته الآتية؛ و هى:

الهمزة، و هل، و ما، و متى، و أيان، و كيف، و أين، و أتى، و كم، و أى.

و تنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

أ- ما يطلب به التصوّر تاره، و التصديق تاره أخرى، و هو: الهمزة.

ب- و ما يطلب به التصديق فقط، و هو: هل.

ج- و ما يطلب به التصوّر فقط، و هو بقیه ألفاظ الاستفهام.

الهمزة

يطلب بالهمزة أحد أمرين: تصوّر، أو تصديق؛ .

أ- فالتصوّر: هو إدراك المفرد (1)، نحو: «أعلیّ مسافر أم سعيد» تعتقد أنّ السفر حصل

ص: ٧٣

١- ١). أى إدراك عدم وقوع النسبه و ذلك كإدراك الموضوع وحده، أو المحمول وحده، أو هما معا، أو ذات النسبه التى هى مورد الإيجاب و السلب. فالاستفهام عن التصوّر يكون عند التردد فى تعيين أحد الشئین، أى يتردد المتكلم فى تعيين أحد أمرين، تذكر بينهما أم المتصله المعادله، و قد تحذف هى و ما بعدها اكتفاء بما قبلها، و لا يلى الهمزة غير المستفهم عنه. و المفرد كما يكون اسما يكون فعلا: نحو أنتهى عند هذا الحد أم تتمادى؟ و الاستفهام عن التصديق يكون عن نسبه تردد الذهن فيها بين ثبوتها و نفيها و حينئذ للهمزة استعمالان، فتاره يطلب بها معرفه مفرد، و تاره يطلب بها معرفه نسبه، و تسمى معرفه المفرد تصورا. و معرفه النسبه تصديقا، و اعلم أن كل همزة استفهام تستعمل فى معناها أو فى غيره إن وليها الفعل كان هو المقصود بمعناها و إن وليها الاسم كان هو المراد المقصود، فإن قلت اسافر الأمير؟ كان الشك فى السفر، و إذا قلت أسعد سافر؟ كان السفر مفروضا.

أحدهما، و لكن تطلب تعيينه. و لذا يجاب فيه بالتعيين، فيقال: سعيد مثلا.

و حكم الهمزه التي لطلب التصور؛ أن يليها المسؤول عنه بها، سواء أكان:

١-مسندا إليه، نحو: أنت فعلت هذا أم يوسف؟

٢-أم مسندا، نحو: أراغب أنت عن الأمر أم راغب فيه؟

٣-أم مفعولا، نحو: إياي تقصد أم سعيدا؟ فالاصل: أ إياي.

٤-أم حالا، نحو: أراكبا حضرت أم ماشيا؟

٥-أم ظرفا، نحو: أيوم الخميس قدمت أم يوم الجمعة؟

و يذكر المسؤول عنه في التصور بعد الهمزه: و يكون له معادل يذكر بعد أم غالبا: و تسمى متّصله.

و قد يستغنى عن ذكر المعادل نحو: أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ يَا إِبْرَاهِيمُ؟ [الأنبياء: ٦٢]

ب-و التصديق: هو إدراك وقوع نسبه تامه بين المسند و المسند إليه، أو عدم وقوعها (١) بحيث يكون المتكلم خالي الذهن ممّا استفهم عنه في جملته مصدقا للجواب إثباتا بنعم أو نفيا بلا.

و همزه الاستفهام تدلّ على التصديق إذا أريد بها النسبه. و يكثر التصديق في الجمل الفعلية كقولك: أحضر الأمير؟ (٢). تستفهم عن ثبوت النسبه و نفيها و في هذه الحاله يجاب بلفظه: نعم أو لا. و يقلّ التصديق في الجمل الاسميه نحو: أعلىّ مسافر؟

ص: ٧٤

١ - ١). أى إدراك موافقتها لما في الواقع أو عدم موافقتها له، و اعلم أن إدراك وقوع النسبه أو عدم وقوعها كما يسمى تصديقا، يسمى: حكما، أو إسنادا. أو إيقاعا و انتزاعا، أو إيجابا و سلبا.

٢ - ٢). أى فقد تصورت الحضور و الأمير و النسبه بينهما، و سألت عن وقوع النسبه بينهما، هل هو محقق خارجا أو لا، فإذا قيل حضر، حصل التصديق و كذا يقال فيما بعده. فالمسؤول عنه في التصديق نسبه يتردد الذهن في ثبوتها و نفيها، كما سبق توضيحه.

و يمتنع أن يذكر مع همزه التصديق معادل كما مثل. فإن جاءت أم بعدها قدّرت منقطعه (1) و تكون بمعنى (بل):

و لست أبالى بعد فقدي مالكا

أموتى ناء أم هو الآن واقع

[الطويل]

و نحو: [الكامل]

هل يسمعن النَّصر إن ناديته

أم كيف يسمع ميت لا ينطق؟

هل

يطلب بها التصديق فقط، أى معرفه وقوع النسبه. أو عدم وقوعها لا غير، نحو هل حافظ المصريون على مجد أسلافهم؟

و لأجل اختصاصها بطلب التصديق لا يذكر معها المعادل بعد أم المتصله، فلذا.

أ- امتنع هل سعد قام أم سعيد؟ لأنّ وقوع المفرد و هو سعيد بعد أم الواقعه فى حيز الاستفهام دليل على أنّ أم متصله. و هى لطلب تعيين أحد الأمرين، و لا بد حينئذ أن يعلم بها أولا أصل الحكم. و هل لا يناسبها ذلك، لأنها لطلب الحكم فقط، فالحكم فيها غير معلوم، و إلا- لم يستفهم عنه بها، و حينئذ يؤدّى الجمع بين هل و أم إلى التناقض. لأنّ هل تفيد أنّ السائل جاهل بالحكم لأنها لطلبه. و أم المتصله: تفيد أنّ السائل عالم به، و إنما يطلب تعيين أحد الأمرين فإن جاءت أم كذلك، كانت منقطعه بمعنى بل التى تفيد الإضراب نحو: هل جاء صديقك أم عدوك.

ص: ٧٥

١- ١). أى: و لا بد من وقوع الجمله بعد أم المنقطعه. فإن وقع بعدها مفرد قدر بجمله نحو أحضر الأمير أم جيشه، أى بل حضر جيشه. و اعلم أنه تلخص مما تقدم أن همزه التصور إن جاء بعدها «أم» تكون متصله. و أن همزه التصديق أو هل: إن جاء بعدهما «أم» قدرت منقطعه و تكون بمعنى بل.

ب- و قبح استعمال هل فى تركيب هو مظهره للعلم بحصول أصل النسبه، و هو ما يتقدم فيه المعمول على الفعل، نحو هل خليلا أكرمت، فتقديم المعمول على الفعل يقتضى غالبا حصول العلم للمتكلم. و تكون هل لطلب حصول الحاصل و هو عبث.

تنبيهات

الأول: هل كالتسين و سوف تخلّص المضارع للاستقبال.

فلا يقال: هل تصدق؟ جوابا لمن قال أحبّك الآن، بل تقول له: أتصدق؟ و لأجل اختصاصها بالتصديق، و تخليصها المضارع للاستقبال قوى اتصالها بالفعل لفظا أو تقديرا نحو هل يجىء علىّ أو هل علىّ يجىء؟

فإن عدل عن الفعل إلى الاسم لإبراز ما يحصل فى صورته الحاصل دلالة على كمال العناية بحصوله كان هذا العدول أبلغ فى إفادته المقصود كقوله تعالى: فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ [الأنبياء: ٨٠] فهذا التركيب أدل على طلب الشكر من قولك، هل تشكرون، و ذلك لأنّ الفعل لازم بعد هل و العدول عنه يدلّ على قوّه الداعى لذلك لما ذكر.

الثانى: هل نوعان: بسيطه و مركبه.

أ- البسيطه هى التى يستفهم بها عن وجود شىء فى نفسه، أو عدم وجوده، نحو هل العنقاء (١) موجوده و نحو: هل الخلّ الوفىّ موجود.

ب- و المركبه هى التى يستفهم بها عن وجود شىء لشىء و عدم وجوده له نحو هل المريخ مسكون؟ هل الثّبات حسّاس؟

ص: ٧٤

١ - ١). حكى الزمخشري فى (ربيع الأبرار) أن العنقاء كانت طائرا و كان فيها من كل شىء من الألوان و كانت فى زمن أصحاب الرأس تأتى إلى أطفالهم. صغارهم فتخطفهم و تغرب بهم نحو الجبل فتأكلهم، فشكوا ذلك إلى نبيهم (صالح) عليه السلام فدعا الله عليها فأهلكها و قطع عقبها و نسلها فسميت (عنقاء مغرب) لذلك.

الثالث: هل لا تدخل على:

١- المنفى (١) فلا يقال: هل لا يفهم على

٢- ولا على المضارع الذى هو الحال فلا يقال: هل تحتقر عليا و هو شجاع

٣- ولا على إن فلا يقال: هل إن الأمير مسافر

٤- ولا على الشرط فلا يقال: هل إذا زرتك تكرمنى

٥- ولا على حرف العطف (٢) فلا يقال: هل فيتقدم أو هل ثم يتقدم

٦- ولا على اسم بعده فعل فلا يقال: هل بشرا منا واحدا نتبعه

بخلاف الهمزة فإنها تدخل على جميع ما ذكر.

واعلم: أن الهمزة و هل يسأل بهما عمّا بعدهما، لأنهما حرفان ليس لهما معنى مستقلّ.

الرابع: بقيه أدوات الاستفهام موضوعه (للتصوّر) فقط، فيسأل بها عن معناها و هي: ما، و متى، و أيان، و كيف، و أين، و أنى، و كم، و أى.

ولهذا يكون الجواب معها بتعيين المسؤول عنه.

ما و من

ما: موضوعه للاستفهام عن أفراد غير العقلاء، و يطلب بها:

أ- إيضاح الاسم: نحو ما المسجد؟ فيقال فى الجواب: إنه ذهب.

ب- أو يطلب بها بيان حقيقه المسمّى: نحو: ما الشمس؟ فيجاب بأنه كوكب نهاريّ.

ج- أو يطلب بها بيان الصفه نحو: ما خليل؟ - و جوابه طويل أو قصير: مثلا.

ص: ٧٧

١ - ١). أى لأن هل فى الأصل بمعنى قد، و هى لا- تدخل على المنفى، فلا- يقال قد لا يقوم خليل، فحينئذ هى مخصوصه بدخولها على النسب المثبته، سواء أكانت جملا فعلية أو اسميه. و اعلم أنّ عدم دخولها على المنفى لا ينافى أنها لطلب التصديق مطلقا سواء فى الإيجابى و السلبى.

٢-٢) . أى لا تقع هل قبل الحروف العاطف بل تقع بعده دائما.

و تقع هل البسيطه فى الترتيب العقلى (١) بين ما التى لشرح الاسم، و ما التى للحقيقه. فمن يجهل معنى البشر مثلا يسأل أولا بما عن شرحه: فيجاب بإنسان، ثم بهل البسيطه عن وجوده، فيجاب بنعم. ثم بما عن حقيقته، فيجاب بحيوان ناطق.

و من موضوعه للاستفهام، و يطلب بها تعيين أفراد العقلاء، نحو: من فتح مصر؟ و نحو: من شيد الهرم الأكبر؟ و نحو: من شيد القناطر الخيريّه؟

متى و أيان

متى: موضوعه للاستفهام، و يطلب بها تعيين الزّمان، سواء أكان ماضيا أو مستقبلا، نحو متى تولى الامامه على عليه السلام؟ و متى نحطى بالحرّيه.

و أيان: موضوعه للاستفهام، و يطلب بها تعيين الزّمان المستقبل خاصه و تكون فى موضع التهويل و التفخيم دون غيره، كقوله تعالى: يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٢) [القيامة: ٦].

كيف و أين و أنى و كم و أى

كيف: موضوعه للاستفهام، و يطلب بها تعيين الحال: كقوله تعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ [النساء: ٤١]. و كقوله: [الطويل]

و كيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى

و رأى أمير المؤمنين جميل

و أين: موضوعه للاستفهام، و يطلب بها تعيين المكان نحو: أين شركاؤكم.

و أنى: موضوعه للاستفهام—و تأتي لمعان كثيره.

١—فتكون بمعنى كيف، كقوله تعالى: أَنَّى يُخْبِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا [البقره: ٢٥٩].

٢—و تكون بمعنى من أين، كقوله تعالى: يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا [آل عمران: ٣٧].

ص: ٧٨

١- ١). الترتيب العقلى: هو أن يكون المتأخر متوقفا على المتقدم، من غير أن يكون المتقدم عله له و ذلك كتقدم المفرد على المركب.

٢- ٢). أى فقد استعملت أيان مع يوم القيامة للتهويل و التفخيم بشأنه، و جواب هذا السؤال يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ.

٣-و تكون بمعنى متى، كقولك: زرنى أنى شئت.

و كم: موضوعه للاستفهام؛ و يطلب بها تعيين عدد مبهم، كقوله تعالى: كَمْ لَبِثْتُمْ [الكهف: ١٩].

و أى: موضوعه للاستفهام، و يطلب بها تمييز أحد المتشاركين فى أمر يعمهما، كقوله تعالى: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا [مريم: ٧٣] و يسأل بها عن الزمان و المكان، و الحال، و العدد، و العاقل؛ و غيره على حسب ما تضاف إليه أى. و لذا تأخذ أى معناها ممّا تضاف إليه. فإن أضيفت إلى ما تفيده «ما» أخذت حكمها. و إن أضيفت إلى ما تفيده «متى»، أو كيف أو غيرهما من الأدوات السابقة أخذت معناها.

و قد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلية و هو طلب العلم بمجهول، فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به لأغراض أخرى: تفهم من سياق الكلام و دلالاته-و من أهم ذلك.

١-الأمر، كقوله تعالى: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ [المائدة: ٩١]أى: انتهوا.

٢-و النهى، كقوله تعالى: أَلَمْ تَخْشَوْهُمْ فَرَأَوْهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ (١) [التوبة: ١٣].

٣-و التسويه، كقوله تعالى: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [البقره: ٦].

٤-و النفى، كقوله تعالى: هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٢) [الرحمن: ٦٠].

٥-و الإنكار (٣)، كقوله تعالى: أَلَمْ يَغَيِّرِ اللَّهُ تَدْعُونَ [الأنعام: ٤٠].

ص: ٧٩

١-١) . أى: لا تخشوهم فالله أحق أن تخشوه.

٢-٢) . أى ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

٣-٣) . اعلم أن الإنكار إذا وقع فى الإثبات يجعله نفياً، كقوله تعالى: أَلَمْ يَغَيِّرِ اللَّهُ تَدْعُونَ؟ أى لا شك فيه، و إذا وقع فى النفى يجعله إثباتاً، نحو قوله تعالى: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا أى: قد وجدناك. و بيان ذلك: أن إنكار الإثبات و النفى نفى لهما. و نفى الإثبات نفى، و نفى النفى إثبات. ثم الإنكار قد يكون للتكذيب، نحو أياحسب الإنسان أن يترك سدى. و قد يكون للتوبيخ و اللوم على ما وقع. نحو: أتعبدون ما تنحتون. و هذه الآيه من كلام إبراهيم عليه السلام لقومه، حينما رأهم يعبدون الأصنام من الحجارة.

٦-و التَّشْوِيقُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: هَلْ أَدُلَّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ [الصف: ١٠].

٧-و الاستئناس، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَ مَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ [طه: ١٧].

٨-و التَّقْرِيرُ (١)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ [الشرح: ١].

٩-و التهويل، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ [الحاقة: ٣].

١٠-و الاستبعاد، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: أَنَّى لَهُمُ الذُّكْرَىٰ وَ قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ [الدخان: ١٣]. و نحو قول الشاعر: [الكامل]

من لى بإنسان إذا أغضبتَه

و جهلت كان الحلم ردّ جوابه

١١-و التعظيم، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ [البقرة: ٢٥٥].

١٢-و التحقير، نحو: أهذا الذى مدحته كثيرا؟

١٣-و التعجب، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ [الفرقان: ٧] و كقول الشاعر: [الطويل]

خليلى فيما عشتما هل رأيتما

قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلى

١٤-و التهكم، نحو: أعقلك يسوغ لك أن تفعل كذا.

١٥-و الوعيد، نحو: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ [الفجر: ٦].

١٦-و الاستبطاء، كَقَوْلِهِ: مَتَىٰ نَصُرُ اللَّهَ [البقرة: ٢١٤] و نحو: كم دعوتك.

١٧-و التنبية على الخطأ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: أَلَمْ تَسْتَبْدِلْ أَلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ [البقرة: ٦١].

١٨-و التنبية على الباطل، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: أَلَمْ تَأْتِ تَسْمِعِ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ [الزخرف: ١٤٠].

١٩-و التحسّر: كقول شمس الدين الكوفى: [الكامل]

ما للمنازل أصبحت لا أهلها

أهلَى، و لا جيرانها جيرانى

١-١). و يكون غالباً بالهمزة يليها المقرر به، كقولك (أفعلت هذا)، إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه، و كقولك أنت فعلت هذا، إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل، و كقولك أخليلاً ضربت، إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه خليل. و يكون التقرير أحياناً بغير الهمزة نحو: لمن هذا الكتاب، و كم لى عليك؟

٢٠- والتنبية على ضلال الطريق، كقوله تعالى: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ [التكوير: ٢٦]

٢١- والتكثير، كقول أبي العلاء المعري: [الخفيف]

صاح، هذى قبورنا تملأ الرّحب

فأين القبور من عهد عاد؟؟

واعلم أن كل ما وضع من الأخبار في صورة الاستفهام في الأمثلة السابقة والآية تجددت له مزيه بلاغيه، زادت المعنى روعه و جمالا.

إذا عرفت هذا، فاعرف أيضا أنه يستعمل كل من: الأمر، والنهي، والاستفهام في أغراض أخرى، يرجع في إدراكها إلى الذوق الأدبي، ولا يكون استعمالها في غير ما وضعت له؛ إلا لطريقه أدبيه، تجعل لهذا الاستعمال مزيه، يترقى بها الكلام في درجات البلاغه.

تمرين

ما هي المعانى التى استعمل فيها الاستفهام فى الأمثلة الآتية:

١- قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ [الرعد: ١٦].

٢- هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ [فاطر: ٣].

٣- أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ، وَبِالْعَمَىٰ يَكْفُرُونَ [النحل: ٧٢].

٤- أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ، وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ، وَهُمْ يَدْعُوكُمْ أَوْلَٰئِ مَرَّةٍ. أَ تَخْشَوْنَ اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [التوبة: ١٣].

٥- أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ، ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [البقره: ٧٥]

٦- أَ فَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْعُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ [آل عمران: ٨٣].

٧- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [البقره: ٦].

٨- أَ فَاصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِينَ، وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا [الإسراء: ٤٠].

٩- وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ، وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا [النساء: ٣٩].

١٠- مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ [الحديد: ١١].

١١- أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى، أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الملك: ٢٢].

١٢- أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى [الضحى: ٦-٨].

تمرين

وضّح الأغراض التي خرج إليها: الأمر، والنهي، والاستفهام في الأمثلة الآتية:

١- قال أبو الطيب يعاتب رجلاً ظنه أنه هجاه، وكان غيره هو الذي هجاه: [الوافر]

أتنكر يابن إسحاق إخواني

و تحسب ماء غيري من إنائي

أ أنطق فيك هجرا بعد علمي

بأنك خير من تحت السماء

وهبني قلت هذا الصبح ليل

أيعمى العالمون عن الضياء

٢- وقال يخاطب سيف الدولة: [الطويل]

أجزني إذا أنشدت شعرا فإنما

بشعري أتاك المادحون مرددا

ودع كل صوت غير صوتي فإنني

أنا الصائح المحكي والآخر الصدى

٣- وقال: [الخفيف]

عش عزيزا أو مت و أنت كريم

بين طعن القنا و خفق البنود

و اطلب العزّ في لظى و ذر الذ

ل و لو كان في جنان الخلود

٤-و قال: [الطويل]

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها

سرور محبّ أو إساءه مجرم

٥-و قال أبو فراس: [الطويل]

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه

و من أين للحر الكريم صحاب

و قد صار هذا الناس إلا أقلهم

ذئابا على أجسادهنّ ثياب

ص: ٨٢

٦- وقال أبو العتاهيه في عبد الله بن معن بن زائده: [الهزج]

فصغ ما كنت حليت

به سيفك خلخالاً

و ما تصنع بالسيف

إذا لم تك قتالاً

٧- ولابن رشيق: [الخفيف]

أيها الليل طل بغير جناح

ليس للعين راحه في الصّباح

كيف لا أبغض الصّباح و فيه

بان عني نور الوجوه الملاح

٨- وقال كثير: [الطويل]

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومه

لدينا و لا مقلّيه إن تقلّت

فلا يبعدن وصل لعزّه أصبحت

بعاقبه أسبابه قد تولّت

٩- وقال البحتري: [البيط]

إسلم أبا الصّقر للمعروف تصنعه

و المجد تبنيه في ذهل بن شيبان

١٠- وقال الفرزدق: [الطويل]

أترجو ربيع أن يجيء صغارها

بخير و قد أعيأ ربيعا كبارها

١١- وقال جرير: [الكامل]

قل للجبان إذا تأخر سرجه

هل أنت من شرك المنيه ناجي

١٢- وقال المعري: [الكامل]

إفهم عن الأيام فهي نواطق

ما زال يضرب صرفها الأمثالا

لم يمض في دنياك أمر معجب

إلا أرتك لما مضى تمثالا

١٣- وقال: [الخفيف]

ما افتخار الفتى بثوب جديد

و هو من تحته بعرض لبيس

و الفتى ليس بالجين و بالتبر

و لكن بعزه في النفوس

ص: ٨٣

التمنى: هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى، ولا يتوقع حصوله.

١- إما لكونه مستحيلاً كقوله: [الوافر]

ألا ليت الشباب يعود يوماً

فأخبره بما فعل المشيب

٢- إما لكونه ممكناً غير مطموح في نيله، كقوله تعالى: يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ [القصص: ٧٩].

و إذا كان الأمر المحبوب ممّا يرجى حصوله كان طلبه ترجيياً. و يعبر فيه بعسى، و لعلّ كقوله تعالى: لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا [الطلاق: ١] و فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ [المائدة: ٥٢]. و قد تستعمل في الترجي ليت لغرض بلاغي (١).

و للتمنى أربع أدوات، واحده أصلية و هي: ليت

و ثلاث غير أصلية نائبة عنها، و يتمنى بها لغرض بلاغي: و هي:

١- هل (٢) كقوله تعالى: فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا (٣) [الأعراف: ٥٣].

٢- لو (٤)، كقوله تعالى: فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [الشعراء: ١٠٢].

ص: ٨٤

١- ١). الغرض هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغه في بعد نيله، فيا ليت ما بيني و بين أحبتي من البعد ما بيني و بين المصائب و قد تستعمل أيضا للتندم نحو يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا.

٢- ٢). اعلم أن سبب العدول عن (ليت) إلى «هل» إبراز التمني لكمال العناية به في صورته الممكن الذي لا يجزم بانتفائه. و هو المستفهم عنه.

٣- ٣). لما كان عدم الشفعاء معلوما لهم امتنع حقيقه الاستفهام. و تولد منه التمني المناسب للمقام.

٤- ٤). و سبب العدول إلى «لو» الدلالة على عزه متمناه و ندرته، حيث أبرزه في صورته الذي لا يوجد، لأن «لو» تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

٣-و لعلّ (١١)، كقوله: [الطويل]

أسرب القطا هل من يعير جناحه؟

لعلّي إلى من قد هويت أظير

و لأجل استعمال هذه الأدوات في التّمتي ينصب المضارع الواقع في جوابها.

تمرين

بين المعاني المستفاده من صيغ التمني فيما يأتي:

قال تعالى: فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ [غافر: ١١].

لو يأتينا فيحدّثنا، لعلّي أحجّ فأزورك، يا ليتني اتّخذت مع الرسول سييلا، هل إلى مرد من سبيل، يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون، لعلّي أبلغ الأسباب، لو تتلو الآيات فتشقّ سمعي.

كلّ من في الكون يشكو دهره

ليت شعري هذه الدنيا لمن؟؟

[الرمل]

فليت اللّيل فيه كان شهرا

و مرّ نهاره مرّ السحاب

[الوافر]

فليت هوى الأحبّه كان عدلا

فحمل كلّ قلب ما أطاقا

[الوافر]

علّ اللّيالي التي أضنت بفرقتنا

جسمي ستجمعني يوما و تجمعه

١-١) . و ذلك لبعء المرجو، فكأنه مما لا يرجى حصوله، و اعلم أن «هلا و ألا و لوما، و لولا»، مأخوذه من «هل و لو» بزيادة (ما) و «لا» عليهما، و أصل «ألا، هلا» قلبت الهاء همزه ليتعين معنى التمنى، و يزول احتمال الاستفهام و الشرط، فيتولد من التمنى معنى التنديم فى الماضى نحو: هلا قمت، و معنى التخصيض فى المستقبل نحو هلا نقف. و لا يتمنى: بهل، و لو، و لعل: إلا فى المقطوع بعدم وقوعه لئلا تحمل على معانيها الأصلية.

النداء: هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب أنادى المنقول من الخبر إلى الإنشاء و أدواته ثمان:

الهمزة، و أى، و يا، و آى، و أيا، و هيا، و وا (١).

و هى فى كفيته الاستعمال نوعان.

١- الهمزة و أى: لنداء القريب.

٢- و باقى الأدوات لنداء البعيد.

و قد ينزل البعيد منزله القريب، فينادى بالهمزة و أى، إشاره إلى أنه لشده استحضاره فى ذهن المتكلم صار كالحاضر معه. لا يغيب عن القلب، و كأنه مائل أمام العين. كقول الشاعر: [الطويل]

اسكان نعمان الأراك تيقنوا

بأنكم فى ربع قلبى سكان

و قد ينزل القريب منزله البعيد، فينادى بغير الهمزة و أى.

أ- إشاره إلى علو مرتبته. فيجعل بعد المنزله كأنه بعد فى المكان كقوله «أيا مولاي» و أنت معه، للدلاله على أن المنادى عظيم القدر، رفيع الشأن.

ب- أو إشاره إلى انحطاط منزلته و درجته، كقولك «أيا هذا» لمن هو معك.

ج- أو إشاره إلى أن السامع لغفلته و شرود ذهنه كأنه غير حاضر كقولك للساھى: أيا فلان، و كقول البارودى: [البسيط]

يا أيها السّادر المزورّ من صلف

مهلا، فإنك بالأيام منخدع (١)

و قد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي إلى معان أخرى، تفهم من السياق بمعونه القرائن و من أهمّ ذلك:

١-الأغراء، نحو قولك لمن أقبل يتظلم: يا مظلوم.

٢-و الاستغائه، نحو يا لله للمؤمنين.

٣-و التّديه، نحو قول الشاعر: [الطويل]

فوا عجباً كم يدعى الفضل ناقص

و وا أسفاكم يظهر النقص فاضل

٤-و التّعجب، كقول الشاعر: [الرجز]

يا لك من قبره بمعمر

خلا لك الجوّ فيضى و اصفرى

٥-و الزجر، كقول الشاعر: [الخفيف]

أفؤادى متى المتاب أ، لّما

تصح و الشيب فوق رأسى أ لّما

٦-و التحسّر و التوجّع، كقوله تعالى: **يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً** [النبأ: ٤٠].

و كقول الشاعر: [الطويل]

أيا قبر معن كيف وارىت جوده

و قد كان منه البرّ و البحر مترعا

٧-و التذكر، كقوله: [الطويل]

أيا منزلى سلمى سلام عليكما

هل الأزمن اللّاتى مضين رواجع

٨-و التّحير و التّضجر، نحو قول الشاعر: [البسيط]

أيا منازل سلمى أين سلماك

من أجل هذا بكيناها بكيناك

و يكثر هذا فى نداء الأطلال و المطايا، و نحوها.

ص: ٨٧

١-١). السّادر الذاهب عن الشىء ترفعا عنه، و الذى لا يبالى و لا يهتم بما صنع. المزور: المنحرف. و الصلف: الكبر.

و الاختصاص (١): هو ذكر اسم ظاهر بعد ضمير لأجل بيانه، نحو قوله تعالى: رَحِمَتْ اللَّهُ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ [هود:٧٣] أو نحو: «نحن العلماء ورثة الأنبياء» .

أ- إِمَّا لِلتَّفَاخِرِ، نحو: أنا أكرم الضيف أيها الرجل.

ب- و إِمَّا لِلتَّوَاضِعِ، نحو: أنا الفقير المسكين أيها الرجل. و نحو: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة (٢).

تمرين

يُبين المعاني الحقيقيه المستفاده من صيغ النداء، و المعاني المجازيه المستفاده من القرائن:

صاح شمّر و لا تزل ذاكر المو

ت فنسيانه ضلال مبين

[الخفيف]

يا لقومى و يا لأمثال قومى

لأناس عتوهم فى ازدياد

[الخفيف]

أيها القلب قد قضيت مراما

فإلام الولوع بالشهوات

[الخفيف]

أيا شجر الخابور مالك مورقا

كأنك لم تجزع على ابن طريف

[الطويل]

ص: ٨٨

بين أمثاله بما نسب إليه منها.

٢-٢) . أى اللهم اغفر لنا مخصوصين من بين العصائب، فصورته صورته النداء و ليس به، إذ لم يرد به إلا- ما دل عليه ضمير المتكلم السابق. و لذا لا يجوز إظهار حرف النداء فيه.

يا أيها الظالم في فعله

الظلم مردود على من ظلم

[السريع]

يا ناق سيرى عنقا فسيحا

إلى سليمان فنستريحا

[الرجز]

حجبه عن الرياح لأنى

قلت يا ريح بلّغيه السّلاما

[الخفيف]

يا ليله لست أنسى طيبها أبدا

كأنّ كلّ سرور حاضر فيها

[البيط]

يا ليله كالمسك مخبرها

و كذاك في التشبيه منظرها

أحييتها و البدر يخدمنى

و الشّمس أنهاها و أمرها

[الكامل]

يا من تذكّرنى شمائله

ريح الشّمال تنفّست سحرا

[الكامل]

و إذا امتطى قلم أنامله

سحر العقول به و ما سحرا

يا قلب ويحك ما سمعت لناصح

لما ارتميت و لا اتقيت ملاما

[الكامل]

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى

فيك الخصام و أنت الخصم و الحكم

[البيسط]

يا رحمه الله حلّى فى منازلنا

و جاورينا فدتك النفس من جار

[البيسط]

ص: ٨٩

الأول: يوضع الخبر موضع الإنشاء لأغراض كثيرة، أهمها:

- ١- التفاضل: نحو «هداك الله لصالح الأعمال.» كأن الهدايه حصلت بالفعل فأخبر عنها، و نحو: وفقك الله.
- ٢- الاحتراز عن صورته الأمر تأدبا واحتراما، نحو رحم الله فلانا و نحو: ينظر مولاي فى أمرى و يقضى حاجتى.
- ٣- والتنبيه على تيسير المطلوب لقوه الأسباب. كقول الأمير لجنده: «تأخذون بنواصيهم و تنزلونهم من صياصيهم» .
- ٤- والمبالغه فى الطلب للتنبيه على سرعه الامتثال. نحو: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَّا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ [البقره: ٨٤]. لم يقل لا تسفكوا، قصدا للمبالغه فى النهى، حتى كأنهم نهوا فامتثلوا ثم أخبر عنهم بالامتثال.
- ٥- إظهار الرغبه: نحو قولك فى غائب: رزقنى الله لقاءه.

الثانى: يوضع الإنشاء موضع الخبر لأغراض كثيره.

أ- منها: إظهار العنايه بالشىء: و الاهتمام بشأنه كقوله تعالى: قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ [الأعراف: ٢٩].

لم يقل: و إقامه وجوهكم، إشعارا بالعنايه بأمر الصلاه لعظيم خطرهما، و جليل قدرها فى الدين.

ب- منها: التحاشى و الاحتراز عن مساواه اللاحق بالسابق. كقوله تعالى: قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ، وَ إِشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ [هود: ٥٥، ٥٤] لم يقل: و أشهدكم تحاشيا و فرارا من مساواه شهادتهم بشهاده الله تعالى.

الثالث: الإنشاء كالخبر فى كثير ممّا ذكر فيه، و مما سيدكر فى الأبواب التاليه من الذكر و الحذف و غيرهما.

الرابع: يستعمل كل من الأمر والنهي والاستفهام في أغراض آخر يرجع في إدراكها إلى الذوق الأدبي، ولا يكون استعمالها في غير ما وضعت له إلا لطريقه أدبيه تجعل لهذا الاستعمال مزيه يترقى بها الكلام في درجات البلاغه، كما سبق القول.

تطبيق

بين المعانى المستفاده من النداء، و سبب استعمال أداه دون غيرها فيما يلى:

١-أيا منازل سلمى أين سلماك

من أجل هذا بكيناها بكيناك (١)

[البسيط]

٢-صادح الشرق قد سكت طويلا

و عزيز علينا ألا تقولا (٢)

[الخفيف]

٣-أيا قبر معن كيف واريت جوده

و قد كان منه البرّ و البحر مترعا (٣)

[الطويل]

٤-يا درّه نزعت من تاج والدها

فأصبحت حليه فى تاج رضوان

[البسيط]

٥-فيا لائمي دعنى أعالى بقيمتى

ففيمه كلّ الناس ما يحسنونه

[الطويل]

١-١) . يرید لعدم وجود سلمی بکیناها و بکینا المنازل، فواو العطف محذوفه.

٢-٢) . صدح الرجل: رفع صوته بالغناء.

٣-٣) . المترع أى المملوء!

تطبيق آخر

وضح الاعتبار الداعى لوضع كل من الخبر و الإنشاء موضع الآخر:

١- قال تعالى: وَ قَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا [الإسراء: ٢٣].

٢- و قال تعالى: وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا [آل عمران: ٩٧].

٣- أتانى أبيت اللعن (١) أنك لمتنى

و تلك التى أهتمّ منها و أنصب

[الطويل]

٤- إذا فعاقبنى يا ربى معاقبه

قرت بها عين من يأتىك بالخسد (٢)

[البيط]

تدريب

بين فيما يلى الغرض من وضع الإنشاء موضع الخبر و بالعكس

١- كل خليل كنت خالته

لا ترك الله له واضحه

[السريع]

٢- قال الله تعالى: وَ قَالَ إِزْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا [هود: ٤١].

ص: ٩٢

(١ - ١)

(٢ - ٢). أبيت اللعن. كانت تحيه الملوک، و معناها أبيت أن تفعل شيئا تلعن به، اهتم أى أصير ذاهم. أنصب أى أتعب.

٣- تقول لصديقك: رزقنى الله لقاءك.

٤- ولائمه لامتك يا فضل فى الندى فقلت لها هل أثر اللوم فى البحر أنتهين فضلا عن عطاياه للورى و من ذا الذى ينهى الغمام عن القطر [الطويل]

تمرين

عين الجمل الخبريه و الإنشائيه فيما يأتى:

١- آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ [البقره: ٢٨٥].

٢- يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ [البقره: ٢٧٦].

٣- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء: ٥٩].

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمه محسود.

٥- و قال أبو العلاء المعرى: [البسيط]

لا تحلفن على صدق و لا كذب

فما يفيدك إلا المأثم الحلف

٦- و قال: [الكامل]

لا تفرحن بما بلغت من العلا

و إذا سبقت فعن قليل تسبق

و ليحذر الدعوى اللبيب فإنها

للفضل مهلكه و خطب موبق

٧- و قال أبو العتاهيه: [الوافر]

بكيت على الشباب بدمع عيني

فلم يغن البكاء و لا النحيب

ألا ليت الشباب يعود يوماً

فأخبره بما فعل المشيب

ص: ٩٣

أنا الذائد الحامى الذمار و إنما

يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

[الطويل]

الجملة الأولى: خبريه اسميه من الضرب الابتدائى، و المراد بها الفخر و إظهار الشجاعه، المسند إليه أنا، و المسند الذائد، و الجملة الثانية خبريه فعليه من الضرب الثالث لما فيها من التوكيد بإنما، و المراد بها الفخر و إظهار الشجاعه أيضا. المسند يدافع، و المسند إليه أنا.

وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [فصلت: ٤٦] جملة خبريه اسميه من الضرب الثالث، و المراد بها التوبيخ، المسند إليه رب، و المسند ظلام.

أنت خرجت عن حدك: جملة خبريه اسميه من الضرب الثالث، و المراد بها التوبيخ، المسند إليه أنت، و المسند جملة خرجت.

رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ: [الشعراء: ١١٧] جملة رب: إنشائية ندائية، و المراد بها الدعاء. المسند و المسند اليه محذوفان نابت عنهما ياء النداء المحذوفه، و جملة: إن قومي كذبون، خبريه اسميه من الضرب الثالث، و المراد إظهار التحسر، المسند إليه قومي، و المسند جملة كذبون.

زارنا الغيث: جملة خبريه فعليه من الضرب الابتدائى، و المراد بها إظهار الفرح، المسند إليه: الغيث و المسند: زار، و أتى بها فعليه لإفاده المحذوث فى الزمن الماضى مع الاختصار.

ذهب عنا الحزن: جملة خبريه فعليه من الضرب الابتدائى، و المراد بها إظهار الشماته بمدبر، المسند ذهب، و المسند إليه الحزن، و أتى بها فعليه لإفاده الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار.

قابلت الأمير: جملة خبريه فعلية من الضرب الابتدائي، و المراد بها إظهار السرور، المسند قابل، و المسند اليه التاء.

أنا ممتثل لأمرك: جملة خبريه اسميه من الضرب الابتدائي و المراد بها إظهار التواضع، المسند إليه أنا، و المسند ممتثل، و أتى بها اسميه لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا [يونس: ٤٤] جملة خبريه اسميه من الضرب الثالث، و المراد بها التوبيخ للناس، المسند إليه لفظ الجلالة، و المسند جملة لا يظلم. و أتى: بالمسند جملة لتقوية الحكم، بتكرار الإسناد، و الجملة الاسميه مفيدة للاستمرار الآن بقريته الإسناد إلى الله تعالى.

ما جاءنا من أحد: جملة خبريه فعلية من الضرب الثالث، و المراد بها فائدة الخبر المسند جاء، و المسند إليه أحد، و أتى بها فعلية لما تقدم.

أنت نجحت: جملة خبريه اسميه من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد، و المراد بها لازم الفائدة، المسند إليه أنت، و المسند جملة نجحت.

حضر الأمير: جملة خبريه فعلية من الضرب الابتدائي، و المراد بها أصل الفائدة، المسند إليه الأمير.

سيحرم المقصر: خبريه فعلية من الضرب الابتدائي، و المراد بها الذم. المسند سيرحم، و المسند إليه المقصر، و هي تفيد الاستمرار التجددى بقريته الذم.

ما برح المقصر نادما: جملة خبريه اسميه من الضرب الابتدائي، و المراد بها الذم، المسند إليه المقصر، و المسند نادما، و هي مفيدة للاستمرار بقريته ما برح.

كلما جئتني أكرمتك: جملة أكرمتك خبريه فعلية من الضرب الابتدائي. و هي الجملة، و ما قبلها قيد لها، لأن الشرطيه لا تعتبر إلا بجوابها، المسند أكرم، و المسند إليه التاء، و هي مفيدة للاستمرار التجددى: بقريته كلما.

ما مجتهد صاحبك: جملة خبريه فعلية من الضرب الابتدائي، و لا يقال اسميه لأن الاسم

حل محل الفعل، و لذلك رفع ما بعده على أنه فاعله، و المراد بها الاستمرار بقريته الدم، المسند مجتهد، و المسند إليه صاحبك، و قس عليها. نحو ما مبعوض أنت، و ما حسن فعل أعدائك، و أقائم أخواك، و هل منصف أصحابك.

كلما ذاك المجتهد استفاد: جملة استفاد: فعليه خبريه من الضرب الابتدائي المسند

الشمس طالعه: تقولها للعائر، جملة خبريه اسميه من الضرب الابتدائي.

المسند إليه الشمس، و المسند طالعه، و المراد بها التوبيخ.

الكريم محبوب: جملة خبريه اسميه من الضرب الابتدائي، المسند إليه الكريم و المسند محبوب، و المراد بها الاستمرار بقريته المدح.

من يسافر؟ جملة إنشائية استفهاميه، المسند إليه من، و المسند جملة يسافر التفتوا، جملة إنشائية أمرية، المسند التفت، و المسند إليه الواو.

لا تتركوا المذاكره: جملة إنشائية نهيه، المسند تترك، و المسند إليه الواو.

ليت البخيل وجود: جملة إنشائية تمنيه اسميه المسند إليه البخيل، و المسند جملة وجود.

هل فهمتم؟ جملة إنشائية استفهاميه، المسند فهم، و المسند إليه التاء.

يا تلاميذ: جملة إنشائية ندائيه، المسند و المسند إليه محذوفان تقديرهما أدعو نابت عنهما يا.

قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ هُوَ رَبُّكُمْ كُلُّ شَيْءٍ [الأنعام: ١٦٤] الهمزه الداخلة على لفظ أعبر ليست للاستفهام الحقيقي، بل هي للإنكار الذي لم يقع على أنه يعبر رباً، و لكنه وقع على أن يكون المبعى رباً غير الله.

المسند إليه: هو المبتدأ الذي له خبر، و الفاعل، و نائبه، و أسماء النواسخ.

و أحواله هي الذكر، و الحذف، و التعريف، و التنكير، و التقديم، و التأخير و غيرها، و في هذا الباب عدة مباحث.

المبحث الأول في ذكر المسند إليه

كلّ لفظ يدلّ على معنى في الكلام خليق طبعاً بالذكر، لتأديه المعنى المراد به؛ فلهذا يذكر المسند إليه وجوباً، حيث إنّ ذكره هو الأصل، و لا مقتضى للحذف، لعدم قرينه تدلّ عليه عند حذفه. و إلاّ كان الكلام معمّياً مبهماً، لا يستبين المراد منه.

و قد يترجّح الذكر مع وجود قرينه تمكّن من الحذف، حين لا يكون منه مانع؛ فمن مرّجات الذكر (1).

ص: ٩٧

١-١). بيان ذلك أنه إذا لم يوجد في الكلام قرينه تدل على ما يراد حذفه، أو وجدت قرينه ضعيفه غير مصحوبه بغرض آخر يدعوا إلى الحذف، فلا بد من الذكر جرياً على الأصل، و قد تدعوا الظروف و المناسبات إلى ترجيح (الذكر) مع وجود قرينه تمكّن من (الحذف) و ذلك لأغراض مختلفه، ترجع إلى أساليب البلغاء فنجدهم قد ذكروا أحيانا ما يجوز أن يستغنى عنه، و حذفوا ما لا يوجد مانع من ذكره، فرجحوا الذكر أحيانا و الحذف أحيانا لأسباب بلاغيه اقتضت ذلك.

١- زياده التقرير و الإيضاح للسامع: كقوله تعالى: **أُولَئِكَ عَلَيَّ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** [البقره:٥] (١)، و كقول الشاعر: [الطويل]

هو الشمس في العليا هو الدهر في السطا

هو البدر في النّادى هو البحر في الندى

٢- قله الثقه بالقرينه: لضعفها أو ضعف فهم السامع. نحو سعد نعم الرّعيم: تقول ذلك إذا سبق لك ذكر سعد، و طال عهد السامع به، أو ذكر معه كلام فى شأن غيره.

٣- الرّد على المخاطب: نحو: الله واحد، ردّا على من قال: الله ثالث ثلاثة.

٤- التلذذ: نحو: الله ربي، الله حسبي.

٥- التعريض بغباه السامع: نحو سعيد قال كذا، فى جواب: ماذا قال سعيد؟

٦- التّسجيل على السامع (٢)، حتّى لا يتأتّى له الإنكار- كما إذا قال الحاكم لشاهد: هل أقرّ زيد هذا بأنّ عليه كذا؟ فيقول الشاهد نعم زيد هذا أقرّ بأنّ عليه كذا (٣).

٧- التّعجب: إذا كان الحكم غريباً، نحو: علىّ يقاوم الأسد فى جواب من قال: هل علىّ يقاوم الأسد؟

٨- التعظيم: نحو حضر سيف الدوله. فى جواب من قال: هل حضر الأمير؟

٩- الإهانه: نحو السارق قادم. فى جواب من قال: هل حضر السارق؟

ص: ٩٨

١- (١). الشاهد فى **أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** حيث كرر اسم الإشاره المسند إليه التقرير و الإيضاح تنبيها على أنّهم كما ثبتت لهم الأثره و الميزه بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح أيضا.

٢- (٢). أى كتابه الحكم عليه بين يدى الحاكم.

٣- (٣). فيذكر المسند إليه لثلا يجد المشهود عليه سيلا للإنكار بأن يقول للحاكم عند التسجيل، إنّما فهم الشاهد أنك أشرت إلى غيرى فأجاب: و لذلك لم أنكر و لم أطلب الاعذار فيه.

الحذف خلاف الأصل و هو قسمان:

أ-قسم يظهر فيه المحذوف عند الإعراب: كقولهم: أهلا و سهلا فَإِنَّ نَصِبَهُمَا يَدُلُّ عَلَى نَاصِبِ مَحذُوفٍ يَقْدَرُ بِنَحْوِ: جئْت أهلا و نزلت مكانا سهلا، و ليس هذا القسم من البلاغه في شيء.

ب-و قسم لا يظهر فيه المحذوف عند الإعراب: و إنما تعلم مكانه إذا أنت تصفحت المعنى و وجدته لا يتم إلا بمراعاته، نحو يعطى و يمنع أى: يعطى من يشاء، و يمنع من يشاء. و لكن لا سبيل إلى إظهار ذلك المحذوف، و لو أنت أظهرته زالت البهجه، و ضاع ذلك الرّونق (1).

و من دواعى حذف المسند اليه إذا دلت عليه قرينه:

١-ظهوره بدلاله القرائن عليه: نحو: فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ [الذاريات:٢٩]. أى أنا عجوز.

٢-إخفاء الأمر عن غير المخاطب: نحو أقبل، تريد علينا مثلا.

ص: ٩٩

١-١). و فى هذا القسم تظهر دقائق البلاغه و مكنون سرها و رائع أساليبها. و لهذا يقول الإمام (عبد القاهر الجرجاني) فى باب الحذف: إنه باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر و الصمت عن الإفاده أزيد للإفاده، و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبين، و هذه جمله قد تنكرها حتى تخبر، و تدفعها حتى تنظر و الأصل فى جميع المحذوفات على اختلاف ضرورها أن يكون فى الكلام ما يدل عليها، و إلا كان الحذف تعميمه و إغازا لا يصار إليه بحال، و من شرط حسن الحذف أنه متى ظهر المحذوف زال ما كان فى الكلام من البهجه و الطلاوه، و صار إلى شيء غث لا تناسب بينه و بين ما كان عليه أولا (و القرينه شرط فى صحة الحذف) إذا اقترن بها غرض من الأغراض المذكوره.

٣- تيسّر الإنكار إن مسّت إليه الحاجه: نحو «لئيم خسيس» بعد ذكر شخص، لا تذكر اسمه ليتأتى لك عند الحاجه أن تقول ما أردته ولا قصدته.

٤- الحذر من فوات فرصه سانحه: كقول مته الصياد: «غزال»، أى: هذا غزال.

٥- اختبار تنبه السامع له عند القرينه، أو مقدار تنبهه: نحو نوره مستفاد من نور الشمس، أو هو واسطه عقد الكواكب أى «القمر» فى كلّ من المثالين.

٦- ضيق المقام عن إطاله الكلام بسبب تضجّر و توجّع: كقوله: [الخفيف]

قال لى كيف أنت قلت عليل

سهر دائم و حزن طويل (١)

٧- المحافظه على السجع نحو: من طابت سريره، حمدت سيرته (٢).

٨- المحافظه على قافيه كقوله: [الطويل]

و ما المال و الأهلون إلا ودائع

و لا بدّ يوما أن تردّ الودائع (٣)

٩- المحافظه على وزن كقوله: [الطويل]

على أنّى راض بأن أحمل الهوى

و أخلص منه لا علىّ و لا ليا (٤)

١٠- كون المسند إليه معينا معلوما حقيقه نحو: [□]عالم الغيب و [□]الشهاده [الأنعام: ٧٣، التوبه: ٩٤] أى الله، أو معلوما ادعاء نحو وهاب الألو ف أى فلان.

١١- إتباع الاستعمال الوارد على تركه (٥): نحو: رميه من غير رام، أى هذه رميه. و نحو: نعم الزعيم سعد: أى هو سعد.

ص: ١٠٠

١- ١). أى لم يقل أنا عليل لضيق المقام بسبب الضجر الحاصل له من الضنى.

٢- ٢). أى لم يقل حمد الناس سيرته للمحافظه على السجع المستلزم رفع الثانيه.

٣- ٣). فلو قيل: أن يرد الناس الودائع او جعل «ان تردّ» صيغه الخطاب لاختلفت القافيه لصيرورتها مرفوعه فى الأول منصوبه فى

الثاني

٤-٤) . أى لا على شيء، ولا لى شيء.

٥-٥) . وكذا أيضا الوارد على ترك نظائره مثل الرفع على المدح نحو مررت بزيد الهمام، و على الذم نحو رأيت بكرا اللئيم، و على الترحم مثل: ترفق بخالد المسكين.

١٢- إشعار أن في تركه تطهيرا له عن لسانك، أو تطهيرا للسانك عنه، مثال الأول (مقرر للشرائع موضح للدلائل) تريد صاحب الشريعة و مثال الثانى: صُمْ بِكُمْ عُمِّي [البقره: ١٧١، ١٨].

١٣- تكثر الفائدة: نحو: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ [يوسف: ١٨، ٨٣] أى فأمرى صبر جميل.

١٤- تعيينه بالعهديه: نحو: وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى (١) [هود: ٤٤] أى السفينه و نحو: تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ [ص: ٣٢] أى الشمس.

و مرجع ذلك إلى الذوق الأدبي: فهو الذى يوحى إليك بما فى القول من بلاغه و حسن بيان.

تدريب

بين أسباب ذكر و حذف المسند إليه فى الأمثله الآتيه:

وَ أَنَا لَا نَذَرِي أَ شَرًّا أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا [الجن: ١٠].

الرئيس كلمنى فى أمرك، و الرئيس أمرنى بمقابلتك (٢)، الأمير نشر المعارف، و أمن المخاوف (٣)، محتال مراوغ (٤)، منضجه للزرع. مصلحه للهواء (٥).

فعباس يصدّ الخطب عنا

و عباس يجير من استجارا

[الوافر]

خَلَقَ فَسَوَّى [الأعلى: ٢] مقرر للشرائع موضح للدلائل، وَ لَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ [النحل: ٩].

ص: ١٠١

١- ١. قيل الجودى هو [الجبل] الذى وقفت عليه سفينه نوح، و هى معهوده فى الكلام السابق فى قوله تعالى: وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا الخ.

٢- ٢. تخاطب غيبًا.

٣- ٣. جوابا لمن سأل ما فعل الأمير؟

٤- ٤. بعد ذكر إنسان.

٥- ٥. تعنى الشمس.

٦- ٦. أى لو شاء هدايتكم.

و إني من القوم الذين هم هم

إذ مات منهم سيد قام صاحبه

[الطويل]

أنا مصدر الكلم البوادي

بين المحاضر و النوادي

[مجزوء الكامل]

أنا فارس أنا شاعر

في كلّ ملحمة و نادي

إن حل في روم ففيها قيصر

أو حلّ في عرب ففيها تبع

[الكامل]

تسائلني ما الحبّ قلت عواطف

منوّعه الأجناس موطنها القلب

[الطويل]

تطبيق

وضح دواعي الحذف في التراكيب الآتية:

ملوك و إخوان إذا ما مدحتهم

أحكّم في أموالهم و أقرب

[الطويل]

أما و الذي أبكى و أضحك و الذي

أمات و أحيا و الذي أمره أمر

[الطويل]

حريص على الدنيا مضيع لدينه

و ليس لما في بيته بمضيع

[الطويل]

و إنى رأيت البخل يزرى بأهله

فأكرمت نفسى أن يقال بخيل

[الطويل]

ص: ١٠٢

حقّ المسند إليه: أن يكون معرفه، لأنّه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوما. ليكون الحكم مفيدا.
و تعريفه (1) إما بالاضمار، و إما بالعلميّة، و إما بالإشاره، و إما بالموصوليه، و إما بأل، و إما بالإضافه، و إما بالنداء.

في تعريف المسند إليه بالاضمار

يؤتى بالمسند إليه ضميرا لأغراض:

١- لكون الحديث في مقام التكلّم كقوله صلّى الله عليه و آله: «أنا النبي لا أكذب، أنا ابن عبد المطلب».

ص: ١٠٣

١ - ١) . اعلم أن كلاً من المعرفة و النكره يدل على معين. و إلا- امتنع الفهم، إلا- أن الفرق بينهما أن (النكره) يفهم منها ذات المعين فقط. و لا- يفهم منها كونه معلوما للسامع و أن (المعرفه) يفهم منها ذات المعين، و يفهم منها كونه معلوما للسامع لدلاله اللفظ على التعيين، و التعيين فيها، إما بنفس اللفظ من غير احتياج إلى قرينه خارجه كما في العلم و إما بقرينه تكلم أو خطاب أو غيبه كما في الضمائر، و إما بقرينه إشاره حسيه كما في الإشاره و إما بنسبه معهوده كما في الأسماء الموصوله، و إما بحرف و هو المعرف بأل. و النداء. و إما بإضافه معنويه و هو المضاف إلى واحد مما ذكر ما عدا المنادى. و اعلم أنه قدم ذكر (الإضمار) لأنه أعرف المعارف، و أصل الخطاب أن يكون لمعين، و قد يستعمل أحيانا دون أن يقصد به مخاطب معين كقول المتنبي: [الطويل]. إذا أنت أكرمت الكريم ملكته و إن أنت أكرمت اللئيم تمردا اخرج الكلام هنا في صوره الخطاب ليفيد العموم.

٢- أو لكون الحديث فى مقام الخطاب كقول الشاعر: [الطويل]

و أنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى

و أشمتت بى من كان فىك يلوم

٣- أو لكون الحديث فى مقام الغيبة لكون المسند إليه مذكوراً- أو فى حكم المذكور لقرينه نحو الله تبارك و تعالى.

و لا بد من تقدم ذكره:

أ- إِمَّا لِفِظًا: كقوله تعالى: وَ إِصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ [يونس: ١٠٩].

ب- و إِمَّا مَعْنَى: نحو: وَ إِنْ قِيلَ لَكُمْ اِرْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ [النور: ٢٨] أى الرجوع.

ج- أو دلت عليه قرينه حال كقوله تعالى: فَلَهُنَّ ثُلَاثًا مِمَّا تَرَكَ [النساء: ١١] أى: الميت.

تنبيهات

الأول: الأصل فى الخطاب أن يكون لمشاهد معين. نحو: أنت استرقتنى يا حسانك.

و قد يخاطب:

أ- غير المشاهد إذا كان مستحضراً فى القلب نحو: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ [الأنبياء: ٨٧]، و نحو: [البسيط]

جودى بقربك أبلغ كل أمنيته

أنت الحياه و أنت الكون أجمعه

ب- و غير المعين: إذا قصد تعميم الخطاب لكل من يمكن خطابه على سبيل البدل، لا التناول دفعه واحده كقول المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

و إن أنت أكرمت اللئيم تمردا

[الطويل]

الثانى: الأصل فى وضع الضمير عدم ذكره إلا بعد تقدم ما يفسره و قد يعدل عن هذا الأصل: فيقدم الضمير على مرجعه لأغراض

كثيره منها:

أ-تمكين ما بعد الضمير في نفس السامع لتشويقه إليه كقوله: [الطويل] هي النفس ما حملتها تتحمل.

ص: ١٠٤

فَائِلَهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ [الحج: ٤٦]، و نعم رجلا على، فالفاعل ضمير يفسيـره التمييز، و يطرد ذلك في باب نعم و بئس، و في باب ضمير الشأن نحو قوله تعالى: هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [الإخلاص: ١]

ب- و ادعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن، نحو: أقبل و عليه الهيبة و الوقار. و نحو قول الشاعر: [الكامل]

أبت الوصال مخافه الرقباء

و أتتك تحت مدارع الظلماء

و يسمى هذا العدول بالإضمار في مقام الإظهار.

الثالث: يوضع الظاهر سواء أكان علما، أو صفه، أو إشاره موضع الضمير، لأغراض كثيره:

١- منها إلقاء المهابه في نفس السامع، كقول الخليفه: أمير المؤمنين يأمر بكذا.

٢- و تمكين المعنى في نفس المخاطب، نحو: الله ربي و لا أشرك بربي أحدا.

٣- و منها التلذذ كقول الشاعر: [الطويل]

سقى الله نجدا و السلام على نجد

و يا جبذا نجد على القرب و البعد

٤- و منها الاستعطاف، نحو: اللهم عبدك يسألك المغفره. أي أنا أسألك.

و يسمى هذا العدول بالإظهار في مقام الإضمار.

في تعريف المسند إليه بالعلميه

يؤتى بالمسند إليه علما: لإحضار معناه في ذهن السامع، ابتداء باسمه الخاص ليمتاز عما عداه، كقوله تعالى: وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ [البقره: ١٢٧].

و قد يقصد به مع هذا أغراض أخرى تناسب المقام:

١- كالمدح في الألقاب التي تشعر بذلك، نحو: جاء نصر، و حضر صلاح الدين.

٢- و الذم و الإهانه، نحو: جاء صخر، و ذهب تأبط شرا.

٣- و التفاؤل، نحو: جاء سرور.

٤- والتشاؤم، نحو: حرب في البلد.

٥- والتبرك، نحو: الله أكرمى، في جواب: هل أكرمك الله؟

٦- والتلذذ، كقول الشاعر. [البسيط]

بالله يا ظييات القاع قلن لنا

ليلاى منكنّ أم ليلى من البشر

٧- والكنايه عن معنى يصّيح العلم لذلك المعنى: بحسب معناه الأصلي قبل العلميه، نحو: أبو لهب فعل كذا، . . كنايه عن كونه جهنميا. لأن اللهب الحقيقى هو لهب جهنم، فيصح أن يلاحظ فيه ذلك.

في تعريف المسند إليه بالإشاره.

يؤتى بالمسند إليه اسم إشاره: إذا تعيّن طريقا لإحضار المشار إليه في ذهن السامع، بأن يكون حاضرا محسوسا، ولا يعرف المتكلم و السامع اسمه الخاص، ولا معينا آخر، كقولك أتبع لى هذا، مشيرا إلى شىء لا تعرف له اسما ولا وصفا.

أما إذا لم يتعيّن طريقا لذلك، فيكون لأغراض أخرى.

١- بيان حاله فى القرب، نحو: هذه بضاعتنا. او فى التوسط، نحو: ذاك ولدى. او فى البعد، نحو: ذلك يوم الوعيد.

٢- تعظيم درجته بالقرب، نحوه: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [الإسراء: ٩].

أو تعظيم درجته بالبعد، كقوله تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ [البقره: ٢].

٣- أو التحقير بالقرب، نحو: هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ [الأنبياء: ٣].

أو التحقير بالبعد، كقوله تعالى: فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ [الماعون: ٢].

٤- وإظهار الاستغراب، كقول الشاعر: [البسيط].

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه

و جاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الأوهام حائره

و صير العالم التحرير زنديقا

٥- و كمال العناية و تمييزه أكمل تمييز، كقول الفرزدق: [البسيط]

هذا الذى تعرف البطحاء و طأته

و البيت يعرفه و الحلّ و الحرم

و نحو قوله: هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه.

٦- و التعريض بغاوه المخاطب، حتى كأنه لا يفهم غير المحسوس، نحو: [الطويل]

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم

إذا جمعتنا يا جرير المجمع

٧- و التنبية على أن المشار إليه المعقّب بأوصاف، جدير لأجل تلك الأوصاف بما يذكر بعد اسم الإشارة، كقوله تعالى: [□]أُولَئِكَ عَلَيَّ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [لقمان: ٥ البقره: ٥]. (١)

و كثيرا ما يشار إلى القريب غير المشاهد بإشاره البعيد، تنزيلا للبعد عن العيان، منزله البعد عن المكان، نحو: [□]ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَشْطَعْ عَلَيْهِ صَبْرًا [الكهف: ٨٢].

فى تعريف المسند إليه بالموصولته

يؤتى بالمسند إليه اسم موصول اذا تعين طريقا لإحضار معناه. كقولك: الذى كان معنا أمس سافر، إذا لم تكن تعرف اسمه.

أمّا إذا لم يتعين طريقا لذلك؛ فيكون لأغراض أخرى. منها:

١- التّشويق: و ذلك فيما إذا كان مضمون الصّلة حكما غريبا كقوله: [الخفيف]

و الذى حارت البريه فيه

حيوان مستحدث من جماد (٢)

٢- إخفاء الأمر عن غير المخاطب كقول الشاعر: [الكامل]

و أخذت ما جاد الأمير به

و قضيت حاجاتى كما أهوى

١-١) . أى فالمشار إليه بأولئك هم المتقون. و قد ذكر عقبه أوصاف هى الإيمان بالغيب، و إقامة الصلاه و ما بعدهما، ثم أتى بالمسند إليه اسم إشاره و هو أولئك تنبيها على أن المشار إليهم جديرون و أحقاء من أجل تلك الخصال، بأن يفوزوا بالهدايه عاجلا، و الفوز بالفلاح آجلا.

٢-٢) . يعنى تحيرت البريه فى المعاد الجسمانى.

٣-التنبية على خطأ المخاطب، نحو: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِحَبِإٍ أَمْثَلُكُمْ [الأعراف: ١٩٤]، و كقول الشاعر: [الكامل]

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ

يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا (١)

٤-التنبية على خطأ غير المخاطب كقوله: [الكامل]

إِنَّ التِي زَعَمْتَ فَوَادَكَ مَلَهَا

خلقت هواك كما خلقت هوى لها

٥-تعظيم شأن المحكوم به كقول الشاعر: [الكامل]

إِنَّ الذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا

بيتا دعائمه أعزّ و أطول (٢)

٦-التهويل: تعظيما أو تحقيرا نحو: فَعَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا عَشِيَهُمْ [طه: ٤٨] (٣) و نحو: من لم يدر حقيقه الحال قال ما قال.

٧-استهجان التصريح بالاسم نحو: الذِي رباني أبي (٤).

٨-الإشارة إلى الوجه الذِي يبني عليه الخبر من ثواب أو عقاب كقوله تعالى: فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [الحج: ٥٠].

٩-التوبيخ نحو: الذِي أحسن إليك قد أسأت إليه.

١٠-الاستغراق نحو: الذيين يأتونك أكرمهم.

١١-الإبهام نحو: لكل نفس ما قدمت.

و اعلم أن التعريف بالموصولية مبحث دقيق المسلك، غريب النزعه يوقفك على دقائق من البلاغه تؤنسك إذا أنت نظرت إليها بشاقب فكرك، و تثلج صدرك إذا تأملتها بصادق رأيك، فأسرار و لطائف التعريف بالموصولية لا يمكن ضبطها، و اعتبر في كل مقام ما تراه مناسبا.

ص: ١٠٨

الخ).

٢-٢). أي إن من سمك السماء بنى لنا بيتا من العز و الشرف، هو أعز و أقوى من دعائم كل بيت.

٣-٣). أي غطاهم و سترهم من البحر موج عظيم، لا تحيط العبارة بوصفه.

٤-٤). أي بأن كان اسمه قبيحا كمن كان اسمه «برغوث». أو جحش. أو بطه، أو غيره.

يؤتى بالمسند إليه معرّفًا بأل العهدية أو أل الجنسيه لأغراض آتية:

أل العهدية: تدخل على المسند إليه للإشارة إلى فرد معهود خارجا بين المتخاطبين و عهده يكون:

أ- إما بتقدّم ذكره صريحا كقوله تعالى: **كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ** [المزمل: ١٥، ١٦]: و يسمّى عهدا صريحا.

ب- إما بتقدّم ذكره تلويحا كقوله تعالى: **وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ** [آل عمران: ٣٦]. فالذكر و إن لم يكن مسبوقا صريحا، إلا أنه إشاره إلى ما فى الآيه قبله: **رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ (م) فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا (١)**. فإنهم كانوا لا يحررون لخدمه بيت المقدس إلا الذكور، و هو المعنى ب «ما» و يسمّى كنايا.

ج- و إما بحضوره بذاته نحو: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** [المائدة: ٣] أو بمعرفه السامع له نحو: هل انعقد المجلس، و يسمّى عهدا حضوريا.

أل الجنسيه: و تسمى لام الحقيقه: تدخل على المسند إليه لأغراض أربعه:

١- للإشاره إلى الحقيقه: من حيث هى بقطع النظر عن عمومها و خصوصها، نحو: الإنسان حيوان ناطق. و تسمى لام الجنس لأن الإشاره فيه إلى نفس الجنس، بقطع النظر عن الأفراد نحو: الذهب أثمن من الفضة.

ص: ١٠٩

١- ١). التحرير هو العتق لخدمه بيت المقدس. أى: و ليس الذكر الذى طلبت كالأُنثى التى وهبت لها، فطلبها الذكر كان بطريق الكنايه فى قولها **رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ (م) مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا** فإن ذلك كان مقصورا عندهم على المذكور قال فى «الذكر» عائده إلى مذكر بطريق الكنايه، و أل فى «الأُنثى» عائده إلى مذكور صريحا فى قولها **رَبِّ إِنِّي وَصَعْتُهَا أَنْثَى**.

٢- أو للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مبهم، إذا قامت القرينه على ذلك، كقوله تعالى: **وَ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ** [يوسف: ١٣]. و مدخولها في المعنى كالنكره فيعامل معاملتها و تسمى لام العهد الذهني.

٣- أو للإشارة إلى كل الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغه.

أ- بمعونه قرينه حاله نحو: **عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ** [الأنعام: ٧٣، التوبه: ٩٤]. أى كل غائب و شاهد.

ب- أو بمعونه قرينه لفظيه نحو: **إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ** [العصر: ٢]. أى كل إنسان بدليل الاستثناء بعده. و يسمى استغراقا حقيقيا.

٤- أو للإشارة إلى كل الأفراد مقيدا نحو: جمع الأمير التجار و ألقى عليهم نصائحه أى جمع الأمير تجار مملكته لا تجار العالم أجمع. و يسمى استغراقا عرفيا.

تنبيهات

التنبيه الأول: علم مما تقدم أن أَل التعريفه قسمان:

القسم الأول: لام العهد الخارجى، و تحته أنواع ثلاثه: صريحى و كنائى و حضورى.

و القسم الثانى: لام الجنس: و تحته أنواع أربعه: لام الحقيقه من حيث هى، و لام الحقيقه فى ضمن فرد مبهم، و لام الاستغراق الحقيقى، و لام الاستغراق العرفى.

التنبيه الثانى: استغراق المفرد أشمل من استغراق المشئى، و الجمع، و اسم الجمع. لأن المفرد: يتناول كل واحد واحد من الأفراد. و المشئى إنما يتناول كل اثنين اثنين. و الجمع إنما يتناول كل جماعه جماعه بدليل صحه: لا رجال فى الدار، إذا كان فيها رجل أو رجالان، بخلاف قولك: لا رجل، فإنه لا يصح إذا كان فيها رجل أو رجالان.

و هذه القضية ليست بصحيحه على عمومها، و إنما تصح فى النكره المنفيه، دون الجمع المعرف باللام، لأن المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد نحو **الرِّجَالُ قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ** [النساء: ٣٤] بل هو فى المفرد أقوى، كما دل عليه الاستقراء و صرح به أئمه اللغه

و علماء التفسير فى كل ما وقع فى القرآن العزيز نحو: أَعْلَمَ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [البقره: ٣٣]، وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران: ١٣٤]، وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا [البقره: ٣١] إلى غير ذلك من آى الذكر الحكيم كما فى المطولات.

التنبه الثالث: قد يعرف الخبر بلام الجنس لتخصيص المسند إليه بالمسند المعروف و عكسه حقيقه نحو: هو الغفور الودود. و نحو: وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى [البقره: ١٩٧] أو ادعاء للتنبه على كمال ذلك الجنس فى المسند إليه نحو: محمد العالم، أى الكامل فى العلم، أو كمال فى المسند، نحو الكرم التقوى أى لا كرم إلاهى.

فى تعريف المسند إليه بالإضافة

يؤتى بالمسند إليه معرّفًا بالإضافة إلى شىء من المعارف السابقه لأغراض كثيره

- ١- منها أنها أخصر طريق إلى إحضاره فى ذهن السامع نحو: جاء غلامى فإنه أخصر من قولك: جاء الغلام الذى لى.
- ٢- ومنها تعذر التعدد: أو تعسره نحو: أجمع أهل الحق على كذا، و أهل مصر كرام.
- ٣- ومنها الخروج من تبعه تقديم البعض على البعض نحو: حضر أمراء الجند.
- ٤- ومنها التعظيم للمضاف نحو: كاتب السلطان حضر.
- أو التعظيم للمضاف إليه نحو: الأمير تلميذى أو غيرهما، نحو: أخو الوزير عندى.
- ٥- ومنها التحقير للمضاف نحو: ولد اللص قادم
- أو التحقير للمضاف إليه نحو: رفيق زيد لص أو غيرهما نحو: أخو اللص عند عمرو.
- ٦- ومنها الاختصار لضيق المقام: لفرط الضجر و السآمه كقول جعفر بن علبه، و هو فى السجن بمكه: [الطويل]

هواى مع الركب اليمانين مصعد

جنب و جثمانى بمكه موثق (١)

ص: ١١١

(١ - ١). أى: من أهواه و أحبه ذاهب مع ركبان الإبل، القاصدين إلى اليمن منضم إليهم، مقود معهم، و جسمى مقيد بمكه، محبوس و ممنوع عن السير معهم، فلفظ هواى أخصر من الذى أهواه، و نحوه.

و اعلم أنّ هيئه التركيب الإضافى: موضوعه للاختصاص المصحح لأن يقال المضاف للمضاف إليه فإذا استعملت فى غير ذلك كانت مجازاً كما فى الإضافة لأدنى ملبسه نحو: مكر الليل و كقوله: [الطويل]

إذا كوكب الخرقاء لاح بسحره

«سهيل» أذاعت غزلها فى القرائب (١)

فى تعريف المسند إليه بالنداء

فى تعريف المسند إليه بالنداء (٢)

يؤتى بالمسند إليه معرفاً بالنداء: لأغراض كثيرة.

١- منها إذا لم يعرف للمخاطب عنوان خاص: نحو يا رجل.

٢- ومنها الإشارة إلى عله ما يطلب منه نحو: يا تلميذ اكتب الدرس.

ص: ١١٢

١-١). أضاف الكوكب إلى (الخرقاء) أى المرأة الحمقاء مع أنه ليس لها، لأنها لا تتذكر كسوتها إلا وقت طلوع (سهيل) سحراً فى الشتاء، و تفصيل ذلك أنه يقال إن المرأة الحمقاء كانت تضيع وقتها فى الصيف، فإذا طلع سهيل و هو كوكب قريب من القطب الجنوبى فى السحر، و ذلك قرب الشتاء أحست بالبرد، و احتاجت إلى الكسوة، ففرقت غزلها أى قطنها أو كتانها الذى يصير غزلاً- فى أقاربها، ليغزلوا لها بسبب عجزها عن الغزل ما يكفيها لضيق الوقت، فإضافه كوكب الخرقاء لأدنى ملبسه، و قد جعل الشاعر هذه الملبسه بمنزله الاختصاص.

٢-٢). اعلم أن أغلب البيانين لم يثبت (التعريف بالنداء) فى تعريف المسند إليه. و تحقيق ذلك يطلب من المطولات فى علوم البلاغة.

يؤتى بالمسند إليه نكره: لعدم علم المتكلم بجهه من جهات التعريف حقيقه أو ادعاء، (١) كقولك: جاء هنا رجل يسأل عنك. إذا لم تعرف ما يعينه من علم أو صله أو نحوهما، وقد يكون لأغراض أخرى.

١- كالتكثير (٢) نحو: وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ [فاطر: ٤] أى رسل كثيرين.

٢- والتقليل نحو: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران: ١٥٤]، و نحو: وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ [التوبة: ٧٢].

٣- والتعظيم والتحقير كقول ابن أبي السمط: [الطويل]

له حاجب عن كل أمر يشينه

و ليس له عن طالب العرف حاجب

أى له مانع عظيم، و كثير عن كل عيب و ليس له مانع قليل أو حقير عن طالب الإحسان (٣)، فيحتمل التعظيم و التكثير و التقليل و التحقير.

٤- إخفاء الأمر نحو: قال رجل إنك انحرقت عن الصواب تخفى اسمه، حتى لا يلحقه أذى.

٥- و قصد الأفراد نحو: ويل أهون من ويلين. «أى ويل واحد أهون من ويلين».

٦- و قصد النوعيه نحو: لكل داء دواء. «أى لكل نوع من الداء نوع من الدواء».

ص: ١١٣

١- ١) . كقوله تعالى: هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُبْسِكُمْ إِذَا مَنَّكُمْ كُلٌّ مَمَرَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ .

٢- ٢) . اعلم أن الفرق بين التعظيم و التكثير أن التعظيم بحسب رفعه الشأن و علو الطبقة، و أن التكثير باعتبار الكميات و المقادير، تحقيقا كما فى قولك إن له لإبلا، و إن له لغنما، أو تقديرا نحو: و رضوان من الله أكبر، أى قليل من الرضوان أكبر من كل شىء، و يلاحظ ذلك الفرق فى التحقير و التقليل أيضا.

٣- ٣) . و منه قوله: [الطويل] و لله عندى جانب لا أضيعه و للهو عندى و الخلاعه جانب و يحتمل التكثير و التقليل قوله تعالى: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ .

مرتبته المسند إليه: التقديم وذلك لأنّ مدلوله هو الذى يخطر أولاً فى الذهن، لأنه المحكوم عليه، و المحكوم عليه سابق للحكم طبعاً. فاستحقّ التقديم و ضعاً، و لتقديمه دواع شتى.

ص: ١١٤

١- ١). معلوم: أن الألفاظ قوالب المعانى. فيجب أن يكون ترتيبها الوضعى حسب ترتيبها الطبيعى. و من البين أن (رتبه المسند إليه التقديم) لأنه المحكوم عليه، و رتبه المسند التأخير، إذ هو المحكوم به، و ما عداهما فهو متعلقات و توابع تأتي تاليه لهما فى الرتبه و لكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا و الاعتبارات ما يدعو إلى تقديمها، و إن كان من حقها التأخير فيكون من الحسن إذا تغيير هذا الأصل و اتباع هذا النظام ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذى يؤدى إليه، و مترجماً عما يريد. و لا يخلو (التقديم) من أحوال أربع: الأول: ما يفيد زياده فى المعنى مع تحسين فى اللفظ و ذلك هو الغايه القصوى و إليه المرجع فى فنون البلاغه، و الكتاب الكريم هو العمده فى هذا. انظر إلى قوله تعالى: **وَجُودٌ يُؤْمِنُ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ** تجد أن تقديم الجار فى هذا **قِدْ** أفاد التخصيص و **أَنَّ** النظر لا يكون إلا لله، مع جوده الصياغه و تناسق السجع. الثانى: ما يفيد زياده فى المعنى فقط نحو **بَلِ اللَّهِ فَاعْتِيدُ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ** فتقديم المفعول فى هذا لتخصيصه بالعباده، و أنه ينبغى ألا تكون لغيره، و لو آخر ما أفاد الكلام ذلك. الثالث: ما يتكافأ فيه القديم و التأخير، و ليس لهذا الضرب شىء من الملاحه كقوله: [الطويل] و كانت يدي ملأى به ثم أصبحت «بحمد إلهى» و هى منه سلب فتقديره: ثم أصبحت و هى منه سلب بحمد إلهى. الرابع: ما يختل به المعنى و يضطرب، و ذلك هو التعقيد اللفظى، أو المعاظه التى تقدمت، كتقديم الصفه على الموصوف، و الصله على الموصول، أو نحو ذلك من الأنواع التى خرجت عن الفصاحه، و منها قول لفرزدق: [الطويل] إلى ملك ما أمه من محارب أبوه و لا كانت كليب تصاهره فتقديره: إى ملك أبوه ما أمه من محارب، أى ما أم أبيه منهم، و لا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظره الأولى، بل يحتاج إلى تأمل و تريث و رفق، حتى يفهم المراد منه.

١- تعجيل المسره نحو: ألعفو عنك صدر به الأمر.

٢- تعجيل المساء نحو: القصاص حكم به القاضي.

٣- التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعرا بغرابه كقول أبي العلاء المعري: [الخفيف]

و الذي حارت البريه فيه

حيوان مستحدث من جماد (١)

٤- التلذذ نحو: ليلي وصلت، و سلمى هجرت.

٥- التبرك: نحو: اسم الله اهتديت به.

٦- النص على عموم السلب أو النص على سلب العموم.

فعموم السلب: يكون بتقديم أداه العموم (٢) ككل، و جميع على أداه النفي نحو: كل ظالم لا يفلح، المعنى: لا يفلح أحد من الظلمه. و نحو: كل ذلك لم يكن: أى لم يقع هذا و لا ذاك. و نحو: كل تلميذ لم يقصر فى واجبه، و يسمى شمول النفي.

و اعلم: أن عموم السلب يكون النفي فيه لكل فرد. و توضيح ذلك: أنك إذا بدأت بلفظه كل، كنت قد سلطت الكليه على النفي، و أعملتها فيه و ذلك يقضى ألا يشذ عنه شىء.

و سلب العموم: يكون بتقديم أداه النفي على أداه العموم. نحو: لم يكن كل ذلك، أى لم يقع المجموع، فيحتمل ثبوت البعض و يحتمل نفي كل فرد لأن النفي يوجه إلى الشمول خاصه، دون أصل الفعل. و يسمى نفي الشمول.

و اعلم: أن سلب العموم يكون النفي فيه للمجموع غالبا كقول المتنبي: [البسيط]

ما كل رأى الفتى يدعو إلى رشد.

ص: ١١٥

١- ١). قيل (الحيوان) هو الإنسان، (و الجماد) الذى خلق منه هو النطفه و حيره البريه فيه هو الاختلاف فى إعادته للحشر، و هو

يريد أن الخلائق تحيرت فى المعاد الجسماني، يدل لذلك قوله قبله: [الخفيف]

٢- ٢). بشرط أن تكون أداه العموم غير معموله للفعل الواقع بعدها كما مثل، فإن كانت معموله للفعل بعدها: سواء تقدمت لفظا

أو تأخرت، نحو: كل ذنب لم أصنع، و لم آخذ كل الدراهم، أفاد الكلام سلب العموم و نفي الشمول غالبا.

وقد جاء لعموم النفي قليلا: نحو قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** [لقمان: ١٨] و دليل ذلك: الذوق و الاستعمال.

٧- إفاده التخصيص قطعا (١) إذا كان المسند إليه مسبوqa بنفى، و المسند فعلا- نحو: ما أنا قلت هذا، أى: لم أقله، و هو مقول لغيرى. و لذا لا يصح أن يقال: ما أنا قلت هذا و لا لغيرى، لأن مفهوم: ما أنا قلت، أنه مقول للغير، و منطوق: و لا لغيرى كونه غير مقول للغير فيحصل التناقض سلبا و إيجابا.

و إذا لم يسبق المسند إليه نفي كان تقديمه محتملا (٢) لتخصيص الحكم به أو تقويته، إذا كان المسند فعلا (٣) نحو: أنت لا تبخل. و نحو: هو يهب الألوفا، فإن فيه الإسناد مرتين. إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب: فى المثال الأول. و إسناد الجملة إلى ضمير الغائب: فى المثال الثانى.

٨- مراعاة الترتيب الوجودى: نحو: **لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ** [البقرة: ٢٥٥].

ص: ١١٦

١- ١) . و ذلك يكون فى ثلاثه مواضع. الأول: أن يكون المسند إليه معرفه ظاهره بعد نفي، نحو: ما فؤاد فعل هذا. الثانى: أن يكون المسند إليه معرفه مضمرة بعد نفي، نحو: ما أنا قلت ذلك. الثالث: أن يكون المسند إليه نكره بعد نفي، نحو: ما تلميذ حفظ الدرس.

٢- ٢) . و ذلك فى سته مواضع: الأول: أن يكون المسند إليه معرفه ظاهره قبل نفي، نحو فؤاد ما قال هذا. الثانى: أن يكون المسند إليه معرفه ظاهره مثبتة، نحو عباس أمر بهذا. الثالث: أن يكون المسند إليه معرفه مضمرة قبل نفي، نحو أنا ما كتبت الدرس. الرابع: أن يكون المسند إليه معرفه مضمرة مثبتة، نحو أنا حفظت درسى. الخامس: أن يكون المسند إليه نكره قبل نفي، نحو رجل ما قال هذا. السادس: أن يكون المسند إليه نكره مثبتة، نحو تلميذ حضر اليوم فى المدرسه. و اعلم أن ما ذكرناه هو مذهب عبد القاهر الجرجانى و هو الحق، و خالفه السكاكى.

٣- ٣) . فإن قيل: لماذا اشترط أن يكون المسند فعلا، و هل إذا كان المسند وصفا مشتملا على ضمير، نحو: أنت بخيل، لم يكن كالفعل فى إفاده التقويه؟

إشاره

يؤخر المسند إليه: إن اقتضى المقام تقديم المسند كما سيجىء و لا نلتمس دواعى التقديم و التأخير إلا إذا كان الاستعمال يبيح كليهما.

تطبيق عام على أحوال المسند إليه و ما قبله

أمير المؤمنين يأمر ك بكذا: جمله خبريه اسميه من الضرب الثالث، المراد بالخبر بيان سبب داعى الامتثال. المسند إليه أمير المؤمنين. ذكر للتعظيم. و قدم لذلك. و المسند جمله يأمر، ذكر لأن الأصل فيه ذلك، و آخر لاقتضاء المقام تقديم المسند إليه و أتى به جمله لتقويه الحكم بتكرار الإسناد و التعظيم و تقويه الحكم و كون ذكر المسند هو الأصل و لا مقتضى للعدول عنه و اقتضاء المقام تقديم المسند إليه أحوال، و الذكر و التقديم و التأخير مقتضيات، و الإتيان بهذه الجملة على هذا الوجه مطابقه لمقتضى الحال.

أنت الذى أعاننى. و أنت الذى سرنى: ذكر أنت ثانيا لزياده التقرير و الإيضاح فزياده التقرير و الإيضاح حال، و التقرير مقتضى و الإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقه لمقتضى الحال.

سعيد يقتحم الأخطار: بعد مدحه ذكر سعيد للتعظيم و التعجب، فالتعظيم و التعجب حال و الذكر مقتضى، و الإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقه لمقتضى الحال.

على كتب الدرر: جواب ما الذى عمل على، ذكر على للتعريض بغباوه السامع. و قدم لتقويه الحكم لكون الخبر فعلا فالتعريض و التقويه حالان و الذكر و التقديم مقتضيان. و الإتيان بالجملة على هذا الوجه: مطابقه لمقتضى الحالين.

محمود نعم التلميذ: بعد مدح كثير له، ذكر محمود لقله الثقه بالقرينه و قدم لتقويه الحكم.

معطى الوسامات و الرتب: حذف المسند إليه للتنبيه على تعيين المحذوف ادعاء كالسلطان مثلاً.

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى [الضحى: ٦]: حذف مفعول آوى للمحافظه على الفاصله.

صاحبك يدعو إلى وليمه العرس: حذف مفعول يدعو للتعميم باختصار.

لا يعطى و لا يمنع إلا الله تعالى: حذف المفعولان لعدم تعلق الغرض بهما.

أهين الإمبر: حذف الفاعل للخوف عليه.

لسان الفتى نصف، و نصف فؤاده: قدم نصف الثانى للمحافظه على الوزن.

ما كل ما يتمنى المرء يدركه: قدمت أداه النفى على أداه العموم لإفاده سلب العموم و نفى الشمول.

جميع العقلاء لا يسعون فى الشر: قدمت أداه العموم على أداه النفى لإفاده عموم السلب و شمول النفى.

وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [آل عمران: ١٢٢]: قدم الجار و المجرور للتخصيص.

و نحن التاركون لما سخطنا

و نحن الآخذون لما رضينا

[الوافر]

الجملة الأولى خبريه اسميه، من الضرب الابتدائى، و المراد بالخبر إظهار الفخر و الشجاعه. المسند إليه نحن. ذكر لأن ذكره الأصل. و قدم للتعظيم، و عرف بالإضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار. و المسند التاركون. ذكر و آخر لأن الأصل ذلك.

ص: ١١٨

و أنت الذى أخلفتى ما وعدتني

و أشمتّ بى من كان فيك يلوم

[الطويل]

جملة خبريه اسميه من الضرب الابتدائي. و المراد بالخبر التوبيخ. المسند إليه أنت ذكر و قدم لأن الأصل فيه ذلك. و عرف بالإضمار لكون المقام للخطاب مع الاختصار و المسند لفظه الذى، و قد ذكر و آخر لأن الأصل فيه ذلك و عرف بالموصوليه للتعليل. يعنى أن إخلاف وعده كان سبب الشماته و اللوم. و أما جملة أشمتّ فمعطوفه على جملة أخلفت و وصلت بها لما تقدم. و عرف المسند إليه و هو الفاعل فى يلوم بالإضمار لكون المقام للغيه مع الاختصار.

أبو لهب فعل كذا: جملة خبريه اسميه من الضرب الثالث لما فيها من تقويه الحكم بتكرار الاسناد. و المراد بالخبر أصل الفائده لمن يجهل ذلك. المسند إليه أبو لهب. ذكر و قدم لأن الأصل فيه ذلك. و عرف بالعلميه كناية عن كونه جهنميا.

أسئله على أحوال المسند إليه يطلب أجوبتها

ما هو المسند إليه؟ ما هى أحواله؟ متى يجب ذكره؟ ما هى الوجوه التى نرجح ذكره عند وجود القرينه، متى يحذف؟ ما الفرق بين المعرفه و النكره؟ لم يعرّف المسند إليه بالإضمار؟ ما هو الأصل فى الخطاب؟ ما الإصل فى وضع الضمير؟ لم يعرّف المسند إليه بالعلميه؟ لم يعرّف بالإشاره؟ لم يعرّف بالموصوليه؟ لم يعرّف بالنداء؟ لأى شىء ينكر المسند إليه؟ لم يقدم المسند إليه؟ ما الفرق بين عموم السلب و سلب العموم؟ لم يؤخر المسند إليه؟

ص: ١١٩

الباب الرابع فى المسند و أحواله (١)

المسند، هو: الخبر، و الفعل التام؛ و اسم الفعل، و المبتدأ الوصف المستغنى بمرفوعه عن الخبر و أخبار النواسخ، و المصدر الثائب عن الفعل.

و أحواله: هى الذكر، و الحذف، و التعريف، و التنكير، و التقديم، و التأخير، و غيرها و فى هذا الباب ثلاثه مباحث.

المبحث الأول فى ذكر المسند أو حذفه

يذكر المسند للأغراض التى سبقت فى ذكر المسند إليه، و ذلك:

١- ككون ذكره هو الأصل، و لا مقتضى للعدول عنه، نحو: العلم خير من المال.

٢- كضعف التعويل على دلالة القرينه، نحو: حالى مستقيم و رزقى ميسور، إذ لو حذف ميسور لا يدلّ عليه المذكور.

ص: ١٢١

١ - ١). و إنما ذكر المسند بعد المسند إليه لأن المسند محكوم به، و المسند إليه محكوم عليه، و المحكوم به مؤخر عن المحكوم عليه طبعاً، فاستحق ذلك الترتيب وضعاً. و مبحث الذكر: لم يعرض له كثير كأبى هلال العسكرى. و الإمام عبد القاهر و لعله يتعلق كثيراً بالنحو.

٣- وكضعف تتبه السامع، نحو: أَضْلُهَا ثَابِتٌ وَفَزَعُهَا فِي السَّمَاءِ [إبراهيم: ٢٤] إذ لو حذف ثابت ربما لا يتتبه السامع لضعف فهمه.

٤- كالزرد على المخاطب، نحو: قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ [يس: ٧٩]، جوابا لقوله تعالى: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ [يس: ٧٨].

٥- وكإفاده أنه: فعل فيفيد التجدد والحدوث، ومقيدا بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار.

أو كإفاده أنه اسم فيفيد الثبوت مطلقا، نحو: يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ [النساء: ١٤٢]. فإنَّ يخادعون تفيد التجدد مره بعد أخرى، مقيدا بالزمن من غير افتقار إلى قرينه تدل عليه كذكر الآن أو الغد. وقوله: وهو خادعهم تفيد الثبوت مطلقا من غير نظر إلى زمان.

ويحذف المسند لأغراض كثيرة:

١- منها إذا دلت عليه قرينه، وتعلق بتركه غرض مما مر في حذف المسند إليه.

والقرينه: إمّا المذكوره، كقوله تعالى: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ [لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨] أي: خلقهنَّ الله. وإمّا مقدّره، كقوله تعالى: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ [النور: ٣٦] أي: يسبحه رجال، كأنه قيل: من يسبحه؟

٢- ومنها الاحتراز عن العبث، نحو: أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ [التوبه: ٣] أي: ورسوله برىء منهم أيضا. فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثا لعدم الحاجة اليه.

٣- ومنها ضيق المقام عن إطاله الكلام، كقول الشاعر:

نحن بما عندنا و أنت بما عن

دك راض و الرأى مختلف

أي: نحن بما عندنا راضون، فحذف لضيق المقام.

٤- ومنها اتباع و مجاراه ما جاء في استعمالاتهم الواردة عن العرب نحو: لَوْ لَأَنَّكُمْ لَكَذًا مُؤْمِنِينَ [سبأ: ٣١]. أي: لو لا- أنتم موجودون. وقولهم في المثل: رميه من غير رام أي هذه رميه.

ص: ١٢٢

عين أسباب الحذف و نوع المحذوف في الأمثلة الآتية:

١- نحو: ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [البقره: ٢٣٢].

٢- وقال عليه الصلاة والسلام: «علامه المؤمن ثلاث: إذا حدث صدق، و إذا وعد وفى، و إذا أوتمن لم يخن» .

٣- وقال: «يقول ابن آدم، مالى مالى، و أنما لك من مالك ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت» .

٤- وقال: «إن أحبكم إليّ و أقربكم منى مجالس يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون و يؤلفون» .

٥- وقال أبو العتاهيه: [الطويل]

جزى الله عنى صالحا بوفائه

و أضعف أضعافا له فى جزائه

صديق إذا ما جئت أبغيه حاجه

رجعت بما أبغى، و وجهى بمائه

٦- وقال البحترى يمدح الفتح بن خاقان: [الطويل]

رزين إذا القوم خفت حلومهم

و قور إذا ما حادث الدهر أجلبا

فتى لم يضيع وجه حزم و لم بيت

يلاحظ أعجاز الأمور تعقبا

٧- وقال الشاعر: [المجث]

من قاس جدواك يوما

بالسحب أخطأ مدحك

السحب تعطى و تبكى

و أنت تعطي و تضحك

٨- وقال المتنبي: [الوافر]

و لما صار ودّ الناس خبّاً

جزيت على ابتسام بابتسام

و صرت أشكّ فيمن أصطفيه

لعلمي أنه بعض الأنام

ص: ١٢٣

٩- وقال: [البسيط]

لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر و الإقدام قتال

١٠- وقال أبو فراس: [مجزوء الكامل]

لا تطلبين دنو دار

من خليل أو معاشر

أبقى لأسباب الموّد

ه أن تزور و لا تعاشر

تدريب

عين أسباب الذكر في الأمثلة الآتية:

١- قال الله تعالى: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ [البقره: ٧٩].

٢- وقال مروان بن أبي حفصه يمدح معن بن زائده: [الطويل]

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم

أسود لها في بطن خفان أشبل

هم يمنعون الجار حتى كأنما

لجارهم بين السماكين منزل

٣- وقال السموأل بن عادياء: [الطويل]

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه

فكلّ رداء يرتديه جميل

و إن هو لم يحمل على النفس ضيمها

فليس إلى حسن الثناء سبيل

٤- وقال أبو العتاهيه: [الطويل]

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى

ظمئت و أئى الناس تصفو مشاربه

ص: ١٢٤

تعريف المسند:

- ١- لإفاده السامع حكما على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله: بإحدى طرق التعريف، نحو: هذا الخطيب، و ذاك نقيب الأشراف.
 - ٢- وإفاده قصره على المسند إليه حقيقه نحو: سعد الزعيم إذا لم يكن زعيم سواه أو إدعاء مبالغه لكمال معناه في المسند إليه، نحو سعد الوطني أى الكامل الوطني، فيخرج الكلام فى صورته توهم أن الوطني لم توجد إلا فيه، لعدم الاعتداد بوطنيه غيره.
- و ذلك: إذا كان المسند معرفا بلام الجنس (١).
- و ينكر المسند: «لعدم الموجب لتعريفه» و ذلك:
- ١- لعدم قصد إرادته العهد أو الحصر نحو: أنت أمير و هو وزير.
 - ٢- ولاتباع المسند إليه فى التنكير نحو: تلميذ واقف بالباب:
 - ٣- ولإفاده التفخيم نحو: هُدَى لِلْمُتَّقِينَ [البقره: ٢].
 - ٤- ولقصد التحقير نحو: ما خالد رجلا يذكر.

ص: ١٢٥

١ - ١). على أن التعريف بلام الجنس لا- يفيد احيانا القصر، كقول الخنساء [الوافر] إذا قبح البكاء على قتيل وجدت بكاء ك الحسن الجميل فالخنساء: لا- تقصد قصر الجنس على بكاء قتيلا، لكنها تريد أن تثبت له، و تخرجه من جنس بكاء غيره من القتلى فهو ليس من القصر فى شىء.

إشاره

يقدم المسند: إذا وجد باعث على تقديمه كأن يكون عاملاً نحو: قام على. أو مما له الصدارة في الكلام، نحو: أين الطريق؟ أو إذا أريد به غرض من الأغراض الآتية:

١-التخصيص بالمسند إليه نحو: لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [المائدة: ١٢٠].

٢-التنبية من أول الأمر على أنه خبر لا نعت كقوله: [الطويل]

له همم لا منتهى لكبارها

و همته الصغرى أجل من الدهر

له راحه لو أن معشار جودها

على البر كان البر أندى من البحر

فلو قيل: همم له، لتوهم ابتداء كون له صفه لما قبله.

٣-التشويق للمتأخر، إذا كان في المتقدم ما يشوق لذكره. كتقديم المسند في قوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ إِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ [آل عمران: ١٩٠].

و كقوله: [الكامل]

خير الصنائع في الأنام صنيعه

تنبو بحاملها عن الإذلال

٤-التفاؤل: كما تقول للمريض: في عافيه أنت. و كقوله: [الكامل]

سعدت بغره وجهك الأيام

و تزينت بلقائك الأعوام

٥- منها: إفاده قصر المسند إليه على المسند نحو: لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينِ [الكافرون: ٦]، أى دينكم مقصور عليكم و ديني مقصور على.

٦- ومنها: المساءه نكايه بالمخاطب: كقول المتنبي: [الطويل]

و من نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدوا له ما من صداقته بدّ

ص: ١٢٦

٧- ومنها: تعجيل المسره للمخاطب، أو التعجب، أو التعظيم، أو المدح، أو الذم، أو الترحم، أو الدعاء. نحو: لله درك، و عظيم أنت يا الله، و نعم الزعيم سعد، و هلم جرا. و بئس الرجل خليل، و فقير أبوك، و مبارك وصولك بالسلامه.

و يؤخر المسند لأن تأخيره هو الاصل، و تقديم المسند إليه أهم، نحو: الوطن عزيز.

خاتمه

و ينقسم المسند من حيث الأفراد و عدمه إلى قسمين-مفرد-و جملة، فالمسند المفرد قسمان: فعل-نحو قدم سعد-و اسم: نحو سعد قادم. و المسند الجملة ثلاثة أنواع:

١- أن يكون سبباً نحو خليل أبوه منتصر، أو أبوه انتصر، أو انتصر أبوه.

٢- أن يقصد تخصيص الحكم بالمسند إليه، نحو أنا سعت في حاجتك أي الساعى فيها أنا لا غيرى.

٣- أن يقصد تأكيد الحكم نحو: سعد حضر.

و ذلك: لما فى الجملة: من تكرار الإسناد مرتين.

و يؤتى بالمسند: ظرفاً للاختصار، نحو خليل عندك. و جارا و مجرورا، نحو: محمود فى المدرسه.

بين أسباب التقديم و التأخير فيما يأتي:

١- ما كل ما فوق البسيطه كافيا

فإذا قنعت فبعض شيء كافي (١)

[الكامل]

٢- إذا شئت يوما أن تسود عشيره

فبالحلم سد لا بالتسرع و الشتم (٢)

[الكامل]

٣- ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها

شمس الضحى و أبو إسحاق و القمر (٣)

[البسيط]

٤- أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا

و يحرم ما دون الرضا شاعر مثلي (٤)

[البسيط]

٥- فكيف و كل ليس يعدو حمامه

و ما لا مرى عما قضى الله مرحل (٥)

[الكامل]

ص: ١٢٨

٢-٢) . قدم الجار و المجرور فى قوله (بالحلم سد) ليدل على التخصيص، أى إنك تسود بالحلم لا بغيره. و كذا إذا تقدم الظرف. و ما أشبههما، مما رتبته التأخير: كما سلف.

٣-٣) . قدم العدد و هو ثلاثه و آخر المعدود ليشوق إليه لأن الإنسان إذا سمع العدد مجموعا يشناق إلى تفصيل آحاده.

٤-٤) . قدم الجار المجرور بعد الاستفهام فى قوله أفى الحق أن يعطى، ليدل على أن ذلك المقدم هو محط الأنكار. فتحليل المعنى: أنه لا ينكر الاعطاء، و لكنه ينكر أن يعد ذلك حقا و صوابا مع حرمانه هو.

٥-٥) . قدم أداء العموم على أداء السلب فى قوله: (كل ليس يعدو) ليدل على عموم السلب، أى أن الناس واحدا واحدا يشملهم حكم الموت و لا مفر منه.

٧- وقال الله تعالى: بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ، وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ [الزمر: ٦٦] (١).

٨- بك اقتدت الأيام فى حسناتها

و شيمتها لولاك همّ و تكريب

[الكامل]

تطبيق عام على أحوال المسند

لما صدأت مرآه الجنان، قصدت لجلائها بعض الجنان: الجملة الشرطيه لا تعتبر إلا بجوابها و هو قصدت. و هى خبريه فعليه من الضرب الابتدائي، و امراد بها أصل الفائده المسند قصد. ذكر: لأن ذكره الأصل. و قدم لإفاده الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار. و المسند إليه التاء ذكر لأن الأصل فيه ذلك، و آخر لاقتضاء المقام تقديم المسند، و عرف بالإضمار لكون المقام للمتكلم مع الاختصار.

كأنه الكوثر الفياض: جمله خبريه اسميه من الضرب الابتدائي، و المراد بها المدح، فقى تفيد الاستمرار بقريته المدح، المسن إليه الهاء، ذكر و قدم لأن الأصل فيه ذلك، و عرف بالإضمار لكون المقام للغيه مع الاختصار، و المسند الكوثر ذكر و آخر لأن الأصل فيه ذلك، و عرف بال للعهد الذهني.

كتاب فى صحائفه حكم: التنكير فى هذه الجملة للتعظيم.

ما هذا الرجل إنسانا: نكر المسند إنسانا للتحقير.

له همم لا منتهى لكبارها: المسند له قدم لإفاده أنه خبر من أول الأمر لأنه لو تأخر لتوهم أنه صفة المسند إليه لأنه نكره.

ص: ١٢٩

١- (١). قدم المفعول على الفعل فى قوله: (الله فاعبد) ليدل على التخصيص أى اعبد الله و لا تعبد غيره.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ [الإخلاص: ٤]: قدم المسند كفوا على المسند إليه أحد للمحافظة على الفاصله، على رأى بعضهم و المنصوص عليه فى كتب التفسير المعتبره أن التقديم للمبادره إلى نفى المثل.

زهرة العلم أنضر من زهرة الروضه: جمله خبريه اسميه من الضرب الابتدائى و المراد بها الاستمرار بقريته المدح، المسند إليه زهرة العلم ذكر و قدم لأن الأصل فيه ذلك، و عرف بالإضافه الى العلم لتعظيمه، و المسند أنضر. ذكر و آخر لأن الأصل فيه ذلك، و نكر لتعظيمه.

غلامى سافر، أخى ذهب جاريتته، أنا أحب المطالعه، الحق ظهر، العضب آخره ندم: أتى بالمسند فى هذه المثل جمله لتقويه الحكم لما فيها من تكرار الإسناد.

ص: ١٣٠

الباب الخامس فى الاطلاق (١) و التقييد

إذا اقتصر فى الجملة على ذكر جزأىها المسند إليه و المسند فالحكم مطلق و ذلك: حين لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه ليذهب السامع فيه كل مذهب ممكن.

و إذا زيد عليهما شىء مما يتعلق بهما أو بأحدهما. فالحكم مقيد و ذلك: حيث يراد زياده الفائده و تقويتها عند السامع، لما هو معروف من أن الحكم كلما كثرت قيوده ازداد إيضاحا و تخصيصا، فتكون فائده أتم و أكمل، و لو حذف القيد لكان الكلام كذبا أو غير مقصود نحو. قوله تعالى: وَمِمَّا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ [الأنبياء: ١٦]. فلو حذف الحال و هو لاعبين لكان الكلام كذبا. بدليل المشاهده و الواقع. و نحو: قوله تعالى: يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيِّئُ [النور: ٣٥] إذ لو حذف (يكاد) لفات الغرض المقصود، و هو إفاده المقاربه.

ص: ١٣١

١-١). الاطلاق و التقييد: وصفان للحكم. فالاطلاق أن يقتصر فى الجملة على ذكر (المسند و المسند إليه) حيث لا غرض يدعو إلى حصر الحكم، ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه، نحو: الوطن عزيز، و التقييد أن يزداد على المسند و المسند إليه شىء يتعلق بهما، أو بأحدهما، مما لو أغفل لفات الفائده المقصوده أو كان الحكم كاذبا نحو: الولد النجيب يسر أهله.

واعلم: أن معرفه خواص التراكيب و أسرار الأساليب و ما فيها من دقيق الوضع، و باهر الصنع، و لطائف المزايا، يسترعى لبك، إلى أن التقييد بأحد الأنواع الآتية: يكون لزياده الفائده، و تقويتها عند السامع. لما هو معروف من أن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد إيضاها و تخصيصا.

و التقييد يكون: بالتوابع، و ضمير الفصل، و النواسخ، و أدوات الشرط، و النفي، و المفاعيل الخمسه، و الحال، و التمييز، و فى هذا الباب جمله مباحث (١).

المبحث الأول فى التقييد بالنعت

أما النعت: فيؤتى به للمقاصد و الأغراض التى يدل عليها.

أ- منها: تخصيص المنعوت بصفه تميزه إن كان نكره، نحو: جاءنى رجل تاجر.

ب- منها: توضيح المنعوت إذا كان معرفه لغرض:

١- الكشف عن حقيقته، نحو: الجسم الطويل، العريض، يشغل حيزا من الفراغ.

٢- أو التأكيد، نحو: و أمس الدابر كان يوما عظيما.

٣- أو المدح، نحو: حضر سعد المنصور.

٤- أو الذم، نحو: فاستعد بالله من الشيطان الرجيم

٥- أو الترحم، نحو: قدم زيد المسكين.

ص: ١٣٢

١- ١). اعلم أن التقييد: يكون لتمام الفائده، لما تقرر من أن الحكم كلما زاد قيده زاد خصوصيه، و كلما زاد خصوصيه زادت فائده. لا فرق بين المسند إليه أو مسند أو غيرهما، كما لا فرق بين تقييده بالتوابع أو غيرها.

المبحث الثاني فى التقييد بالتوكيد

أما التوكيد: فيؤتى به للأغراض التى يدل عليها، فيكون:

- ١- لمجرد التقرير، و تحقيق المفهوم عند الإحساس بغفله السامع. و نحو: جاء الأمير الأمير.
- ٢- و للتقرير مع دفع توهم خلاف الظاهر نحو: جاءنى الأمير نفسه.
- ٣- و للتقرير مع دفع توهم عدم الشمول نحو: فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ [الحجر: ٣٠].
- ٤- و لإرادته انتقاش معناه فى ذهن السامع نحو: أُسْكِنُ أَنْتَ وَ زَوْجَكَ الْجَنَّةَ [البقره: ٣٥].

المبحث الثالث فى التقييد بعطف البيان

أما عطف البيان: فيؤتى به لمقاصد و الأغراض التى يدل عليها، فيكون:

- ١- لمجرد التوضيح للمتبوع باسم مختص به (١)
- ب- و للمدح: كقوله تعالى: جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغُبَاةَ أُبُيَّةً الْحَرَامَ فَيَأْتِي مَا لِلنَّاسِ [المائدة: ٩٧] فالبيت الحرام، عطف بيان: للمدح.

المبحث الرابع فى التقييد بعطف النسق

أما عطف النسق: فيؤتى به للإغراض الآتية:

- ١- لتفصيل المسند إليه باختصار، نحو: جاء سعد و سعيد، فإنه أخصر من: جاء سعد، و جاء سعيد، و لا يعلم منه تفصيل المسند لأن الواو لمطلق الجمع.

ص: ١٣٣

١ - ١). يكفى فى التوضيح: أن يوضح الثانى الأول، عند الاجتماع، و إن لم يكن أوضح منه عند الانفراد، نحو على زين العابدين، و نحو: عسجد ذهب.

٢- و لتفصيل المسند مع الاختصار ايضاً، نحو: جاء نصر فمنصور (١) أو ثم منصور، أو قدم الحجيج حتى المشاه، لأن هذه الأحرف الثلاثة مشتركة في تفصيل المسند، إلا أن الأول يفيد الترتيب مع التعقيب، و الثاني يفيد الترتيب مع التراخي، و الثالث يفيد ترتيب أجزاء ما قبله، ذاهبا من الاقوى إلى الأضعف، أو بالعكس، نحو: مات الناس حتى الأنبياء.

٣- و لرد السامع إلى الصواب مع الاختصار، نحو جاء نصر، لا منصور.

٤- و لصرف الحكم إلى آخر، نحو: ما جاء منصور، بل نصر.

٥- و للشك من المتكلم أو التشكيك للسامع، أو للإبهام. نحو قوله تعالى: **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلِّي هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** [سبأ: ٢٤].

٦- و للإباحة أو التخيير.

مثال الأول: تعلم نحواً أو صرفاً. أو نحو: تعلم إما صرفاً و إما نحواً.

و مثال الثاني: تزوج هنداً أو أختها أو نحو: تزوج إما هنداً و إما أختها.

ص: ١٣٤

١- ١). قد تجيء الفاء للتعقيب في الذكر: دون الزمان، إما مع ترتيب ذكر الثاني على الأول: كما في تفصيل الإجمال في قوله تعالى: **وَ نَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَ نَحْو قوله تعالى: **أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ** . و أما بدون ترتيب: و ذلك عند تكرير اللفظ الأول نحو: بالله، فبالله، و قد تجيء ثم للتراخي في الذكر: دون الزمان، إما مع الترتيب المذكور. نحو: [الخفيف] أن من ساد ثم ساد أبوه ثم ساد من قبل ذلك جده و نحو: [الطويل] هو الكلب و ابن الكلب و الكلب جده و لا- خير في كلب تناسل من كلب فإن الغرض ترتيب درجات حال الممدوح في البيت الأول. فابتدأ بسيادته، ثم بسيادته أبيه، ثم بسياده جده. و إما بدون ترتيب، نحو: **وَ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ** . و لاستبعاد مضمون جملة عن مضمون جملة أخرى، نحو: **ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ** فنزلوا الترتيب في هذه الامور منزله الترتيب الزماني. المستفاد منها بأصل الوضع. و لذا يكون استعمالها في هذه الأمور مجازاً.**

المبحث الخامس فى التقييد بالبدل

أما البدل: فيؤتى به للمقاصد والأغراض التى يدل عليها.

و يكون لزياده التقرير والإيضاح، لأن البدل مقصود بالحكم بعد إبهام نحو: حضر ابني على، فى بدل الكل.

و نحو: سافر الجند أغلبه، فى بدل البعض. و نحو: نفعنى الأستاذ علمه، فى بدل الاشتمال. و نحو: وجهك بدر شمس، فى بدل الغلط (١). و ذلك: لإفاده المبالغة التى يقتضيها الحال.

المبحث السادس فى التقييد بضمير الفصل

يؤتى بضمير الفصل: لإغراض كثيره، منها:

١- التخصيص، نحو: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ [التوبه: ١٠٤].

٢- تأكيد التخصيص إذا كان فى التركيب مخصص آخر. كقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [التوبه: ١١٨].

٣- تمييز الخبر عن الصفه، نحو: العالم هو العامل بعلمه.

المبحث السابع فى التقييد بالنواسخ

التقييد بها: يكون للأغراض التى تؤديها معانى ألفاظ النواسخ كالاستمرار أو لحكاية الحال الماضيه فى «كان» (٢). و كالتوقيت بزم من معين: فى «ظل، و بات، و أصبح، و أمسى، و أضحى». و كالتوقيت بحاله معينه: فى «مادام». و كالمقاربه: فى كاد، و كرب، و «أوشك». و كالتأكيد: فى إن و أن، و كالتشبيه: فى «كأن». و كالأستدراك: فى لكن، و كالرجاء: فى «لعل». و كالتمنى: فى ليت، و كاليقين: فى «وجد، و ألقى، و درى، و علم». و كالظن: فى خال، و زعم، و حسب، و كالتحول: فى «اتخذ، و جعل، و صير».

ص: ١٣٥

١- ١). لكن الحق الذى عليه الجمهور: أن بدل الغلط لا يقع فى كلام البلغاء.

٢- ٢). فالجمله تنعقد من الاسم و الخبر، أو من المفعولين اللذين أصلهما مبتدأ و خبر و يكون الناسخ قيدا، فإذا قلت: رأيت الله أكبر كل شىء، فمعناه (الله أكبر كل شىء) على وجه العلم و اليقين. و هكذا.

التقييد به. يكون للأغراض التي تؤديها معاني أدوات الشرط. كالزمان في «متى، و أيان» و المكان في «أين، و أنى، و حيثما» و الحال في «كيفما» و استيفاء ذلك و تحقيق الفرق بين تلك الأدوات يذكر في علم النحو. و إنما يفرق هنا بين إن، و إذا، و لو، لاختصاصها بمزايا تعد من وجوه البلاغه.

الفرق بين «إن، إذا، لو»

الأصل عدم جزم و قطع المتكلم بوقوع الشرط في المستقبل مع إن. و من ثمّ كثر أن تستعمل، إن، في الأحوال التي يندر وقوعها. و وجب أن يتلوها لفظ المضارع لاحتمال الشك في وقوعه (١).

بخلاف، إذا، فتستعمل بحسب أصلها في كل ما يقطع المتكلم بوقوعه في المستقبل، و من أجل هذا لا تستعمل، إذا، إلا في الأحوال الكثيره الوقوع و يتلوها الماضي لدلالته على الوقوع و الحصول قطعاً. كقوله تعالى: فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَ إِن تَصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَ مَنْ مَعَهُ [الأعراف: ١٣١]؛ فلكون مجيء الحسنه منه تعالى محققاً، ذكر هو و الماضي مع إذا. و إنما كان ما ذكر محققاً لأن المراد بها مطلق الحسنه الشامل لأنواع كثيره من خصب، و رخاء، و كثره أولاد، كما يفهم من التعريف بأل الجنسيه في لفظه الحسنه، و لكون مجيء السيئه نادراً، ذكر هو و المضارع مع إن. و إنما كان ما ذكر نادراً لأن المراد بها نوع قليل: و هو جذب و بلاء كما يفهم من التنكير في سيئه على التقليل.

و لو: للشرط في الماضي مع الجزم و القطع بانتفائه، فيلزم انتفاء الجزاء. على أن الجزاء كان يمكن أن يقع، لو وجد الشرط. و يجب كون جملتها فعليتين ماضيتين، نحو: لو إتقنت عملك لبلغت إملك. و تسمى لو حرف امتناع لامتناع، كقوله تعالى: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا [الأنبياء: ٢٢] و نحو: وَ لَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ [النحل: ٩]. أى انتفت هدايته إياكم، بسبب انتفاء مشيئته لها.

ص: ١٣٦

(١-١). و لذا: لا يقال إن طلعت الشمس أزرك. لأن طلوع الشمس مقطوع بوقوعه، و إنما يقال إذا طلعت الشمس أزورك.

الأول: علم مما تقدم: أن المقصود بالذات من الجملة الشرطية هو الجواب: فإذا قلت إن اجتهد فريد كافأته، كنت مخبرا بأنك ستكافئه، و لكن في حال حصول الاجتهاد، لا في عموم الأحوال (١). و يتفرع على هذا: أنها تعد خبريه أو إنشائيه باعتبار جوابها.

الثاني: ما تقدم من الفرق بين إن و إذا، هو مقتضى الظاهر.

و قد يخرج الكلام على خلافه، فتستعمل إن في الشرط المقطوع بثبوتها أو نفيه لأغراض كثيرة:

أ- كالتجاهل: نحو قول المعتذر: إن كنت فعلت هذا فعن خطأ.

ب- و كتنزيل المخاطب العالم منزله الجاهل لمخالفته مقتضى علمه. كقولك للمتكبر توبيخا له: إن كنت من تراب فلا تفتخر.

ج- و كتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به: كما إذا كان السفر قطعى الحصول لسعيد، غير قطعى لخليل، فتقول إن سافرتما كان كذا (٢).

ص: ١٣٧

١ - ١). قال السكاكى: قد يقيد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعى التقييد به و لا يخرج الكلام بتقييده به عما كان عليه من الخبرية و الإنشائية، فالجزاء إن كان خبرا: فالجملة خبرية نحو إن جئتني أكرمك أى أكرمك لمجيئك، و إن كان إنشائيا فالجملة إنشائية. نحو إن جاءك خليل فأكرمه. أى إكرمه وقت مجيئه، فالحكم عنده فى الجمل المصدره بان و أمثالها فى الجزاء، و أما نفس الشرط فهو قيد للمسند فيه، و قد أخرجته الأداه عن الخبرية و احتمال الصدق و الكذب.

٢ - ٢). أى ففیه تغليب لمن لم يقطع له بالسفر على من قطع له به فاستعملت (إن) فى المجزوم. و هو من قطع له به بسبب تغلبه على من لم يقطع له به، و هذا السبب مساغ لذكر (إن)، و اعلم أن التغليب (الذى هو أن يعطى أحد المصطحبين، أو المتشاكلين حكم الآخر) باب واسع يجرى فى أساليب كثيره نكات عديده، سمحت بها المطولات فى هذا المقام. و اعلم أيضا: أن المقصود بالذات من جملة الشرط و الجواب: هو جملة الجواب فقط، و أما جملة الشرط فهى قيد لها، فإذا قلت إن زارنى سليم أكرمته فالمقصود أنك ستكرم سلیمان، و لكن فى حال زيارته لك. فتعد الجملة اسميه أو فعليه أو خبريه. أو إنشائية: باعتبار الجواب كما سبق توضيحه مفصلا: فارجع إليه إن شئت.

و قد تستعمل إذا في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه، لأغراض:

أ-منها: الإشعار بأن ذلك الشرط لا ينبغي أن يكون مشكوكا فيه. بل ينبغي أن يكون مجزوما به. نحو: إذا كثر المطر في هذا العام أخصب الناس.

ب-و منها: تغليب المتصف بالشرط على غير المتصف به. نحو: إذا لم تسافر كان كذا، و هلم جزًا من عكس الأغراض التي سبقت.

الثالث: لما كانت إن، و إذا لتعليق الجزاء على حصول الشرط في المستقبل و جب أن يكون شرط و جزاء كل منهما جملة فعلية استقبالية لفظا و معنى، كقوله تعالى: **وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ [الكهف: ٢٩]**. و نحو:

و النفس راغبه إذا رغبها

و إذا ترد إلى قليل تقنع

[الكامل]

و لا يعدل عن استقبالية الجملة لفظا و معنى، إلى استقباليته معنى فقط، إلا لدواع غالبا.

منها: التفاؤل. نحو: إن عشت فعلت الخير (١).

و منها: تخيل إظهار غير الحاصل و هو الاستقبال في صورته الحاصل و هو الماضي. نحو: إن مت كان ميراثي للفقراء.

الرابع: علم مما تقدم من كون لو للشرط في الماضي: لزوم كون جملة شرطها و جزائها فعليتين ما ضويتين، و عدم ثبوتهما.

و هذا هو مقتضى الظاهر و قد يخرج الكلام على خلافه.

ص: ١٣٨

١- ١). و قد تستعمل «إن» في غير الاستقبال لفظا و معنى. و ذلك فيما إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط الماضي حقيقه كقول إبي العلاء المعري: [الطويل] فيا وطني إن فاتني بك سابق من الدهر فلينعم بساكنك البال و قد تستعمل «إذا» أيضا في الماضي حقيقه نحو: **حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ وَ لِلأَسْتِمْرَارِ نَحْوُ: إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا**

فتستعمل لو في المضارع لدواع اقتضاها المقام، و ذلك:

أ- كالإشارة إلى أن المضارع الذي دخلت عليه يقصد استمراره فيما مضى: وقتا بعد وقت، و حصوله مره بعد أخرى.

كقوله تعالى: لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ [الحجرات: ٧] (١).

ب- و كتنزيل المضارع منزله الماضى، لصدوره عمّن المستقبل عنده كالماضى فى تحقق الوقوع، و لا تخلف فى أخباره. كقوله تعالى: وَ لَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ [السجده: ١٢] (٢).

المبحث التاسع فى التقييد بالنفى

التقييد بالنفى: يكون لسلب النسبه على وجه مخصوص، مما تفيده أحرف النفى السبعه، و هى: لا، و ما، و لات، و إن، و لن، و لم، و لَمَا.

(فلا-) للنفى مطلقا و (ما، و إن، و لات) لنفى الحال. إن دخلت على المضارع و (لن) لنفى الاستقبال و (لم و لما) لنفى الماضى، إلا- أنه (بلى-) ينسحب إلى ما بعد زمن التكلم، و يختص بالمتوقع و على هذا فلا يقال: لَمَا يقيم خليل ثم قام، و لا: لَمَا يجتمع النقيضان كما يقال: لم يقيم على ثم قام و لم يجتمع الضدان، فلَمَا فى النفى تقابل (قد) فى الإثبات، و حينئذ يكون منفيا قريبا من الحال، فلا يصح: لَمَا يجىء خليل فى العام الماضى.

ص: ١٣٩

١-١) . أى امتنع عنكم. أى وقوعكم فى جهد و هلاك بسبب امتناع استمراره فيما مضى على اطاعتكم.

٢-٢) . نزل وقوفهم على النار فى يوم القيامة منزله الماضى: فاستعمل فيه «إذ». و لفظ الماضى. و حينئذ فكان الظاهر أن يقال «و لو رأيت» بلفظ الماضى، لكن عدل عنه إلى المضارع تنزيلا للمستقبل الصادر عن لا خلاف فى خبره. منزله الماضى الذى علم و تحقّق معناه، كأنه قيل: قد انقضى هذا الأمر و ما رأيت، و لو رأيت لرأيت أمرا فظيعا.

إشارة

التقييد بها: يكون لبيان نوع الفعل، أو ما وقع عليه. أو فيه. أو لأجله أو بمقارنته، و يقيد بالحال لبيان هيئته صاحبها و تقييد عاملها، و يقيّد بالتمييز لبيان ما خفى من ذات أو نسبه. فتكون القيود هى محط الفائدة. و الكلام بدونها كاذب أو غير مقصود بالذات كقوله تعالى: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ [الأنبياء: ١٦].

و قد سبق القول فى أول الباب مفصلاً، فارجع إليه إن شئت.

تنبيهات

الأول: علم مما تقدم أن التقييد بالمفاعيل الخمسه و نحوها للأغراض التى سبقت و تفيدها إذا كانت المذكوره. أما إذا كانت محذوفه فتفيد أغراضاً أخرى:

١- منها: التعميم باختصار كقوله تعالى: وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ [يونس: ٢٥]. أى جميع عباده لأن حذف المعمول يؤذن بالعموم (١). و لو ذكر لفات غرض الاختصار المناسب لمقتضى الحال.

٢- منها: الاعتماد على تقدم ذكره كقوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ [الرعد: ٣٩] أى و يثبت ما يشاء.

ص: ١٤٠

١- ١). أى ما لم يكن تعلق فعل المشيئه بالمفعول غريباً كقوله: [الطويل] فلو شئت أن أبكى دماً لبكيتيه عليه و لكن ساحه الصبر أوسع و أعدده ذخراً لكل ملمه و سهم المنايا بالذخائر أولع فإن تعلق فعل إبكى ببكاء الدم غريب فلذا لم يحذف المفعول ليتقرر فى نفس السامع.

٣- ومنها: طلب الاختصار نحو: يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ [الفتح: ١٤] أى يغفر الذنوب.

٤- ومنها: استهجان التصريح به نحو قول عائشه: «ما رأيت منه و لا رأى منى» أى العوره.

٥- ومنها: البيان بعد الإبهام كما فى حذف مفعول فعل المشيئه (١)، و نحوها (٢) إذا وقع ذلك الفعل شرطاً. فإنّ الجواب يدل عليه، و يبينه بعد إبهامه، فيكون أوقع فى النفس، و يقدر المفعول مصدراً من فعل الجواب، نحو: فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ [الكهف: ٢٩] أى فمن شاء الأيمان.

٦- ومنها: المحافظه على سجع، أو وزن.

فالأول: كقوله تعالى: سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى [الأعلى: ١٠]. إذ لو قيل: يخشى الله، لم يكن على سنن رؤوس الآى السابقه.

و الثانى: كقول المتنبى: [الطويل]

بناها فأعلى و القنا يقرع القنا

و موج المنايا حولها متلاطم

أى: فأعلاها.

٧- ومنها تعيين المفعول نحو رعت الماشيه، أى نباتا.

٨- ومنها: تنزيل المتعدى منزله اللازم لعدم تعلق الغرض بالمعمول، بل يجعل المفعول منسيا، بحيث لا يكون ملحوظا مقدرًا. كما لا يلاحظ تعلق الفعل به أصلاً، كقوله تعالى: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [الزمر: ٩] (٣).

الثانى: الأصل فى العامل أن يقدم على المعمول. و قد يعكس: فيقدم المعمول على العامل لأغراض شتى.

ص: ١٤١

١- ١). هذا التعميم و إن أمكن بذكر المفعول على صيغه العام؛ لكن يفوت الاختصار المطلوب.

٢- ٢). أى ما يرادفها فى المعنى كالإراداه و المحبه.

٣- ٣). أى فالغرض مجرد إثبات العلم و نفيه، بدون ملاحظه تعلقه بمعلوم عام أو خاص، و المعنى: لا يستوى من ثبت له حقيقه العلم، و من لم تثبت له، فلو قدر له مفعول، و قيل: هل يستوى الذين يعلمون الدين، و الذين لا يعلمونه، لفات هذا الغرض.

١-منها: التخصيص نحو: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** [الفاتحه:٥] (١)

٢- منها: رد المخاطب إلى الصواب عند خطئه في تعيين المفعول نحو: نصرا رأيت، ردا لمن اعتقد أنك رأيت غيره.

٣- منها: كون المتقدم (٢) محط الإنكار مع متعجب نحو: أبعد طول التجربه تنخدع بهذه الزخارف.

٤- منها: رعايه موازاه رؤوس الآى نحو: **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ** [الحاقه:٣١] و هلم جزا من بقيه الأغراض التى سبقت.

تطبيق عام على الاطلاق و التقييد

إذا كنت فى نعمه فارعها

فإن المعاصى تزيل النعم

[المتقارب]

جمله فارعها: إنشائه أمریه. و الأمر مستعمل فى أصل معناه، المسند إليه أنت و هى مقیده بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل، و مقیده بالشروط للتعليق؛ و كانت أداه الشرط (إذا) لتحقق الحصول «فإن المعاصى تزيل النعم» جمله خبریه اسمیه من الضرب الثالث،

ص: ١٤٢

١- ١). و ذلك لأن المناسب لمقام عرض العباده له تعالى تخصيصها به، لا مجرد الإخبار بأن العباده له، فاستفاده التخصيص من التقديم إنما هى بحسب المقام، لا بأصل الوضع.

٢- ٢). أى فىكون التقديم: التبرك: و التلذذ و موافقه كلام السامع. و الاهتمام و ضروره الشعر. و غير ذلك. و اعلم أن اختلاف الترتيب بين المعمولات: إما لأمر معنوى: نحو **وَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى**، فلو أخرج المجرور لتوهم أنه من صله الفاعل. و المراد كونه من صله فعله. و إما لأمر لفظى: نحو **وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى** فلو قدم الفاعل لاختلفت الفواصل، لأنها مبنيه على الألف، و قد يتقدم بعض المفاعيل على بعض، إما لأصالته فى التقدم لفظا: نحو حسبت زيدا كريما فإن زيدا و إن كان مفعولا فى الحال لكنه مبتدأ فى الأصل، أو معنى: نحو أعطى زيد عمرا درهما، فإن عمرا و إن كان مفعولا بالنسبه إلى زيد لكنه لا يخلو من معنى الفاعليه بالنسبه إلى الدرهم. لأنه آخذه، و الدرهم مأخوذ.

و المراد بالخبر التحذير من المعاصى. المسند إليه (المعاصى) و المسند جملة: تزيل، و أتى به جملة: لتقويه الحكم بتكرار الأَسناد، و قيد بالمفعول به «النعم» لبيان ما وقع عليه الفعل، و الحكم مقيد بإن للتوكيد.

إن اجتهد خليل أكرمته: الجملة «أكرمته» و هى جملة خبريه فعلية من الضرب الابتدائى، المسند أكرم، و المسند إليه التاء، و هى مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل و بالشرط للتعليق. و كانت أداه الشرط «إن» لعدم الجزم بوقوع الفعل.

و أصابت تلك الربى عين شمس

أورثتها من لونها اصفرارا

[الخفيف]

كلما جال طرفها تترك النا

س سكارى و ما هم بسكارى

و أصابت تلك الربى جملة خبريه فعلية من الضرب الابتدائى. و المراد بالخبر أصل الفائدة. المسند أصاب ذكر، لأن الأصل فى ذلك. و قدم لإفاده الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار. و المسند إليه عين شمس. و ذكر لأن الأصل فيه ذلك و آخر: لاقتضاء المقام تقديم المسند. و خصص بالإضافة لتعينها طريقا لاحضار معناه فى ذهن السامع، و المضاف إليه (شمس) قيد بالصفة «أورثتها من لونها» لأنها فى محل جر صفة شمس للتخصيص، و قيد الحكم بالمفعول به «تلك» لبيان ما وقع عليه الفعل، و عرف المفعول به بالإشاره لبيان حاله فى البعد. و قيد المفعول بالبدل «الربى» لتقدير حاله فى نفس السامع «تترك الناس سكارى» هى الجملة الرئيسيه، لأن الشرطيه لا تعتبر إلا بجوابها، و هى جملة خبريه اسميه من الضرب الابتدائى، و المراد بالخبر التفخيم، المسند إليه الناس، ذكر و قدم لأن الأصل فيه ذلك و عرف بأل للعهد الذهنى، لأن المراد بالناس، الذين نظروا إليها، و المسند سكارى، ذكر و آخر لأن الأصل فيه ذلك و نكر للتحويل، و الحكم مقيد «بتترك» لإفاده التحويل، و بالشرط للتعلق، كانت أداه الشرط «كلما» لإفاده التكرار «و ما هم بسكارى» جملة خبريه اسميه من الضرب الثالث. و المراد بالخبر أصل الفائدة. و المسند إليه هم، و المسند سكارى و الحكم مقيد بما لئفى الحال.

لا تياسن و كن بالصبر معتصما

لن تبلغ المجد حتى تعلق الصبرا

[البسيط]

«لا تياسن» جملة إنشائية نهيه، و المراد بالنهي الإرشاد، المسند لا تياس و المسند إليه أنت. و «كن بالصبر معتصما» أصلها: أنت معتصم بالصبر، و هى جملة إنشائية أمرية، و المراد بالأمر الإرشاد أيضا، المسند إليه الضمير المستتر فى كن و المسند معتصما و الحكم مقيد «بالصبر» لبيان ما وقع عليه الفعل، و بالأمر «كن» لإفاده التوقيت بالاستقبال.

«لن تبلغ المجد حتى تعلق الصبر» أصلها لن تبلغ المجد حتى تعلق الصبر، و هى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، و المراد بالخبر الحث على الصبر. المسند تبلغ و المسند إليه أنت، الحكم مقيد بن للنفى فى المستقبل، و بالجار و المجرور لبيان غايه الفعل.

عسى الكرب الذى أمسيت فيه

يكون وراءه فرج قريب

[الوافر]

فى البيت جملة إنشائية، غير طلبية، و هى اسميه من الضرب الثالث لما فيها من تقويه الحكم بتكرار الإسناد، المسند إليه «الكرب» ذكر و قدّم لأن الأصل فيه ذلك و عرف بأل للعهد الذهني، و قيد بالنعته «الذى أمسيت فيه» لتوضيحه، و المسند يكون الخ، و الحكم مقيد بعسى لإفاده الرجاء، و أما جملة النعت «الذى أمسيت فيه» فهى جملة خبرية اسميه من الضرب الابتدائي: المسند إليه فيها التاء، و المسند الجار و المجرور و الحكم مقيد بأسمى لإفاده المساء، و جملة الخبر (يكون وراءه فرج قريب) جملة خبرية اسميه من الضرب الابتدائي المسند إليه فيها «فرج» ذكر لأن الأصل فيه ذلك آخر لضروره النظم، و قيد بالنعته «قريب» لإفاده القرب، و المسند وراءه-ذكر لأن الأصل فيه ذلك، و قدم للضروره، و الحكم مقيد بالناسخ «يكون» لإفاده الاستقبال.

ص: ١٤٤

متعلقات الفعل كثيره منها: المفعول، و الحال، و الظرف، و الجار و المجرور، و هذه المتعلقات أقل فى الأهميه من ركنى الجملة و مع ذلك فقد تتقدم عليهما أو على أحدهما:

يتقدم كل من الحال، و الظرف، و الجار و المجرور، لأغراض كثيره.

١-منها: تخصيصها بالفعل.

٢-و منها: كونها موضع الإنكار.

٣-و منها: مراعاة الفاصله أو الوزن.

و الأصل فى المفعول: أن يؤخر عن الفعل، و لا يقدم عليه إلا لأغراض كثيره.

١-منها: التخصيص نحو: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** [الفاتحه:٥] ردا على من قال اعتقد غير ذلك.

٢-و منها: رعايه الفاصله نحو: **ثُمَّ الْجَجِيمِ صَلُّوهُ** [الحاقه:٣١]

٣-و منها: التبرك نحو: قرآنا كريما تلوت.

٤-و منها: التلذذ نحو: الحبيب قابلت.

و الأصل فى العامل: أن يقدم على المعمول، كما أن الأصل فى المعمول أن تقدم عمدته على فضلته، فيحفظ هذا الأصل بين الفعل و الفاعل.

أما بين الفاعل و المفعول و نحوه: كالظرف، و الجاز و المجرور، فيختلف الترتيب للأسباب الآتية:

أ- إيمًا لأمر معنويّ نحو: **وَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَشْعُرُ** [يس: ٢٠]. (فلو أخرج المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل، و هو خلاف الواقع؛ لأنه صلة لفعله).

ب- و إما لأمر لفظيّ نحو: **وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى** [النجم: ٢٣]. (فلو قدم الفاعل لاختلفت الفواصل، لأنها مبنية على الألف).

ج- و إما للأهميه نحو: قتل الخارجى فلان.

و أما تقديم الفضلات على بعض: فقد يكون.

١- للأصالة فى التقدم لفظا نحو: حسبت الهلال طالعا. فإنّ الهلال و لو كان مفعولا فى الحال، لكنه مبتدأ فى الأصل.

أو للأصالة فى التقدم معنى و ذلك كالمفعول الأول فى نحو: أعطى الأمير الوزير جائزه، فإن الوزير، و إن كان مفعولا بالنسبه إلى الأمير، لكنه فاعل فى المعنى بالنسبه إلى الجائزه (١).

٢- أو لإخلال فى تأخيره نحو: مررت راكبا بفلان، (فلو أخرجت الحال لتوهم أنها حال من المجرور، و هو خلاف الواقع، فإنها حال من الفاعل و الأصل فى المفعول ذكره؛ و لا يحذف إلا لأغراض تقدم ذكرها).

ص: ١٤٤

١- ١). لأنّ الجائزه مأخوذه، و الآخذ لها الوزير الذى فيه معنى الفاعليه التى تستدعى حق التقدم.

بين المتقدم من ركني الجملة، و متعلقات الفعل، و سبب تقدمه.

١- قال الله تعالى: [□]فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى [□][النجم: ٢٥].

٢- و كتب ابن المعتز لأحد خلاته: قلبي نجى ذكرك، و لسانی خادم شكرک.

٣- و قال الله تعالى: [□]اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ [□]وَيَقْدِرُ [□][الرعد: ٢٦].

٤- كل حى و إن أقام كنوح

فى أمان من الردى سوف يبنى

[الخفيف]

٥- أنشا يمزق أثوابى يودبنى

أبعد شيبى يبغي عندى الأدبا

[البيط]

٦- منهومان لا يشبعان: طالب علم، و طالب مال.

٧- عباس مولاي أهدانى مظلته

يظلل الله عباسا و يراعه

[البيط]

٨- ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

[البيط]

الجملة

١- فله الآخرة و الأولى

٢-قلبي. و لسانی

٣-الله يبسط الرزق

٤-كل حي و إن أقام

٥-أبعد شيبى يبغى

٦-منهومان لا يشبعان

٧-عباس مولاى

٨-ما كل ما يتمنى المرء يدركه

٢ أنواع المتقدم

خبر

مبتدأ٠

مبتدأ

مبتدأ

ظرف

مبتدأ

مبتدأ

مبتدأ

سبب تقدمه

تخصيص الخبر بالمبتدأ

أنه الأصل

تخصيصه الخبر

إفاده التعميم

موضع الإنكار

التشويق إلى المبتدأ

التعظيم

نفى العموم

ص: ١٤٧

تدريب

العبارات الآتية تقدم فيها بعض أجزاء الكلام على بعض. اذكر المتقدم، و بين نوعه في كل عبارة:

١- قال تعالى: فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ [البقره: ٧٩].

٢- وقال تعالى: كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَ بِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الذاريات: ١٨، ١٧].

٣- اثنان لا يستغنى عنهما إنسان: العلم و المال.

٤- قال عليه الصلاة و السلام: «إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم».

٥- قبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه.

٦- إلى الله كل الأمر في الخلق كلهم

و ليس إلى المخلوق شيء من الأمر

[الطويل]

تمرين

عين المتقدم من ركني الجملة أو من متعلقات الفعل، و اذكر سبب تقدمه:

١- قال الله تعالى: وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [البقره: ٥٧].

٢- وقال الله تعالى: وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ: كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ [الروم: ٢٦].

٣- وقال الله تعالى: قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ [البقره: ٧١].

٤- الدنيا دار عناء، ليس لأحد فيها البقاء، و غدا تسرّ أو تساء.

٥- ألفت مقاليدها الدنيا إلى رجل

ما زال وقفا عليه الجود و الكرم

[البيسط]

بأي لفظ تقول الشعر زعنفه

تجوز عندك الاءرب و لا اعجم

[البسيط]

ص: ١٤٨

القصر: لغه الحبس، قال الله تعالى: حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْبِلَادِ [الرحمن: ٧٢] و اصطلاحا: هو تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص.

و الشىء الأول: هو المقصور. و الشىء الثانى: هو المقصور عليه. و الطريق المخصوص لذلك التخصيص يكون بالطرق و الأدوات الآتية: نحو: ما شوقى إلا شاعر؛ فمعناه تخصيص شوقى بالشعر و قصره عليه، و نفى صفه الكتابه عنه ردًا على من ظنَّ أنه شاعر، و كاتب. و الذى دلَّ على هذا التخصيص هو النفى بكلمه ما المتقدمه، و الاستثناء بكلمه إلا التى قبل الخبر. فما قبل إلا، و هو شوقى يسمّى مقصورا، و ما بعدها و هو شاعر يسمّى مقصورا عليه، و ما و إلا، طريق القصر و أدواته. و لو قلت شوقى شاعر بدون نفى و استثناء ما فهم هذا التخصيص.

و لهذا، يكون لكل قصر طرفان مقصور، و مقصور عليه. و يعرف المقصور بأنه هو الذى يؤلف مع المقصور عليه الجمله الأصليه فى الكلام.

و من هذا تعلم أن القصر: هو تخصيص الحكم بالمذكور فى الكلام و نفيه عن سواه بطريق من الطرق الآتية:

و فى هذا الباب اربعة مباحث.

للقصر طرق كثيرة، وأشهرها في الاستعمال أربعة (1)، و هي:

ص: ١٥٠

(١-١). و من طرق القصر التي ليست مشهوره الاستعمال لفظ: وحده أو: فقط أو: لا غير. أو: ليس غير. أو: ماده الاختصاص، أو: ماده القصر، أو توسط ضمير الفصل. أو: تعريف المسند إليه. أو تقديم المسند إليه على خبره الفعلى أحيانا و غير ذلك و هذه الطرق خاليه من اللطائف البلاغيه و قد أوصلها «جلال الدين السيوطي» في كتابه «الاتقان في علوم القرآن» إلى أربعة عشر طريقا. أهمها الطرق الأربعة المشهوره الاستعمال، و هي تختلف مع بعضها من أوجه كثيرة. منها: أن «لا» العاطفه لا تجتمع مع النفي و الاستثناء: لأن شرط المنفى بها ألا- يكون منفيا صريحا قبلها بغيرها فلا تقول: ما على إلا مجتهد لا متكاسل، و لذا عيب على الحريري قوله: [الطويل] لعمر ك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تحلى يومه لا ابن أمسه و تحتمل «لا» مع «إنما» أو «التقديم» نحو إنما أنا مصري لا سوري و نحو المجتهد أكرم لا الكسلان، لأن النفي فيهما غير مصرح به. و منها: إن الأصل في الحكم من النفي و الاستثناء أن يكون مجهولا منكرا للمخاطب «أى شأنه أن يجهله المخاطب و ينكره» بخلاف «إنما» لأن النفي مع الاستثناء لصراحتة أقوى في التأكيد من «إنما» فينبغى أن يكون لشديد الإنكار. و نحو: قولك «و قد رأيت شيحا من بعد»: ما هو إلا زيد لمن اعتقد أنه غيره، و نحو: إن أُنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا لما كانوا مصريين على دعوى الرساله مع زعم المكذبين امتناع الرساله في البشر. رد المكذبون اصح ارهم عليهم بقولهم ذلك. و قد ينزل المعلوم منزله المجهول لغرض بلاغى، فيستعمل فيه النفي و الاستثناء، نحو «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ» فقد قصر الله محمدا على صفه الرساله و نفى عنه أن يظن في أمره الخلود، فلا يموت أو يقتل. و هذا معلوم للصحابه، لكن لاستعظامهم موته، لشده حرصهم على بقائه صلى الله عليه و آله و سلم، نزلوا منزله من لا يعلمه. و قد ينزل المجهول منزله المعلوم، نحو: إِنَّمَا نَحْنُ مُّصِيبُونَ لادعائهم أن كونهم مصلحين أمر ظاهر، و لهذا رد عليهم بقوله: أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ مؤكدا بما ترى بالجملة، فالاستثناء لقوته يكون لرد شديد الإنكار حقيقه، أو ادعاء و «إنما» لضعفها تكون لرد الإنكار في الجملة حقيقه أو ادعاء، و يكون للقصر «إنما» مزيه

أولاً: يكون القصر بالنفى و الاستثناء (١)، نحو: ما شوقى إلا شاعر أو ما شاعر إلا شوقى.

ثانياً: يكون القصر بإنما نحو: [□]إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر: ٢٨] و كقول الشاعر:

إنما يشتري المحامد حر

طاب نفسا لهن بالأثمان

[الخفيف]

ثالثاً: يكون القصر بالعطف بلا، و بل، و لكن، نحو: الأرض متحركة لا ثابتة، و كقول الشاعر:

عمر الفتى ذكره لا طول مدته

و موته خزيه لا يومه الدانى

[البسيط]

و كقوله: [الكامل]

ما نال فى دنياه و ان بغيه

لكن أخو حزم يجدد و يعمل

رابعاً: يكون القصر بتقديم ما حقه التأخير نحو: [□]إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ [□]إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاطحة: ٥] أى نخصك بالعبادة و الاستعانه.

١- فالمقصود عليه فى النفى و الاستثناء هو المذكور بعد أداء الاستثناء نحو: و ما توفيقى إلا بالله.

٢- و المقصود عليه مع إنما: هو المذكور بعدها، و يكون مؤخراً فى الجملة وجوباً، نحو:

(١)

على العطف لأنه يفهم منه الإثبات للمذكور، و النفى عما عداه معاً، بخلاف العطف لأنه يفهم منه أولاً الإثبات، ثم النفى: أو عكسه، نحو إنما خليل فاهم، خليل فاهم لا حافظ، و أحسن موقعها التعريض نحو: [□]إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ . و اعلم أن «غير» كإلا: فى إفادة القصر، و فى امتناع اجتماعه مع لا العاطفه، فلا يقال: ما على غير شاعر لا منجم، و ما شاعر غير على لا نصر.

ص: ١٥١

١-١ . يكون النفي بغير «ما» كقوله تعالى: **إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ** كما يكون الاستثناء بغير «إلا» نحو: لم يبق سواك تلوذ به بما نخشاه من المحن [المتدارك]

إنما الدنيا غرور.

٣-و المقصور عليه مع لا العاطفه: هو المذكور قبلها. و المقابل لما بعدها. نحو: الفخر بالعلم لا بالمال.

٤-و المقصور عليه مع بل و لكن، العاطفتين: هو المذكور بعدهما نحو: ما الفخر بالمال بل بالعلم، و نحو: ما الفخر بالنسب لكن بالتقوى.

٥-و المقصور عليه فى تقديم ما حقه التأخير: هو المذكور المتقدّم نحو: على الله توكلنا، و كقول المتنبي: [الكامل]

و من البليه عدل من لا يرعوى

عن غيّه و خطاب من لا يفهم

ملاحظات

أولاً: يشترط فى كل من بل و لكن أن تسبق بنفى، أو نهى، و أن يكون المعطوف بهما مفردا، و ألا تقترن، لكن، بالواو.

ثانياً: يشترط فى لا، أفراد معطوفها، و أن تسبق بإثبات، و ألا يكون ما بعدها داخلا فى عموم ما قبلها.

ثالثاً: يكون للقصر بإنما، مزيه على العطف لأنها تفيده الإثبات للشيء، و النفى عن غيره دفعه واحده، بخلاف العطف، فإنه يفهم منه الإثبات أولاً، ثم النفى ثانياً، أو عكسه.

رابعاً: التقديم: يدل على القصر بطريق الذوق السليم، و الفكر الصائب، بخلاف الثلاث الباقية فتدل على القصر بالوضع اللغوى للأدوات.

خامساً: الأصل أن يتأخر المعمول على عامله إلا لضروره. و من يتتبع أساليب البلغاء فى تقديم ما حقه التأخير: يجد بأنهم يريدون بذلك: التخصيص.

ص: ١٥٢

إشارة

الف- قصر حقيقى (١): و هو أن يختصّ المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة و الواقع، بالأّ يتعداه إلى غيره أصلاً: نحو لا إله إلاّ الله.

ب- و قصر إضافى: و هو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة و النسبه إلى شىء آخر معيّن، لا لجميع ما عداه، نحو: ما المسافر الا خليل فإنك تقصد قصر السفر عليه بالنسبه لشخص غيره، كمحمود مثلاً و ليس قصدك أنه لا يوجد مسافر سواه إذ الواقع يشهد بطلانه.

تنبيهات

الأول: الاصل فى العطف أن ينص فيه على المثبت له الحكم، و المنفى عنه إلا إذا خيف التّطويل، و فى الثلاثة الباقيه ينص على المثبت فقط.

الثانى: النفى بلا العاطفه: لا يجتمع مع النفى و الاستثناء، فلا تقول ما محمد إلا ذكى لا غبى. لأن شرط جواز النفى بلا، ألا يكون ما قبلها منفيًا بغيرها.

و يجتمع النفى بلا العاطفه مع كل من إنما، و التقديم فتقول: إنما محمد ذكى لا غبى و بالذكاء يتقدم محمد لا بالغباه.

و الأصل فى العطف بلا أن يتقدم عليه مثبت، و يتأخر منفى بعده. و قد يترك إيضاحه اختصاراً، مثل: على يجيد السباحه لا غير. أى لا المصارعه، و لا الملاكمه و لا غير ذلك من الصفات.

الثالث: الأصل فى النفى و الاستثناء أن يجىء لأمر ينكره المخاطب، أو يشك فيه، أو لما هو منزل

ص: ١٥٣

١- ١). و منه نوع يسمى: قصر «الحقيقى الادعائى» و يكون على سبيل المبالغه بفرض أن ما عدا المقصور عليه لا يعتد به.

هذه المنزله: و من الأخير قوله تعالى: **وَ مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ * إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ** [فاطر: ٢٣، ٢٢].

الرابع: الأصل فى إنما أن تجيء لأمر من شأنه ألا- يجهله المخاطب، و لا- ينكره، و إنما يراد تنبيهه فقط، أو لما هو منزل هذه المنزله، فمن الأول قوله تعالى: **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ [الانعام: ٣٦]** و قوله تعالى: **فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ [الرعد: ٤٠]** و من الثانى قوله تعالى حكاية عن اليهود: **إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِحُونَ [البقره: ١١]** فهم قد ادعوا أن إصلاحهم أمر جلى لا شك فيه، و قال الشاعر: [الطويل]

أنا الذائد الحامى الذمار و إنما

يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

أسباب و نتائج

@

إشارة

الغايه من القصر تمكين الكلام و تقريره فى الذهن، كقول الشاعر: [الطويل]

و ما المرء إلا كالهلال و ضوءه

يوافى تمام الشهر ثم يغيب

و قد يراد بالقصر المبالغه فى المعنى كقول الشاعر: [الطويل]

و ما المرء إلا الأصغران لسانه

و معقوله و الجسم خلق مصور

و كقوله: [مجزوء الكامل]

لا سيف إلا ذو الفقار

و لا فتى إلا على

و ذو الفقار، لقب سيف الإمام على عليه السلام.

و القصر: قد ينحو فيه الأديب مناحى شتى، كأن يتجه إلى القصر الإضافى، رغبه فى المبالغه، كقوله: [الوافر]

و ما الدنيا سوى حلم لذيذ

تنبيهه تباشير الصباح

و قد يكون من مرامى القصر التعريض كقوله تعالى: **إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** [الرعد: ١٩] إذ ليس الغرض من الآيه الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها، و لكنها تعريض بالمشركين الذين فى حكم من لا عقل له.

ص: ١٥٤

ينقسم القصر باعتبار طرفيه: المقصور و المقصور عليه. سواء أكان القصر حقيقيا أم إضافيا، إلى نوعين:

أ- قصر صفه على موصوف: هو أن تحبس الصفه على موصوفها و تختصّ به، فلا يتّصف بها غيره، و قد يتصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات.

مثاله من الحقيقي: لا رازق إلا الله. و مثاله من الإضافي، نحو: لا زعيم إلا سعد.

ب- قصر موصوف على صفه، هو أن يحبس الموصوف على الصفه و يختصّ بها، دون غيرها، و قد يشاركه غيره فيها.

مثاله من الحقيقي، نحو: إنّما الله جامع جميع صفات الكمال (١). و مثاله من الإضافي، قوله تعالى: وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ (٢) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ، وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا [آل عمران: ١٤٤].

و اعلم أن المراد بالصفه هنا الصفه المعنويه التي تدل على معنى قائم بشيء، سواء أكان اللفظ الدال عليه جامدا أو مشتقا، فعلا أو غير فعل، فالمراد بالصفه ما يحتاج إلى غيره ليقوم به كالفعل و نحوه و ليس المراد بها (الصفه النحويه المسماه بالنعت).

ص: ١٥٥

١- ١). قصر الموصوف على الصفه في القصر الحقيقي. لا يكاد يوجد لتعذر الاحاطه بصفات الشيء، حتى يمكن إثبات شيء منها و نفي ما عداها، و يكثر القصر الحقيقي في قصر الصفه على الموصوف، بخلاف القصر الإضافي الذي يأتي كثيرا في كل من قصر الصفه على الموصوف، و قصر الموصوف على الصفه.

٢- ٢). فقد قصر الله محمدا على صفه رساله، و نفي عنه أن يظن في أمره الخلود، فلا يموت، أو يقتل.

ينقسم القصر الإضافى بنوعيه السابقين (١) على حسب حال المخاطب إلى:

أ- قصر إفراد: إذا اعتقد المخاطب الشركه، نحو إنما الله إله واحد، ردّا على من اعتقد أنّ الله ثالث ثلاثه.

ب- قصر قلب: إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذى تثبته نحو: ما سافر إلا على، ردّا على من اعتقد أن المسافر خليل لا على. فقد قلبت و عكست عليه اعتقاده.

ج- قصر تعيين: إذا كان المخاطب يتردد فى الحكم: كما إذا كان مترددا فى كون الأرض متحركه أو ثابتة، فتقول له: الأرض متحركه لا ثابتة، ردّا على من شكّ و تردد فى ذلك الحكم.

و اعلم إن القصر بنوعيه يقع بين المبتدأ و الخبر، و بين الفعل و الفاعل و بين الفاعل و المفعول، و بين الحال و صاحبها و غير ذلك من المتعلقات، و لا يقع القصر مع المفعول معه.

و القصر من ضرور الإيجاز الذى هو أعظم ركن من أركان البلاغه، إذ إن جمله القصر فى مقام جملتين، فقولك: ما كامل إلا الله تعادل، قولك: الكمال لله، و ليس كاملا غيره.

و أيضا: القصر يحدد المعانى تحديدا كاملا، و يكثر ذلك فى المسائل العلميه: و ما يماثلها.

ص: ١٥٦

١ - ١). بخلاف القصر الحقيقى بنوعيه، إذ العاقل لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات أو اتصافه بجميعها إلا واحده، أو يتردد فى ذلك، كيف و فى الصفات ما هى متقابله فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها و ينفى عن الباقي: إفرادا، أو قلبا، أو تعيينا. و على هذا المنوال قصر الصفه على الموصوف، كما فى المطول.

تطبيق وضح فيما يلي نوع القصر و طريقه

١- ما الدهر عندك إلا روضه أنف

يا من شمائله فى دهره زهر

[البسيط]

٢- ليس عار بأن يقال فقير

إنما العار أن يقال بخيل

[الخفيف]

٣- وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا (١)

[البسيط]

تمرين

عين المقصور، و المقصور عليه، نوع القصر و طريقته، فيما يأتى:

١- قال الله تعالى: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ [الغاشية: ٢٢، ٢١].

٢- وقال الله تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ [الكهف: ١١٠].

٣- وقال تعالى: إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ [النحل: ١٠٥].

٤- قال ابن الرومى: [الكامل]

غلط الطيب على غلظه مورد

عجزت موارده عن الإصدار

و الناس يلحون الطيب و إنما

غلط الطيب إصابه الأقدار

لا حول و لا قوه إلا بالله: جملتان خبريتان اسميتان من الضرب الثالث لما فيهما من التوكيد بالقصر الذى هو أقوى طرق التوكيد. المسند إليه حول و قوه و المسند الجار و المجرور، و لا نظر لتقديم الخبر لأن ذلك مراعاة لقاعده نحويه لا يعتبرها أهل المعانى و لا يعدون حذفه إيجازاً، و الحكمان مقيدان بالنفى و الاستثناء إياك و قدم المفعولين لإفاده القصر، ففيهما قصر صفة و هو التحول عن المعاصى، و القوه على الطاعة على موصوف و هو الذات الأقدس، و هو قصر إضافى طريقه النفى و الاستثناء، ثم إن كان للرد على من يعتقد أن التحول عن المعاصى و القوه على الطاعة بغير الله تعالى فهو قصر قلب، أو على من يعتقد الشركه فهو أفراد، أو على من يتردد فهو تعيين.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحه: ٥]: جملتان خبريتان فعليتان من الضرب الثالث. المسند نعبد و نستعين، و المسند إليه الضمير المستتر فيهما، و هما مقيدتان بالمفعولين لإفاده القصر، ففيهما قصر صفة و هو العباده و الاستعانه، على موصوف و هو الذات الأقدس، طريقه تقديم ما حقه التأخير، و هو إضافى ثم إن كان للرد على من يعتقد أن المعبود غير الله تعالى، فهو: قلب أو على من يعتقد الشركه فهو أفراد، أو على من يتردد فهو تعيين.

إنما شوقى شاعر: فيه قصر موصوف و هو شوقى على صفة و هو الشعر، و طريقه إنما، و هو قلب أو أفراد، أو تعيين على حسب حال المخاطب.

الله الغفور الرحيم: فيه قصر الصفة و هو المغفره و الرحمة على موصوف و هو الله تعالى: طريقه تعريف المسند بأل.

و هو: قلب أو أفراد أو تعيين على حسب حال المردود عليه.

إنما الشجاع على: فيه قصر صفة و هو الشجاعه على موصوف و هو على و طريقه إنما.

المرء بآدابه لا بثيابه: فيه قصر الموصوف على الصفة، قصر قلب بين المسند إليه و المسند، طريقه العطف بلا.

إنما الإله واحد: فيه قصر الموصوف على الصفة، قصر حقيقياً، طريقه إنما: و هو واقع بين المسند إليه و المسند.

العلم بمواقع الجمل و الوقوف على ما ينبغي أن يصنع فيها من العطف و الاستئناف و التهدى إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها أو تركها عند عدم الحاجة إليها صعب المسلك، لا يوفق للصواب فيه إلا من أوتي قسطا موفورا من البلاغه، و طبع على إدراك محاسنها، و رزق حظا من معرفه في ذوق الكلام، و ذلك لغموض هذا الباب، و دقه مسلكه، و عظيم خطره و كثير فائدته: يدل لهذا، أنهم جعلوه حدا للبلاغه. فقد سئل عنها بعض البلغاء، فقال: هي معرفه الفصل و الوصل.

تعريف الوصل و الفصل في حدود البلاغه

الوصل عطف جمله على أخرى بالواو، و الفصل ترك هذا العطف (1) بين الجملتين،

ص: ١٥٩

١- ١). إذا توالى الجملتان. لا- يخلو الحال من أن يكون، للأولى محل من الإعراب، أو لا. و إن كان لها محل من الإعراب فلا بد من أن يقصد تشريك الثانية لها في حكم الإعراب، أو لا. فإن قصد التشريك عطف الثانية عليها نحو **اللَّهُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ، وَ إِلا- فصلت عنها نحو قَالُوا إِذَا مَعَكُمْ إِلَّا مَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ .** لم يعطف قوله الله يستهزىء بهم على ما قبله لثلا يشاركه في حكم المفعوليه للقول و هو ليس مما قالوه

والمجىء بها منثور، تستأنف واحده منها بعد الأخرى. فالجمله الثانيه: تأتي في الأساليب البليغه مفصوله أحيانا، و موصوله أحيانا.

فمن الفصل، قوله تعالى: **وَلَا تَسِيءُوا إِلَى الَّذِينَ آمَنُوا إِتَّقُوا اللَّهَ وَلَا السَّيِّئَةَ** **إِذْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** [فصلت: ٣٤] فجمله ادفع مفصوله عمّا قبلها، و لو قيل: و ادفع بالتي هي أحسن، لما كان بليغا.

و من الوصل قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** [التوبه: ١١٩] عطف جملة: و كونوا على ما قبلها. و لو قيل: اتقوا الله كونوا مع الصادقين، لما كان بليغا.

فكل من الفصل و الوصل يجيء لأسباب بلاغيه. و من هذا يعلم أن الوصل جمع و ربط بين جملتين بالواو خاصه لصله بينهما في الصوره و المعنى، أو لدفع اللبس.

و الفصل: ترك الربط بين الجملتين. إما لأنهما متحدتان صوره و معنى، أو بمنزله المتحدثين، و إما لأنه لا صلّه بينهما في الصوره أو في المعنى.

(١)

كما سيأتى، و إن لم يكن لها محل من الإعراب، فإن كان لها حكم لم يقصد اعطاؤه للثانيه و جب الفصل، دفعا للتشريك بينهما، نحو **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**، **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْفُسٍ**، لم يعطف (قوله الله يعلم) على ما قبله لئلا يشاركه في حكم القصر فيكون تعالى مقصورا على هذا العلم، و إن لم يكن لها ذلك الحكم نحو: زيد خطيب و عمرو متشرع، أو قصد إعطاء حكمها للثانيه نحو إنما زيد كاتب و عمرو شاعر، و جب الوصل كما رأيت، ما لم تكن إحدى الجملتين مطلقا منقطعه عن الأخرى انقطاعا كاملا بحيث لا يصلح ارتباطهما أو متصله بها اتصالا كاملا. بحيث لا تصح المغايره بينهما. فيجب الفصل لتعذر ارتباط المنقطعتين بالعطف و عدم افتقار المتصلتين إلى ارتباط به. و يحمل شبه كل واحد من الكمالين عليه فيعطى حكمه، و اعلم أنه لا- يقبل في العطف إلا عطف المتناسبات مفرده أو جملا بالواو أو غيرها، فالشرط وجود جهه جامعه بين المتعاطفات، فنحو الشمس و القمر و السماء و الأرض. محدثه (مقبول) و نحو الشمس و الأرنب و الحمار. محدثه (غير مقبول) لكن اصلاهم اختصاص الوصول و الفصل (بالجملة، و بالواو) فلا يحسن الوصل إلا بين الجمل المتناسبه، لا المتحده و لا المتباينه، و إلا فصل. و اعلم أنه إن وجدت الواو بدون معطوف عليه قدر مناسب للمقام، نحو (أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا) فتقدر (أكفروا و كلما عاهدوا) لأن الهمزه تستدعى فعلا.

و بلاغه الوصل: لا تتحقق إلا بالواو العاطفه فقط دون بقيه حروف العطف، لأن الواو هى الأداة التى تخفى الحاجه إليها، و يحتاج العطف بها إلى لطف فى الفهم، و دقه فى الإدراك، إذ لا تفيد إلا مجرد الربط، و تشريك ما بعدها لما قبلها فى الحكم: نحو: مضى وقت الكسل، و جاء زمن العمل، و قم واسع فى الخير.

بخلاف العطف بغير الواو فيفيد مع التشريك معانى أخرى، كالترتيب مع التعقيب فى الفاء و كالترتيب مع التراخى فى ثم، و هكذا باقى أدوات العطف التى إذا عطف بواحد منها ظهر الفائده، و لا يقع اشتباه فى استعماله.

و شرط العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامع. كالموافقه فى نحو: يقرأ و يكتب، و كالمضاده فى نحو: يضحك و يبكى، و إنما كانت المضاده فى حكم الموافقه، لأن الذهن يتصور أحد الضدين عند تصور الآخر، فالعلم يخطر على البال عند ذكر الجهل. كما تخطر الكتابه عند ذكر القراءه.

و الجامع يجب أن يكون باعتبار المسند إليه و المسند جميعا. فلا يقال: خليل قادم و البعير ذاهب، لعدم الجامع بين المسند إليهما كما لا يقال: سعيد عالم، و خليل قصير، لعدم الجامع بين المسندين، و فى هذا الباب مبحثان.

المبحث الأول فى مواضع الوصل

إشاره

الوصل: عطف جمله على أخرى بالواو، و يقع فى ثلاثه مواضع (١):

الأول: إذا اتحدت الجملتان فى الخبريه و الإنشائيه لفظا و معنى. أو معنى فقط (٢) و لم يكن هناك سبب يقتضى الفصل بينهما و كانت بينهما مناسبه تامه فى المعنى.

ص: ١٦١

١- ١). الوصل يقع وجوبا بين جملتين متناسبتين لا متحدتين و لا مختلفتين كما سيأتى تفصيل ذلك.

٢- ٢). المعول عليه اتحادهما فى المعنى لأن العبره به و لا قيمه لاختلاف الصوره اللفظيه.

فمثال الخبريتين قوله تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ [الانفطار: ١٣].

و مثال الإنشائيتين قوله تعالى: فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ [الشورى: ١٥] وقوله تعالى: وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا [النساء: ٣٦]. وصل جملة وَلَا تُشْرِكُوا بجمله وَاعْبُدُوا لاتحادهما فى الإنشاء، ولأن المطلوب بهما مما يجب على الإنسان أن يوديه لخالقه، و يختصه به. و من هذا النوع قول المرحوم شوقى بك: [الرمل]

عالجوا الحكمه و استشفوا بها

و انشدوا ما حلّ منها فى السير

فقد وصل بين ثلاث جمل، تتناسب فى أنها مما يتعلق بأمر الحكمه و بواجب الشباب فى طلبها، و الانتفاع بها.

و مثال المختلفتين، قوله سبحانه: إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ، وَ إِشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ [هود: ٥٤]. أى: إني أشهد الله و أشهدكم (٢)، فتكون الجملة الثانيه فى هذه الآية: إنشائه لفظا، و لكنها خبريه فى المعنى (٣). و نحو: اذهب إلى فلان، و تقول له كذا، فتكون الجملة الثانيه من هذا المثال خبريه لفظا، و لكنها إنشائه معنى: و قل له. فالاختلاف فى اللفظ، لا فى المعنى المعول عليه، و لهذا وجب الوصل. و عطف الجملة الثانيه على الأولى لوجود الجامع بينهما، و لم يكن هناك سبب يقتضى الفصل بينهما، و كل من الجملتين لا موضع له من الإعراب.

ص: ١٦٢

١- ١). فى هذا الكلام جملتان خبريتان وصلت الثانيه بالأولى لأن بين الجملتين تناسبا فى الفكر. فإذا جرى فى الذهن حال أحد الفريقين تصور حال الفريق الآخر.

٢- ٢). و الداعى لذكر الجملة الثانيه إنشائه، و لم تذكر كالأولى خبريه، لأجل التحاشى عن مساواه شهادتهم بشهادته عز و جل، تعال الله عما يقولون علوا كبيرا.

٣- ٣). اعلم أن صور الجملتين ثمانيه، لأنهما (إما خبريتان) لفظا و معنى، أو معنى لا لفظا، أو الأولى جملة خبريه معنى لا لفظا، أو بالعكس. (و إما إنشائيتان) لفظا و معنى، و معنى لا لفظا، أو الأولى جملة خبريه صوره و الثانيه إنشائه، أو بالعكس كما مثلنا.

الثانى: دفع توهم غير المراد، و ذلك إذا اختلفت الجملتان فى الخبريه و الإنشائيه، و كان الفصل يوهم خلاف المقصود (١) كما تقول مجيبا لشخص بالنفى «لا شفاه الله» (٢). لمن يسألك: هل برىء على من المرض؟ فترك الواو يوهم السامع الدعاء عليه، و هو خلاف المقصود، لأن الغرض الدعاء له (٣). و لهذا وجب أيضا الوصل. و عطف الجمله الثانيه الدعائيه الإنشائيه على الجمله الأولى الخبريه المصوره بلفظ لا لدفع الإيهام، و كل من الجملتين لا محل له من الإعراب.

الثالث: إذا كان للجمله الأولى محل من الإعراب، و قصد تشريك الجمله الثانيه لها فى الإعراب حيث لا مانع، نحو: على يقول، و يفعل (٤).

ص: ١٦٣

- ١- ١. أما إذا لم يحصل إبهام خلاف المقصود فيجب الفصل نحو سافر فلان سلمه الله.
- ٢- ٢. فجمله شفاه الله خبريه لفظا إنشائيه معنى: و العبره بالمعنى، و اعلم أن الجمله الأولى المدلول عليها بكلمه «لا» جملته خبريه إذ التقدير «لا برء حاصل له» و هكذا يقدر المحذوف بحسب كل مثال يليق به.
- ٣- ٣. كما حكى: أن (صحابيا) مرّ برجل فى يده ثوب. فقال له: أتبيع هذا؟ فقال الرجل «لا، يرحمك الله» فقال الصحابي: «لا تقل هكذا، بل قل: لا، و يرحمك الله» و هكذا إذا سئلت عن مريض: هل أبل؟ فقل: «لا، و شفاه الله» حتى لا يتوهم السامع أنك تدعو عليه، و أنت تريد الدعاء له، فالجمله الأولى المدلول عليها بكلمه «لا» خبريه، و الثانيه إنشائيه فى المعنى، لأنها لطلب الرحمه و الشفاء، و كان الواجب الفصل بينهما، لو لا ما يسببه الفصل من الوهم.
- ٤- ٤. فجمله (يقول) فى محل رفع خبر المبتدأ، و كذلك جملته: (و يفعل) معطوفه على جملته يقول، و تشاركها بأنها فى محل رفع خبر ثان للمبتدأ، فاشتراك الجملتين فى الحكم الإعرابى يوجب الوصل. و حكم هذه الجمله حكم المفرد المقتضى مشاركته الثانى للأول فى إعرابه. و الأحسن أن تتفق الجملتان فى الاسميه و الفعلية و الفعليتان فى الماضويه و المضارعيه.

وضّح أسباب الوصل في الجمل الآتية:

١- قال عز وجل: **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** [الإسراء: ٢٩].

٢- قال سبحانه: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا** [الفرقان: ٣٥].

٤- قال عليه الصلاة والسلام: «اتق الله حيثما كنت، و أتبع السيئه الحسنه تمحها، و خالق الناس بخلق حسن» .

٥- قال أبو العتاهيه:

تأتي المكاره حين تأتي جملة

و أرى السرور يجيء في الفلتات

[الكامل]

تمرين آخر

بين أسباب الفصل في الأمثلة الآتية:

١- قال الله تعالى: **وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ** [يس: ٧٩، ٧٨].

٢- قال تعالى: **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** [الشرح: ٥، ٦].

٣- قال تعالى: **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** [القصاص: ٤].

٤- قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ* خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً** [البقرة: ٧، ٦].

٥- قال سبحانه: **وَإِذَا تَنَلَّىٰ عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلِيَ مُشْتَكِبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا** [لقمان: ٧].

المبحث الثاني في مواضع الفصل (١)

أحيانا تتقارب الجمل في معناها تقاربا تاما، حتى تكون الجمله الثانيه كأنها الجمله الأولى، وقد تنقطع الصيغه بينهما. إما لاختلافهما في الصوره، كأن تكون إحدى الجملتين إنشائية و الأخرى خبريه. و إما لتباعد معناهما، بحيث لا يكون بين المعنيين مناسبة، و في هذه الأحوال يجب الفصل في كل موضع من المواضع الخمسه الآتيه و هي:

الموضع الأول: كمال الاتصال و هو اتحاد الجملتين اتحادا تاما و امتزاجا معنويا بحيث تنزل الثانيه من الأولى منزله نفسها:

أ- بأن تكون الجمله الثانيه بمنزله البدل من الجمله الأولى، نحو: **وَ اتَّقُوا الَّذِي أَمَرَكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمْرًا بِأَنْتُمْ بَيْنَ** [الشعراء: ١٣٣، ١٣٢] (٢).

ب- أو بأن تكون الجمله الثانيه بيانا لإبهام في الجمله الأولى. كقوله سبحانه: **فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ [طه: ١٢٠]** فجمله: قال يا آدم بيان لما وسوس به الشيطان إليه.

ص: ١٦٥

١- ١). الفصل: ترك الربط بين الجملتين: إما لأنهما متحدتان صوره و معنى. أو بمنزله المتحدتين: و إما لأنه لا صلته بينهما في الصوره أو في المعنى.

٢- ٢). هذا في بدل البعض، و أما في بدل الكل: فنحو قوله تعالى: **بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ. قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ،** فجمله **قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا** قولوا كالبديل المطابق، و أما بدل الاشتمال فنحو قوله: [الطويل] أقول له ارحل لا تقيمن عندنا و إلا: فكن في السر و الجهر مسلما فجمله لا تقيمن بمنزله البدل من جمله «ارحل» بدل اشتمال لأن بينهما مناسبة بغير الكليه و الجزئيه.

ج- أو بأن تكون الجملة الثانية مؤكده للجملة الأولى، بما يشبه أن يكون تو كيذا لفظيا أو معنويا، كقوله عز و جل: فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُوَيْدًا [الطارق: ١٧]. و كقوله: وَمَنْ أَدَّاسٍ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا [البقره: ٧٨] فالمانع من العطف فى هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحادا تاما يمنع عطف الشئ على نفسه و يوجب الفصل.

الموضع الثانى: كمال الانقطاع و هو اختلاف الجملتين اختلافا تاما:

أ- بأن يختلفا خبرا و إنشاء: لفظا و معنى، أو معنى فقط، نحو: حضر الأمير حفظه الله، و نحو تكلم إنى مصغ إيك و كقول الشاعر: [البسيط]

و قال رائدهم أرسوا نزاولها

فحتف كل امرىء يجرى بمقدار (١)

ب- أو: بالأ- تكون بين الجملتين مناسبه فى المعنى و لا- ارتباط، بل كل منهما مستقل بنفسه كقولك: على كاتب، الحمام طائر، فإنه لا مناسبه بين كتابه على. و طيران الحمام. و كقوله: [الرجز]

و إنما المرء بأصغريه

كل امرىء رهن بما لديه

فالمانع من العطف فى هذا الموضع أمر ذاتى لا- يمكن دفعه أصلا و هو التباين بين الجملتين، و لهذا: وجب الفصل، و ترك العطف. لأن العطف يكون للربط، و لا ربط بين جملتين فى شدّه التباعد و كمال الانقطاع.

الموضع الثالث: شبه كمال الاتصال: و هو كون الجملة الثانية قويه الارتباط بالأولى، لوقوعها جوابا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال كقوله سبحانه: وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ [يوسف: ٥٣] (٢).

ص: ١٦٦

١ - ١). أى أوقفوا السفينه كى نباشر الحرب، و لا- تخافوا من الموت، فإن لكل أجل كتابا، أى فالمانع من العطف فى هذا الموضع أمر ذاتى لا يمكن دفعه أصلا، و هو كون إحداهما جملة خبريه، و الأخرى إنشائية، و لا جامع بينهما.

٢ - ٢). الجملة الثانية شديده الارتباط بالجملة الأولى لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى «لم لا تبرىء نفسك؟» فقال: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ فهذه الرابطة القويه بين الجملتين مانعه من العطف. فأشبهت حاله اتحاد الجملتين، و بذلك ظهر الفرق بين كمال الاتصال و شبه كمال الاتصال.

زعم العواذل أنني في غمره

صدقوا، ولكن غمرتي لا تنجلي

كأنه سئل: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا (١).

ص: ١٦٧

١- ١). و بيان ذلك بعبارة أخرى: أنه إذا اجتمعت جملتان فذلك على خمسة أحوال: أولاً: أن تكون الثانية بمعنى الأولى. أو جزءاً منها، فيجب ترك العطف لأن الشيء لا يعطف على نفسه. و كذا الجزء لا يعطف على كله. فيقال حينئذ: إن بين الجملتين كمال الاتصال، و مواضعه: (أ) أن تكون الثانية توكيدا للأولى، مثل قوله تعالى مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ . (ب) أن تكون الثانية بدلا من الأولى، مثل أطعت الله، أديت الصلاة. (ج) أن تكون الثانية بيانا للأولى، مثل بنى شكواه. قال: إني لا أجد قوت يومى. ثانيا: أن تكون الثانية مباينة للأولى تمام المباينة. فيجب ترك العطف لأن العطف يكون للربط، و لا- ربط بين المتباينين فيقال بين الجملتين كمال الانقطاع. و مواضع ذلك: (أ) أن تختلفا خبرا و إنشاء مثل، مات فلان رحمه الله. إلا إذا أوهم ترك العطف خلافاً المقصود فيجب العطف نحو لا- و شفاك الله. (ب) أن تتحدا خبرا و إنشاء، و لكن لا يوجد بينهما رابط، مثل القمر طالع، أكلت كثيرا. ثالثا: أن تكون الجملتان متناسبتين و بينهما رابط، و يسمى ذلك: التوسط بين الكمالين، و ذلك على نوعين: (أ) ألا يمنع من العطف مانع فيعطف، مثل اجتهدوا و تأدبوا. (ب) أن يمنع من العطف مانع و هو عدم قصد التشريك فى الحكم، فيمتنع العطف مثل قوله تعالى وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ . رابعا: أن تكون الثانية قويه الرابطه بالأولى. لأنها جواب عن سؤال يفهم من الأولى، فهذه الرابطه القويه تمنع العطف، لأنها أشبهت حاله اتحاد الجملتين. و يسمى ذلك (شبه كمال الاتصال)، مثل رأيت مبتسما، أظنه نجح. خامسا: أن تكون الأخيره مناسبه للأولى، و لا- مانع من عطفها عليها، و لكن يعرض حائل بينهما، و هو جملة أخرى ثالثه متوسطه، فلو عطف الثالثه على الأولى المناسبه لها. لتوهم أنها معطوفه على المتوسطه، فامتنع العطف بتاتا، و أصبحت الجملتان كأنهما منقطعتان بهذا الحائل، و يسمى ذلك (شبه كمال الانقطاع)،

و نحو: [البسيط]

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعب

فكأنه استفهم. و قال: لم كان السيف أصدق؟؟ فأجاب بقوله في حدّه: الخ فالمانع من العطف في هذا الموضع وجود الرابطه القويه بين الجملتين فأشبهت حاله اتحاد الجملتين و لهذا وجب أيضا الفصل.

الموضع الرابع: شبه كمال الانقطاع و هو أن تسبق جمله بجملتين يصحّ عطفها على الأولى لوجود المناسبه، و لكن في عطفها على الثانيه فساد في المعنى، فيترك العطف بالمره: دفعا لتوهم أنه معطوف على الثانيه نحو:

و تظنّ سلمى أننى أبغى بها

بدلا أراها في الضلال تهيم

[الكامل]

فجمله أراها يصح عطفها على جمله تظن لكن يمنع من هذا توهم العطف على جمله أبغى بها فتكون الجمله الثالثه من مضمونات سلمى، مع أنه غير المقصود و لهذا امتنع العطف بتاتا و وجب أيضا الفصل. و المانع من العطف في هذا الموضع أمر خارجي احتمالي يمكن دفعه بمعونه قرينه و من هذا: و مما سبق، يفهم الفرق بين كل من: كمال الانقطاع، و شبه كمال الانقطاع.

(١)

نحو قول الشاعر: [الكامل] و تظن سلمى أننى أبغى بها بدلا أراها في الضلال تهيم و اعلم أن التركيب الذي تجاذبت فيه أسباب الوصل و تعاضدت دواعيه قد يفصل إما لمانع من تشريك الجمله الثانيه مع الأولى و يسمى قطعاً كما سبق. و إما لجعله جواب سؤال مقدر لإغناء السامع عنه «أو لكراهه سماعه له لو سأل، أو لكراهه انقطاع كلامه بكلام السائل، أو للاختصار، و يسمى الفصل لذلك استئنافاً، كقوله: [الكامل] في المهدي ينطق عن سعادته جده أثر النجابه ساطع البرهان على تقدير أنه جواب، كيف نطق؟ و هو رضيع لم يبلغ أوان النطق!»!

ص: ١٦٨

الموضع الخامس: التوسط بين الكمالين مع قيام المانع و هو كون الجملتين متناسبتين: و بينهما رابطه قويه لكن يمنع من العطف مانع، و هو عدم التشريك في الحكم، كقوله تعالى: وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [البقره:١٤،١٥]. فجملة «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» لا يصح عطفها على جملة «إنا معكم» لاقتضائه أنه من مقول المنافقين: و الحال أنه من مقوله تعالى دعاء عليهم، و لا- على جملة «قالوا» لئلا- يتوهم مشاركته له في التقييد بالظرف و أنّ استهزاء الله بهم مقيد بحال خلوهم إلى شياطينهم، و الواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غير مقيد بحال من الأحوال و لهذا وجب أيضا الفصل.

تبيين

الأول: لما كانت الحال تجيء جملة، و قد تقترن بالواو، و قد لا تقترن فأشبهت الوصل و الفصل، و لهذا يجب وصل الجملة الحاليه بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبها، نحو جاء فؤاد و الشمس طالعه (١) .

و يجب فصلها في ثلاثه مواضع:

١- إذا كان فعلها ماضيا تاليا «إلا» ، أو وقع ذلك الماضي قبل «أو» التي للتسويه، نحو:

ص: ١٧٠

ما تكلم فؤاد إلا قال خيرا-و كقول الشاعر:

كن للخليل نصيرا جار أو عدلا

و لا تشخ عليه جاد أو بخلا

[البسيط]

٢- إذا كان فعلها مضارعا مثبتا أو منفيا بما، أو لا- نحو: وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَتُكُونَ [يوسف: ١٦] و نحو: وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ [المائدة: ٨٤] و نحو:

عهدتك ما تصبو و فيك شبيهه

فما لك بعد الشيب صبا متيما

[الطويل]

٣- إذا كانت جملة اسميه واقعه بعد حرف عطف، أو كانت اسميه مؤكده لمضمون ما قبلها، كقوله تعالى: فَجَاءَهَا بِأُسَيْنًا بِيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ [الاعراف: ٤] و كقوله تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ [البقره: ٢]. (١)

الثانى: علم مما تقدم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين فى الخبريه و الإنشائيه، و لا بدمع اتفاقهما من جهه بها يتجاذبان، و أمر جامع به يتآخذان، و ذلك الجامع: إما عقلى (٢)

ص: ١٧١

١- ١). لما كان قوله: (ذلك الكتاب) فيه مظنه مجازفه بسبب إيراد المسند إليه اسم إشاره، و المسند معرفا بأل أكده بقوله: (لا ريب فيه) تأكيدا معنويا. و لما كانت الدعوى المذكوره مع ادعاء عدم المجازفه مظنه استبعاد، أكده بقوله هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ تأكيدا لفظيا، حتى كأنه نفس الهدايه.

٢- ٢). فالجامع العقلى، أمر بسببه يقتضى العقل اجتماع الجملتين فى القوه المفكره كالاتحاد فى المسند: أو المسند إليه، أو فى قيد من قيودهما، نحو زيد يصلى و يصوم و يصلى زيد و عمرو... و زيد الكاتب شاعر. و عمرو الكاتب منجم. و زيد ماهر، و عمرو طيب ماهر، و كالتماثل و الاشتراك فيهما، أو فى قيد من قيودهما أيضا بحيث يكون التماثل له نوع اختصاص بهما أو بالقيده، لا مطلق تماثل، فنحو زيد شاعر و عمرو كاتب لا يحسن إلا إذا كان بينهما مناسبه، لها نوع اختصاص بهما، كصداقه أو أخوه أو شركه أو نحو ذلك، و كالتضاييف بينهما. بحيث لا يتعقل أحدهما إلا بالقياس إلى الآخر. كالأبوه مع البنوه و العله مع المعلول، و العلو و السفلى، و الأقل و الأكثر، إلى غير ذلك.

و للقرآن الكريم اليد البيضاء فى هذا الباب، كقوله تعالى: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَ إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَ إِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فالمناسبه بين الإبل و السماء، و بينها و بين الجبال و الأرض غير موجوده بحسب الظاهر. و لكنه «أسلوب حكيم» فى غايه البلاغه، لأنه لما كان الخطاب مع العرب. و ليس فى تخيلاتهم إلا الإبل، لأنها رأس المنافع عندهم، و الأرض لرعيها و السماء لسقيها، و هى التى توصلهم إلى الجبال التى هى حصنهم عند ما تفاجئهم حادثه أورد الكلام على طبق ما فى تخيلاتهم.

ص: ١٧٢

١ - ١). و الجامع الوهمى، أمر بسببه يقتضى الوهم اجتماع الجملتين فى المفكره. كشبه التماثل الذى بين نحو لوني البياض و الصفرة، فإن الوهم يبرزهما فى معرض المثليين من جهه أنه يسبق إليه أنهما نوع واحد، زائد فى أحدهما عارض فى الآخر بخلاف العقل فإنه يدرك أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد، هو اللون. و كالتضاد بالذات، و هو التقابل بين أمرين وجودين بينهما غايه الخلاف، يتعاقبان على محل واحد، و كالسواد و البياض. أو التضاد بالعرض كالأسود و الأبيض، لأنهما ليسا ضددين لذاتهما لعدم تعاقبهما على محل واحد، بل بواسطة ما يشتملان عليه من سواد و بياض. و كشبه التضاد كالسواء و الأرض، فإن بينهما غايه الخلاف ارتفاعا و انخفاضاً، لكن لا يتعاقبان على محل واحد، كالتضاد بالذات، و لا على ما يشمله كالتضاد بالعرض.

٢ - ٢). و الجامع الخيالى، أمر بسببه يقتضى الخيال اجتماع الجملتين فى المفكره، بأن يكون بينهما تقارن فى الخيال سابق على العطف لتلازمهما فى صناعه خاصه، أو عرف عام، كالقدوم و المنشار. و المنقاب، فى خيال النجار. و القلم، و الدواه، و القرطاس، فى خيال الكاتب. و كالسيف، و الرمح، و الدرع، فى خيال المحارب، و هلم جرا.

عين أسباب الوصل و الفصل في الأمثلة الآتية:

١- قال الله تعالى: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ، وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ، إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ [المؤمنون: ٩١].

٢- وقال الله تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَيَحْفَظُوا أَرْجُلَهُمْ، ذَلِكَ أَرْكَىٰ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. [النور: ٣٠].

٣- وقال: لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ، إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الشورى: ١٢].

٤- مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ [يوسف: ٣١].

٥- يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [الرعد: ٢-٤].

٦- وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ [النجم: ٣-٥].

٧- فَقَالُوا سَلَامًا، قَالَ سَلَامٌ [الذاريات: ٢٥].

٨- وقال أبو العتاهيه: [الكامل]

و إذا ابتليت ببذل وجهك سائلا

فابذله للمتكرم المفضل

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله

عوضا و لو نال الغنى بسؤال

٩- وقال: [المنسرح]

من عرف الناس في تصرفهم

لم يتبع من صاحب زللا

إن أنت كافات من أساء فقد

سرت إلى مثل سوء ما فعلا

١٠- أخط مع الدهر إذا ما خطا

و اجر مع الدهر كما يجرى

[السريع]

ص: ١٧٣

٧-حكم المنيه فى البريه جارى

ما هذه الدنيا بدار قرار

[الكامل]

٨-قال لى كيف أنت قلت عليل

سهر دائم و حزن طويل

[الخفيف]

٩-يرى البخيل سبيل المال واحده

إن الكريم يرى فى ما له سبلا

[البسيط]

ص: ١٧٤

تطبيق عام على الوصل و الفصل

جربت دهرى و أهليه فما تركت

لى التجارب فى ود امرىء غرضاً

[البيط]

فصلت الثانيه، لشبه كمال الاتصال، فإنها جواب سؤال.

يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ [النور: ٣٦]. فصلت الثانيه لشبه كمال الاتصال، فإنها جواب سؤال ناشىء مما قبلها.

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً- وَ لِيُبْكُوا كَثِيراً [التوبه: ٨٢]: عطف الجمله الثانيه على الأولى لاتفاقهما فى الإنشاء، مع المناسبه التامه بين المفردات، فإن المسند إليه فيهما متحد و المسند و قيدهما متقابلان.

إِنَّ الْمَأْتِرَ لَفِي نَعِيمٍ وَ إِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ [الانفطار: ١٤]: عطف الجمله الثانيه على الأولى لاتفاقهما خبراً. لفظاً و معنى. مع المناسبه التامه بين مفرداتهما، فإن المسندين المقدرين فيهما متحدان، و المسندان إليهما متقابلان. و قيدهما الأول متحد. و الثاني متقابل.

اشكر الله على السراء ينجيك من الضراء: لم تعطف الثانيه على الأولى لكمال الانقطاع. فإن الأولى إنشائية لفظاً و معنى، و الثانيه عكسها.

اصبر على كيد الحسود لا تضجر من مكائده: لم تعطف الثانيه على الأولى لكمال الاتصال، فإنها مؤكده لها.

أنت حميد الخصال تصنع المعروف و تغيب الملهوف: فصلت الثانيه من الأولى لكمال الاتصال فإنها بيان لها. و وصلت الثالثه للتوسط بين الكمالين، مع وجود مانع من الوصل.

ص: ١٧٥

كل ما يجول فى الصدر من المعانى، و يخطر ببالك معنى منها، لا يعدو التعبير (١) عنه طريقا من طرق ثلاث:

أولاً: إذا جاء التعبير على قدر المعنى، بحيث يكون اللفظ مساويا لأصل ذلك المعنى، فهذا هو «المساواه». و هى الأصل الذى يكون أكثر الكلام على صورته، و الدستور الذى يقاس عليه.

ثانياً: إذا زاد التعبير على قدر المعنى لفائده، فذاك هو «الإطناب» فإن لم تكن الزيادة لفائده فهى حشو أو تطويل.

ثالثاً: إذا نقص التعبير على قدر المعنى الكثير، فذلك هو «الإيجاز» (٢).

فكل ما يخطر ببال المتكلم من المعانى فله فى التعبير عنه بإحدى هذه الطرق الثلاث. فتاره يوجز. و تاره يسهب، و تاره يأتى بالعباره بين بين. و لا يعد الكلام فى صورته من هذه

ص: ١٧٧

١-١). أى: إذا أردت أن تتحدث إلى الناس فى معنى من المعانى، فأنت تعبر عنه تعبيرا صحيحا مقبولا فى إحدى صور ثلاث و هى: المساواه، و الإيجاز، و الإطناب.

٢-٢). قال الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام: ما رأيت بليغا قط إلا و له فى القول إيجاز، و فى المعانى إطاله. و قالت بنت الحطيئه لأبيها: ما بال قصارك أكثر من طوالك، قال: لأنها بالآذان أولج، و بالأفواه أعلق. و قيل لشاعر: لم لا تطيل شعرك؟ فقال: حسبك من القلاده ما أحاط بالعنق.

الصور بليغا. إلا إذا كان مطابقا لمقتضى حال المخاطب، و يدعو إليه مواطن الخطاب.

فإذا كان المقام للإطناب مثلا، و عدلت عنه إلى الإيجاز، أو المساواه لم يكن كلامك بليغا و فى هذا الباب ثلاثه مباحث.

المبحث الأول فى الإيجاز و أقسامه

الإيجاز: هو وضع المعانى الكثيره فى ألفاظ أقل (١) منها، و افيه بالعرض المقصود، مع الإبانه و الإفصاح، كقوله تعالى: **خُذِ الْعَفْوَ** وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف: ١٩٩]. فهذه الآية القصيره جمعت مكارم الأخلاق بأسرها، و كقوله تعالى: **أَلَا لَهُ** الْخَلْقُ وَ أَلَمْ نُمُرْ [الأعراف: ٥٤] و كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: «إنما الأعمال بالنيات» فإذا لم تف العبارة بالعرض سمي إخلالا و حذفنا رديئا كقول الشكرى:

و العيش خير فى ظلا

ل النوك ممن عاش كدا

[مجزوء الكامل]

مراده: أن العيش الناعم الرّغد فى حال الحمق و الجهل، خير من العيش الشاق فى حال العقل، لكن كلامه لا يعد صحيحا مقبولا.

ص: ١٧٨

١ - ١). بأن يكون اللفظ أقل من المعهود عاده مع وفائه بالمراد. فإن لم يف كان الإيجاز إخلالا و حذفنا رديئا فلا يعد الكلام صحيحا مقبولا، كقول عروه بن الورد: [الطويل]. عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم و مقتلهم عند الوغى كان اعدارا يريد: إذ يقتلون نفوسهم فى السلم، لكن صوغ كلامه لا يدل عليه. و مثل قول بعضهم نثرا «فإن المعروف إذا زجا كان أفضل منه إذا وفر و أبطأ» و لأجل تمام ما يريد: كان عليه أن يقول، إذا قل وزجا. و لا يعد مثل هذا الكلام صحيحا مقبولا. و اعلم أن متعارف أوساط البلغاء هم الذين لم يرتقوا إلى درجه البلغاء، و لم ينحطوا إلى درجه البسطاء، فالمساواه: هى الدستور الذى يقاس عليه كل من الأيجاز و الإطناب.

و ينقسم الإيجاز إلى قسمين، إيجاز قصر (١)، و إيجاز حذف.

فإيجاز القصر و يسمى إيجاز البلاغه يكون بتضمين المعانى الكثيره فى ألفاظ قليله من غير حذف، كقوله تعالى: وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ [البقره:١٧٩]. فإن معناه كثير، و لفظه يسير، إذ المراد: أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قتل: امتنع عن القتل، و فى ذلك حياته و حياه غيره، لأن القتل أنفى للقتل (٢) و بذلك تطول الأعمار، و تكثر الذريه و يقبل كل واحد

ص: ١٧٩

١- ١). و إيجاز القصر. هو ما زيد فيه المعانى على الألفاظ و لا يقدر فيه محذوف و يسمى [إيجاز البلاغه] لأن الأقدار تتفاوت فيه. و للقرآن الكريم فيه المنزله التى لا تسامى، و الغايه التى لا تدرى. فمن ذلك قوله تعالى: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ فهذه الآيه قد جمعت مكارم الأخلاق، و انطوى تحتها كل دقيق و جليل، إذ فى العفو الصفح عمن أساء. و فى الأمر بالمعروف صلته الأرحام. و منع اللسان عن الكذب و غض الطرف عن كل المحارم، و قوله عز اسمه وَ الْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ استوعبت تلك الآيه الكريمه أنواع المتاجر. و صنوف المرافق التى لا يبلغها العد، و قوله: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ هاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غايه الاستقصاء، و قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله: «المعده بيت الداء و الحميه رأس الدواء. و عودوا كل جسم ما اعتاد» فقد تضمن ذلك من المعانى الطبيه شيئا كثيرا. و قول الإمام امير المؤمنين على عليه السلام: «من استقبل وجوه الأراء عرف وجوه الخطأ». و قول بعض الأعراب: اللهم هب لى حقتك و أرض عنى خلقك. فسمعه الإمام عليه السلام وجهه فقال: هذا هو البلاغه. و منه قول السموأل: [الطويل] و إن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل فقد اشتمل على حميد الصفات من سماحه و شجاعه و تواضع و حلم و صبر و احتمال مكاره فى سبيل طلب الحمد، إذ كل هذه مما تضيف النفس لما يحصل فى تحملها من المشقه و العناء. و السبب فيما له من الحسن و الروعه دلالة قليل الألفاظ على كثير المعانى إلى ما فيه من الدلالة على التمكن فى الفصاحه و البراعه. و لذا قال محمد الأمين: «عليكم بالإيجاز، فإن له إفهاما. و للإطاله استبهاما» و قال آخر: «القليل الكافى خير من كثير غير شاف» .

٢- ٢). لقد أثر و نقل عن العرب قولهم: «القتل أنفى للقتل» و أين هذا المثل من بلاغه هذه الآيه الشريفه التى بلغت

على ما يعود عليه بالنفع، و يتم النظام، و يكثر العمران. فالقصاص: هو سبب ابتعاد الناس عن القتل، فهو الحافظ للحياه.

و هذا القسم مطمح نظر البلغاء، و به تتفاوت أقدارهم، حتى أن بعضهم سئل عن البلاغه فقال: هي «إيجاز القصر». و قال أكنم بن صيفى خطيب العرب: «البلاغه: الايجاز» .

و إيجاز الحذف يكون بحذف شىء من العبارة لا يخل بالفهم، عند وجود ما يدل على المحذوف، من قرينه لفظيه، أو معنويه. و ذلك المحذوف إما أن يكون:

١- حرفا: كقوله تعالى: وَ لَمْ أَكُ بَعِيًّا أَصْلَهُ: و لم أكن (١).

٢- أو اسما مضافا نحو: وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ [الحج: ٧٨] أى، فى سبيل الله.

٣- أو اسما مضافا إليه نحو: وَ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَ اتَّمَمْنَا بِعَشْرِ [الأعراف: ١٤٢] أى: بعشر ليال.

٤- أو اسما موصوفا كقوله تعالى: وَ مَنْ تَابَ وَ عَمِلَ صَالِحًا [الفرقان: ٧١] أى: عملا صالحا.

٥- أو اسما صفه نحو: فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ أى: مضافا إلى رجسهم.

(٢)

حد الإعجاز و تمتاز بوجوه، منها أنها كلمتان، و ما نقل عنهم أربع، و منها أنه لا تكرر فيها. و فيما قالوه تكرر، و منها أنه ليس كل قتل يكون نافيا للقتل، و إنما يكون كذلك إذا كان على وجه القصاص، و منها حسن التأليف و شدة التلاؤم المدركان بالحس فى الآيه الكريمة التى أعجزتهم أن يأتوا بمثله. لا فيما قالوه فى مثلهم البسيط الذى لا يزيد عن متعارف الأوساط.

ص: ١٨٠

١- ١). و كحذف لا فى قول عاصم المنقرى: [الوافر] رأيت الخمر جامده و فيها خصال تفسد الرجل الحليما فلا و الله أشربها حياتى و لا أسقى بها أبدا نديما يريد: لا أشربها. و يقع إيجاز الحذف كثيرا فى أساليب البلغاء بشرط أن يوجد ما يدل على الحذف، و إلا كان الحذف رديئا، و الكلام غير مقبول.

٦- أو شرطاً نحو: فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ [آل عمران: ٣١]. أى: فإن تتبعونى.

٧- أو جواب شرط نحو: وَ لَوْ تَرَىٰ إِذِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ [الأنعام: ٢٧]. أى: لرأيت أمراً فظيماً.

٨- أو مسنداً نحو: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ [لقمان: ٢٥] أى: خلقهن الله.

٩- أو مسنداً إليه كما فى قول حاتم: [الطويل]

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوماً و ضاق بها الصدر

أى: إذا حشرجت النفس يوماً.

١٠- أو متعلقاً نحو: لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ [الأنبياء: ٢٣] أى: عما يفعلون.

١١- أو جملة نحو: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ [البقره: ٢١٣] أى: فاختلّفوا فبعث.

١٢- أو جملاً كقوله تعالى: فَأَرْسَلْنَا يُوسُفَ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ [يوسف: ٤٦، ٤٥] (١) أى فأرسلونى إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه فأثابه، و قال له: يوسف أيها الصديق.

و اعلم أنه لا بد من دليل يدل على المحذوف و هو:

إما العقل وحده: نحو و جاء ربك، و إما العقل مع غيره: نحو حرمت عليكم الميتة، أى تناولها. و إما العاده: نحو فذلكن الذى لمتننى فيه، أى فى مرادته. و إما الشروع فيه: نحو بسم الله الرحمن الرحيم، أو لف مثلاً و إما مقارنة الكلام للفعل: كما تقول لمن تزوج «بالرفاء و البنين» أى أعرت متلبساً بالألفه و البنين.

و اعلم أن دواعى الإيجاز كثيره منها: الاختصار، و تسهيل الحفظ و تقريب الفهم، و ضيق المقام، و إخفاء الأمر على غير السامع، و الضجر و السأمه، و تحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير-الخ.

و يستحسن الإيجاز فى الاستعطاف، و شكوى الحال، و الاعتذارات، و التعزیه، و العتاب،

ص: ١٨١

١- ١). فأرسلون. حكاية عن أحد الفتيين الذى أرسله العزيز إلى يوسف عليه السلام ليستعبره ما رآه. تنبيه: حذف الجمل أكثر ما يرد فى كلام الله عز و جل. إذ هو الغايه فى الفصاحه، و النهايه فى مراتب البلاغه. و اعلم أن كلاً من الحشو و التطويل يخل ببلاغه الكلام، بل لا يعد الكلام معهما إلا ساقطاً عن مراتب البلاغه كلها.

و الوعد، و الوعيد، و التويخ، و رسائل طلب الخراج، و جبايه الأموال، و رسائل الملوك فى أوقات الحرب إلى الولاة، و الأوامر و النواهى الملكيه، و الشكر على النعم.

و مرجعك فى إدراك أسرار البلاغه إلى الذوق الأدبى، و الإحساس الروحى.

المبحث الثانى فى الإطناب و أقسامه

الإطناب: زياده اللفظ على المعنى لفائده، أو هو تأديه المعنى بعباره زائده عن متعارف أوساط البلغاء: لفائده تقويته و توكيده نحو: رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا [مريم: ٤] أى كبرت.

فإذا لم تكن فى الزيادة فائده يسمى تطويلا إن كانت الزيادة فى الكلام غير متعينه. و يسمى حشوا إن كانت الزيادة فى الكلام متعينه لا يفسد بها المعنى.

فالتطويل كقول: عدى العبادى: فى جذيمه الأبرش: [الوافر]

و قددت الأديم لراهشيه

و ألفى قولها كذبا و مينا (١)

فالمين و الكذب بمعنى واحد، و لم يتعين الزائد منهما، لأنّ العطف بالواو لا يفيد ترتيبا و لا تعقيبا و لا معيه، فلا يتغير المعنى بإسقاط أيهما شئت.

ص: ١٨٢

١- (١). و قددت أى قطعت و الضمير فيه يعود على الزباء. و هى امرأه ورثت الملك عن أبيها، و الأديم الجلد، و لراهشيه. أى: إلى أن وصل القطع للراهشين و هما عرقان فى باطن الذراع يتدفق الدم منهما عند القطع، و الضمير فى ألفى يعود على المقطوع راهشاه، و هو جذيمه الأبرش. و امراد الإخبار بأن جذيمه غدرت به الزباء و قطعت راهشيه، و سال منه الدم حتى مات، و أنه وجد ما وعدته من تزوجه بها كذبا و مينا، و هما بمعنى واحد. و إحدى الكلمتين زائده فلا يتغير المعنى بإسقاط أيهما شئت.

و الحشو: كقول: زهير بن أبي سلمى. [الطويل]

و أعلم علم اليوم و أمس قبله

و لكننى عن علم ما فى غد عمى (١)

و كل من الحشو و التطويل معيب فى البيان، و كلاهما بمعزل عن مراتب البلاغه.

و اعلم أن دواعى الإطناب كثيره، منها تثبت المعنى، و توضيح المراد و التوكيد، و دفع الإيهام، و إثارة الحميه و غير ذلك.

و أنواع الإطناب كثيره (٢)

١- منها: ذكر الخاص بعد العام: كقوله تعالى: **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ** [البقره: ٢٣٨] و فائدته التنبيه على مزيه: و فضل فى الخاص حتى كأنه لفضله و رفعته، جزء آخر، مغاير لما قبله. و لهذا خص الصلاه الوسطى (و هى العصر) بالذكر لزياده فضلها.

٢- منها: ذكر العام بعد الخاص، كقوله تعالى: **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** [نوح: ٢٨] (٣) و فائدته شمول بقيه الأفراد و الاهتمام بالخاص لذكره ثانيا فى عنوان عام بعد ذكره اولاً فى عنوان خاص.

٣- منها: الإيضاح بعد الإبهام، لتقرير المعنى فى ذهن السامع بذكره مرتين، مره على سبيل الإبهام و الإجمال، و مره على سبيل التفصيل و الإيضاح، فيزيده ذلك نبلا و شجفا كقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ** [الصف: ١١، ١٠]، و كقوله تعالى: **وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوَلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ** [الحجر: ٦٦]. فقوله إن دابر

ص: ١٨٣

١- ١). الشاهد فى قوله، قبله، لأنه معلوم من قوله أمس، و كقول الآخر: [مجزوء الوافر] ذكرت أخى فعاودنى صداع الرأس و

الوصب فإن الصداع لا يكون إلا فى الرأس، فذكر الرأس لا فائده فيه.

٢- ٢). و منها الحروف الزائده. و تكثير الجمل، نحو **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ**.

٣- ٣). من دعاء سيدنا نوح عليه السلام لنفسه و لوالديه و للمؤمنين.

هؤلاء تفسير و توضيح لذلك الأمر المبهم و فائدته توجيه الذهن إلى معرفته، و تفخيم شأن المبين، و تمكينه في النفس فأبهم في كلمه الأمر ثم وضحه بعد ذلك تهويلا لأمر العذاب.

٤- ومنها: التوشيح: و هو أن يؤتى في آخر الكلام بمثنى مفسر بمفردين ليرى المعنى في صورتين، تخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس، نحو العلم علما، علم الأبدان، و علم الأديان.

٥- منها: التكرير: و هو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لأغراض:

الأول: التأكيد و تقرير المعنى في النفس كقوله تعالى: **كَلَّا- سَيُوفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا- سَوْفَ تَعْلَمُونَ** [التكاثر: ٣، ٤] (١) و كقوله تعالى: **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** [الشرح: ٥، ٦].

الثاني: طول الفصل لثلا يجيء مبتورا ليس له طلاوه. كقوله تعالى: **يَا أَبَتِ إِنَّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** [يوسف: ٤] فكرر رأيت لطول الفصل و من هذا قول الشاعر: [الطويل]

و إن امرأ دامت موثيق عهده

على مثل هذا إنه لكريم (٢)

الثالث: قصد الاستيعاب: نحو: قرأت الكتاب بابا بابا، و فهمته كلمه كلمه.

الرابع: زياده الترغيب في امر مطلوب كالعفو في قوله تعالى: **إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَ أَوْلَادِكُمْ عِيدُوا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ. وَ إِنْ تَعَفُّوا وَ تَصَفَّحُوا وَ تَغْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** [التغابن: ١٤].

الخامس: الترغيب في قبول النصيح باستماله المخاطب لقبول الخطاب كقوله تعالى: **وَ قَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ** [غافر: ٣٨، ٣٩]. ففي تكرير يا قوم تعطيف لقلوبهم، حتى لا يشكوا في إخلاصه لهم في نصحه.

ص: ١٨٤

١- ١). أى سوف تعلمون ما أنتم عليه من الخطأ إذا شاهدتم هول المحشر، فقد أكد الإنذار بتكريره ليكون أبلغ تأثيرا و أشد تخويفا.

٢- ٢). الشاهد في تكرير (إن) التي في أول البيت، و تكريرها في آخره.

السادس: التنويه بشأن المخاطب (١) نحو: «إن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بن يعقوب بن إبراهيم» .

السابع: الترديد: وهو تكرار اللفظ متعلقا بغير ما تعلق به أولا نحو: السخى: قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة. و البخيل: بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة.

الثامن: التلذذ بذكره، نحو قول: مروان بن أبي حفصه. [الطويل]

سقى الله نجدا و السلام على نجد

و يا حبذا نجد على القرب و البعد

التاسع: الإرشاد إلى الطريقة المثلى، كقوله تعالى: أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ [القيامة: ٣٤، ٣٥].

٦- ومنها: الاعتراض لغرض يقصده المتكلم وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين فى المعنى، بجمله معترضه، أو أكثر، لا محل لها من الإعراب (٢). و ذلك لأغراض يرمى إليها البليغ غير دفع الإيهام.

أ- كالدعاء: نحو: إني حفظك الله مريض. و كقول عوف بن محلم الشيبانى: [السريع]

إن الثمانين و بلغتها

قد أحوجت سمعى إلى ترجمان (٣)

ب- و التنبيه على فضيله العلم كقول الآخر:

و اعلم فعلم المرء ينفعه

أن سوف يأتي كل ما قدرا

[الكامل]

ص: ١٨٥

١- ١) . او التشويه بشأن المخاطب كقول الإمام الحسين عليه السلام: انّ الدعى ابن الدعى قد ركضنى بين اثنتين، بين السله و الذله و هيهات منّا الذله.

٢- ٢) . لم يشترط بعضهم وقوعه بين جزأى جمله و لا بين كلامين، بل جوز وقوعه آخر الكلام مطلقا، سواء وليه ارتباطا بما قبله أو لا، كقوله تعالى وَ قَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ، فجمله و نعم الوكيل معترضه، و ليست معطوفه على ما قبلها حتى يلزم عطف الانشاء على الخبر.

٣-٣) . بلغتها بفتح التاء أى بلغك الله إياها، و ترجمان كزعفران، و يجوز ضم التاء مع الجيم و اعلم أن الدعاء من الشاعر موجه إلى المخاطب بطول عمره، و أن يعيش مثله ثمانين سنة، و اعلم أنه قد يقع الاعتراض فى الاعتراض كقوله تعالى: **فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ** .

ج-و التنزيه: كقوله: وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ [النحل: ٥٧].

د-و زياده التأكيد: كقوله تعالى: وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلِيًّا وَهْنٌ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَ لِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ [لقمان: ١٤].

ه-و الاستعطف كقول الشاعر: [الكامل]

و خفوق قلب لو رأيت لهيبه

يا جنتي لرأيت فيه جهنما

و-و التهويل: نحو: وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ [الواقعه: ٧٦].

٧-و منها الإيغال: و هو ختم الكلام بما يفيد نكته، يتم المعنى بدونها كالمبالغه: في قول الخنساء: [البسيط]

و إن صخرًا لتأتم الهداه به

كأنه علم في رأسه نار

فقولها: كأنه علم واف بالمقصود، لكنها أعقبته بقولها في رأسه نار لزياده المبالغه، و نحو: قوله تعالى: وَ اللَّهُ يَزُزُّ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [البقره: ٢١٢].

٨-و منها التذييل: و هو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة، تشتمل على معناها، تأكيداً لمنطوق الأولى، (١) أو لمفهومها نحو قوله تعالى: وَقُلْ لِّجَاءِ الْحَقِّ وَ زَهَقِ الْبَاطِلِ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا [الإسراء: ٨١]. و نحو قوله تعالى: ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ [سبأ: ١٧].

و التذييل: قسمان قسم مستقل بمعناه، لجريانه مجرى المثل. و قسم لا مستقل بمعناه، لعدم جريانه مجرى المثل.

فالأول: الجارى مجرى الأمثال، لاستقلال معناه، و استغنائه عما قبله كقول طرفه:

كلّ خليل كنت خالته

لا ترك الله له واضحه

[السريع]

كلكم أروغ من ثعلب

١ - ١). التأكيد ضربان: تأكيد المنطوق كما في هذه الآيه، و تأكيد المفهوم كقوله: [الطويل] و لست بمستبق أخا لا تلمه على
شعث إى الرجال المهذب فقد دل بمفهومه على نفي الكمال من الرجال فأكده بقوله: «أى الرجال المهذب» .

و الثاني: غير الجارى مجرى الأمثال، لعدم استغنائه عما قبله، و لعدم استقلاله بإفاده المعنى كقول الناغى: [البسيط]

لم يبق جودك لى شيئا أومله

تركنتى أصحاب الدنيا بلا أمل

فالشرط الثانى: مؤكد للإول، و ليس مستقلا عنه، فلم يجر مجرى المثل.

٩- ومنها الاحتراس: و يقال له التكميل، و هو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم. فالاحتراس: يوجد حيثما يأتى المتكلم بمعنى يمكن أن يدخل عليه فيه لوم، فيفطن لذلك و يأتى بما يخلصه.

سواء أوقع الاحتراس فى وسط الكلام. كقول طرفه بن العبد: [الكامل]

فسقى ديارك غير مفسدها

صوب الربيع وديمه تهى (١)

فقوله: غير مفسدها: للاحتراس.

أو وقع الاحتراس فى آخره، نحو: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَيَّ حُبِّهِ [الانسان: ٨] أى: مع حب الطعام: و اشتهاؤهم له، و ذلك أبلغ فى الكرم، فلفظ «على حبه» فضله للاحتراس و لزياده التحسين فى المعنى. و كقول أعرابيه لرجل: أذل الله كل عدو لك إلا نفسك.

١٠- منها التتميم: و هو زياده فضله، كمفعول، أو حال، أو تمييز، أو جار و مجرور، توجد فى المعنى حسنا بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلا. كقول ابن المعتز يصف فرسا: [الطويل]

صبنا عليها ظالمين سياطنا

فطارت بها أيد سراع و أرجل

إذ لو حذفت ظالمين لكان الكلام مبتذلا، لا رقه فيه و لا طلاوه و توهم أنها بليده تستحق الضرب.

و يستحسن الإطناب فى الصلح بين العشائر، و المدح، و الثناء و الذم و الهجاء، و الوعظ، و الإرشاد، و الخطاب: فى أمر من الأمور العامه، و التهنته و منشورات الحكومه إلى الأمه، و كتب الولاه إلى الملوك، لإخبارهم بما يحدث لديهم من مهام الأمور.

ص: ١٨٧

و هناك أنواع أخرى من الإطناب، كما تقول فى الشىء المستبعد: رأيتـه بعينى و سمعته بأذنى، و ذقته بـفمى: تقول ذلك لتأكيد المعنى و تقريره. و كقوله تعالى: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ [النحل: ٢٦] السقف لا- يخر طبعاً إلا من فوق و لكنه دل بقولهم (من فوقهم) على الإحاطة و الشمول.

و اعلم: أن الإطناب أرجح عند بعضهم من الإيجاز، و حجته فى ذلك أن المنطق إنما هو البيان، و البيان لا يكون إلا بالإشباع و الاشباع لا يقع إلا بالإقناع و أفضل الكلام أبينه. و أبينه أشده إحاطة بالمعانى. و لا يحاط بالمعانى إحاطة تامه، إلا بالاستقصاء و الإطناب.

و المختار: أن الحاجه إلى كل من الإطناب، و الإيجاز، ماسه: و كل موضع لا يسد أحدهما مكان الآخر فيه. و للذوق السليم القول الفصل فى موطن كل منهما. (١)

المبحث الثالث فى المساواه

إشاره

المساواه: هى تأديه المعنى المراد: بعبارة مساويه له (١)، بأن تكون الألفاظ على قدر المعانى، لا يزيد بعضها على بعض.

و لسنا بحاجه إلى الكلام على المساواه، فإنها هى الأصل المقيس عليه، و الدستور الذى

ص: ١٨٨

١- ٢). المساواه هى ما ساوى لفظه معناه بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر، و هى نوعان: الأول: مساواه مع الاختصار، و هى أن يتحرى البليغ فى تأديه المعنى أوجز ما يكون من الألفاظ القليله الأ-حرف الكثيره المعانى. كقوله تعالى: هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ. و كقوله تعالى: وَلَا يَجِئُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ. و الثانى: مساواه بدون اختصار «و يسمى متعارف الأوساط» و هو تأديه المقصود من غير طلب للاختصار. كقوله تعالى: حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْجَنِّاتِ. و الوجهان فى المركز الأسمى من البلاغه غير أن الأول أدخل فيها و أدل عليها. و المساواه فن من القول عزيز المثال تشرئب إليه أعناق البلغاء لكن لا يرتقى إلى ذراه إلا الأفذاذ لصعوبه المرتقى، و جلال المقصد، و المساواه يعتبرها بعضهم وسطاً بين الإيجاز و الإطناب، و بعضهم يدمجها، و لا يعدها قسماً ثالثاً للإيجاز و الإطناب.

يعتمد عليه. كقوله تعالى: ﴿ مَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ [البقره: ١١٠]. و كقوله تعالى: كُلَّ امْرِيٍّ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ [الطور: ٢١]. و كقوله تعالى: مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ [الروم: ٤٤]. و كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله: «إنما الأعمال بالنيات و لكل امرئ ما نوى». فإن اللفظ فيه على قدر المعنى، لا ينقص عنه، و لا يزيد عليه. و كقول طرفه بن العبد: [الطويل]

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

و يأتيك بالأخبار من لم تزود

هذه أمثله للمساواه، لا يستغنى الكلام فيها عن لفظ منه، و لو حذف منه شيء لأخل بمعناه.

أسئله على الإيجاز و الإطناب و المساواه تطلب أجوبتها

ما هي المساواه؟ ما هو الإيجاز؟ ما هو الإطناب؟ كم قسما للإيجاز؟ ما هو إيجاز القصر؟ ما هو إيجاز الحذف؟ بأي شيء يكون إيجاز الحذف؟ كم قسما للإطناب؟ ما هو ذكر الخاص بعد العام؟ ما هو ذكر العام بعد الخاص؟ ما هو الإيضاح بعد الإبهام؟ ما هو التكرار؟ ما هو الاعتراض؟ ما هو الإيغال؟ ما هو التوشيع؟ ما هو التذييل؟ ما هو التكميل؟ ما هو التتميم؟ ما هو الاحتراس؟ ما هو الفرق بين التطويل و الحشو؟ ما هي دواعي الإيجاز؟ ما هي دواعي الإطناب؟ كم قسما للتذييل؟ أيكون الإطناب بغير هذه الأنواع؟

تطبيق عام على الإيجاز و الإطناب و المساواه

درست الصرف: فيه مساواه. لأن اللفظ على قدر المعنى

وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَيَّ حُبِّهِ مَشْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا [الإنسان: ٨] فيه إطناب بالتتميم فإن على حبه فضله لزياده التحسين في المعنى
وَ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ [فاطر: ٤٣] فيه مساواه.

المرء بأدبه: فيه إيجاز قصر لتضمن العبارة القصيره معانى كثيره.

تَاللَّهِ تَفْتَنُوا تَذَكَّرْ يُوْسُفَ [يوسف: ٨٥] فيه إيجاز حذف و هو «لا» .

فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ إِضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبُحْرَ فَانْفَلَقَ: فيه إيجاز حذف جمله. أى فضرب فانفلق. ألا كل شىء ما خلا الله باطل: فيه إطناب بالاحتراس.

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى

ظمئت و أى الناس تصفو مشاربه

[الطويل]

فيه الإطناب بالتذليل. و الجملة الثانيه جاريه مجرى المثل.

جوزى المذنب بذنبه و هل يجازى إلا المذنب: فيه إطناب بالتذليل، و ليس جاريا مجرى المثل.

فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ [الأنبياء: ٩٤]: فيه إطناب بالاحتراس.

البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة: فيه إطناب بالترديد.

وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ إِتْقَانٍ: فيه إيجاز حذف مضاعف، أى ذا البر.

و اهتم للسفر القريب فإنه

أنأى من السفر البعيد و أشنع

[الكامل]

فيه إطناب بالإيغال. فإن أشنع مزيده للترتيب فى الاهتمام.

خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا [التوبة: ١٠٢] فيه إيجاز حذف أى خلطوا عملا صالحا بسيىء.

وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ: [الفجر: ٤] فيه إيجاز بحذف الياء و سبب حذفها أن الليل لما كان غير سار و إنما يسرى من فيه، نقص منه حرف، إشارة إلى ذلك جريا على عادة العرب فى مثل ذلك.

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْبَاطِلَ [الأنفال: ٨] فيه إيجاز بحذف جمله. أى فعل ذلك.

تمرين

بين الإيجاز، و الإطناب، و المساواه: و أقسام كل منها فيما يأتى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلْنَا اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ

دَائِهِ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [البقره: ١٦٤] (١).

وقال تعالى: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف: ١٩٩] (٢).

وقال تعالى: يَاخُذْ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا [الكهف: ٧٩].

أنا ابن جلا (٤) و طلاع الثنايا

متى أضع العمامه تعرفونى

[الوافر]

(فالله هو الولي) (٥) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ [فاطر: ٤] (٤).

فقلت يمين الله أبرح (٧) قاعدا

و لو قطعوا رأسى لديك و أوصالى

[الطويل]

شيخ يرى الصلوات الخمس نافله

و يستحل دم الحجاج فى الحرم (٨)

وقال تعالى: تَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ [الرعد: ٢٨].

ص: ١٩١

١- ١) . فى هذه الآيه الإطناب بتكثير الجمل. و هذا خلاف الأنواع السابقه و ذلك لأنه لما كان الخطاب مع العموم و فيهم الذكى و الغبى صرح بخلق أمهات الممكنات الظاهره ليكون دليلا على القدره الباهره، و ذلك بدل أن يقال (إن فى وقوع كل ممكن تساوى طرفاه لآيات للعقلاء).

٢- ٢) . فيه إيجاز القصر لأنه قد جمع مكارم الأخلاق.

٣- ٣) . أى سفينه سالمه.

٤- ٤) . أى أنا ابن رجل جلا المشكلات.

٥- ٥) . الشرط محذوف أى إن أرادوا وليا فالله هو الولي.

٦- ٦) . أى فاقدر اصبر.

٧- ٧) . أى لا أبرح.

علمت أن البلاغه متوقفه على مطابقه الكلام لمقتضى الحال. و رأيت فى ما تقدم من الأحكام، أن مقتضى الحال يجرى على مقتضى الظاهر.

و هذا بالطبع هو الأصل، و لكن قد يعدل عما يقتضيه الظاهر إلى خلافه مما تقتضيه الحال فى بعض مقامات الكلام، لاعتبارات يراها المتكلم. و قد تقدم كثير من ذلك العدول المسمى باخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فى الابواب السابقه.

و بقى من هذا القبيل أنواع أخرى كثيره.

الأول: الالتفات: و هو الانتقال من كل تكلم أو الخطاب، أو الغيبه إلى صاحبه، لمقتضيات و مناسبات تظهر بالتأمل فى مواقع الالتفات؛ تفننا فى الحديث، و تلوينا للخطاب، حتى لا يمل السامع من التزام حاله واحده، و تنشيطا و حملا على زياده الإصغاء، فإن لكل جديد لذه و لبعض مواقعه لطائف، ملاك إدراكها الذوق السليم.

و اعلم أن صور العدول إلى الالتفات سته.

١- عدول من التكلم إلى الخطاب: كقوله تعالى: **وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** [يس: ٢٢] أو القياس: و إليه أرجع.

٢- عدول من التكلم إلى الغيبه: كقوله تعالى: **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ** [الزمر: ٥٣].

٣- عدول من الخطاب إلى التكلم: كقوله تعالى: **وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**.

٤- عدول من الخطاب إلى الغيبه: كقوله تعالى: **رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** [آل عمران: ٩].

٥- عدول من الغيبه إلى التكلم: كقوله تعالى: **وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا** [الفرقان: ٤٨] أو القياس: و أنزل.

٦- عدول من الغيبة إلى الخطاب: كقوله تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ [البقره: ٨٣].

الثانى: تجاهل العارف، و هو سوق المعلوم مساق المجهول، بأن يجعل العارف بالشىء نفسه جاهلا به، و ذلك لأغراض:

١- كالتعجب: نحو قوله تعالى: أَفَسِحَّرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ [الطور: ١٥]

٢- و المبالغه فى المدح: نحو: وجهك البدر أم شمس.

٣- و المبالغه فى الذم: كقول الشاعر: [الوافر]

و ما أدرى و سوف إخال أدرى

أقوم آل حصن أم نساء

٤- و التوبيخ و شدة الجزع: كقول شاعر: [الطويل]

أيا شجر الخابور ما لك مورقا

كأنك لم تجزع على ابن طريف (١)

٥- و شدة الوله: كقول الشاعر: [البسيط]

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا

ليلاى منكن أم ليلى من البشر

٦- و الفخر: كقوله [الخفيف]

أينا تعرف المواقف منه

و ثبات على العدا و ثباتا

الثالث: القلب (٢): و هو جعل كل من الجزأين فى الكلام مكان صاحبه، لغرض المبالغه، نحو قول رؤبه بن العجاج: [الرجز]

و مهمه مغبره أرجاؤه

كأن لون أرضه سماؤه (٣)

١-١) . تجاهلت أخت طريف عن سبب انتفاء الجزع عن الشجر لشده التحير و التضجر.

٢-٢) . و يستدل عليه بالتأمل فى المعنى فنحو عرضت الناقه على الحوض. و أدخلت الخاتم فى أصبعى، أصله «عرضت الحوض على الناقه» لأن العرض يكون على ما له «إدراك» و أصله أدخلت أصبعى فى الخاتم «لأن الظرف هو الخاتم» و النكته أن الظاهر الإتيان بالمعروض إلى المعروض عليه، و تحريك المظروف نحو الظرف. و لما كان ما هنا بالعكس قلبوا الكلام رعايه لهذا الاعتبار، و إنما يقبل حيث يتضمن اعتبارا لطيفا.

٣-٣) . و المهمه المفازه البعيده، و أرجاؤه نواحيه.

أى: كأن لو سمائه لغبرتها لون أرضه، مبالغه فى وصف لون السماء بالغبره، حتى صار بحيث يشبه به لون الارض.

و نحو: أدخلت الخاتم فى أصبعى: و القياس: أدخلت أصبعى فى الخاتم و عرضت الناقه على الحوض.

الرابع: التعبير عن المضارع بلفظ الماضى، و عكسه.

فمن أغراض التعبير عن المضارع بلفظ الماضى.

أ-التنبيه على تحقق وقوعه: نحو أَتَى [□]أَمْرُ اللَّهِ [النحل: ١]أى: يأتى.

ب-أو قرب الوقوع: نحو: قد قامت الصلاة، أى قرب القيام لها.

ج-و التفاؤل: نحو: إن شفاك الله تذهب معى.

د-و التعريض: نحول قوله تعالى: لئن أشركت ليحبطن عملك [الزمر: ٦٥]. فيه تعريض للمشركين بأنهم قد حبطت أعمالهم.

و من أغراض التعبير عن الماضى بلفظ المضارع.

أ-حكايه الحاله الماضيه باستحضار الصوره الغريبه فى الخيال (١). كقوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا [فاطر: ٩]بدل فآثارت.

ب-و إفاده الاستمرار فيما مضى: كقوله تعالى: لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ [الحجرات: ٤٧] أى: لو استمر على إطاعتكم لهلكتم.

الخامس: التعبير عن المستقبل بلفظ اسم الفاعل. نحو قوله تعالى: إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ [الذاريات: ٦]. أو بلفظ اسم المفعول: نحو قوله تعالى: ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ [هود: ١٠٣].

و ذلك: لأن الوصفين المذكورين حقيقه فى الحال، مجاز فيما سواه.

السادس: يوضع المضمرة موضع المظهر، خلافا لمقتضى الظاهر، ليتمكن ما بعده فى ذهن السامع، نحو: هو الله عادل.

ص: ١٩٤

١- (١). يوضع المضارع موضع الماضى لإيهام المشاهده بإحضار صوره الشئ فى ذهن السامع بصيغه الحاضر.

و يوضع المظهر موضع المضمرة لزياده التمكين، نحو: خير الناس من نفع الناس أو لإلقاء المهابه فى نفس السامع، كقول الخليفه: أمير المؤمنين يأمر بكذا أى: أنا آمر. أو للاستعطاف: نحو: أياذن لى مولاي أن أتكلم أى: أتأذن.

السابع: التغليب: و هو ترجيح أحد الشئين على الآخر فى إطلاق لفظه عليه (1) و ذلك:

١- كتغليب المذكر على المؤنث، فى قوله تعالى: [□]وَ كَانَتْ مِنْ أَلْقَانِيتَيْنِ [التحریم: ١٢] و قياسه القانتات. و نحو: الأبوين للأب و الأم و القمرين: للشمس و القمر.

٢- و كتغليب الأخف على غيره، نحو الحسنين، فى الحسن و الحسين.

٣- و كتغليب الأ-كثر على الأقل، كقوله تعالى: لَنُخْرِجَنَّكَ [□]يَا شُعَيْبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مَلَّتِنَا [الأعراف: ٨٨]. أدخل (شعيب) فى العود إلى ملتهم، مع أنه لم يكن فيها قط، ثم خرج منها و عاد، تغليبا للأكثر.

ط- و كتغليب العاقل على غيره، كقوله تعالى: [□]الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الفاتحه: ٢].

و صلى الله على سيدنا محمد و على آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

تم علم المعانى، و يليه علم البيان، و الله المستعان أولا و آخرا.

ص: ١٩٥

١- ١). التغليب: هو إطلاق لفظ أحد الصاحبين على الآخر ترجيحا له عليه. و التغليب كثير فى كلام العرب. و الله سبحانه و تعالى أعلم.

١-البيان (١): لغه الكشف، و الإيضاح، و الظهور (٢).

و اصطلاحا: أصول و قواعد يعرف (٣)بها إيراد المعنى الواحد، بطرق يختلف بعضها عن بعض، فى وضوح الدلاله العقليه على نفس ذلك المعنى.

ص: ١٩٧

١- ١) . هو اسم لكل شىء كشف لك بيان المعنى، و هتك لك الحجب، دون الضمير، حتى يفضى السامع إلى حقيقه، و يهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان. و من أى جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر و الغايه التى يجرى إليها القائل و السامع، إنما هو الفهم و الإفهام. فبأى شىء بلغت الأفهام، و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع. و اعلم أن المعبر فى علم البيان دقه المعانى المعبره فيها من الاستعارات و الكنايات مع وضوح الألفاظ الداله عليها. فالبيان هو المنطق الفصيح، المعرب عما فى الضمير.

٢- ٢) . فإذا كان معنى البيان (الإيضاح) كان متعديا. و إن كان بمعنى (الظهور) كان لازما يقال: بينت الشىء: أوضحته. و بان الشىء ظهر و اتضح، و كذلك تقول أبنت الشىء و أبان الشىء، و كذلك بينت الشىء أظهرته، و بين الشىء ظهر، و كذلك تبينت الشىء و تبين الشىء و استبنت الشىء، و استبان الشىء، بمعنى واحد. و التبيان بالكسر البيان. و الكشف، و الإيضاح.

٣- ٣) . أى يعرف من حمل تلك الأصول كيف يعبر عن المعنى الواحد بعبارات بعضها أوضح من بعض. فعلم البيان: عليم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد بصور متفاوتة، و تراكيب مختلفه فى درجه الوضوح، مع مطابقه كل منها مقتضى الحال، فالمحيط بفن البيان الضليع من كلام العرب منثور و منظومه. إذا أراد التعبير عن أى معنى يدور فى خلد و يحول بضميره. استطاع أن يختار من فنون القول، و طرق الكلام ما هو أقرب لمقصده. و ألقى بغرضه، بطريقه تبين ما فى نفس المتكلم من المقاصد و توصل الأثر الذى يريد به إلى نفس السامع فى المقام المناسب له، فينال الكاتب و الشاعر، و الخطيب، من نفس مخاطبيه إذا جود قوله، و سحرهم ببديع بيانه. و لا بد فى علم البيان من اعتبار [المطابقه المقتضى الحال]المعبره فى علم المعانى فمترله [المعانى]من [البيان] مترله الفصاحه من البلاغه.

فالمعنى الواحد: يستطاع أداءه بأساليب مختلفه، فى وضوح الدلاله عليه. فإنك: تقرأ فى بيان فضل العلم مثلا- قول الشاعر:
[الكامل]

١- العلم ينهض بالخسيس إلى العلى

و الجهل يقعد بالفتى المنسوب

ثم تقرأ فى المعنى نفسه، كلام الإمام على عليه السلام.

٢- العلم نهر و الحكمة بحر. و العلماء حول النهر يطوفون. و الحكماء وسط البحر يغوصون. و العارفون فى سفن النجاه يسرون.

فتجد: أن بعض هذه التراكيب أوضح من بعض، كما تراه يضع أمام عينيك مشهدا حسيا، يقرب إلى فهمك ما يريد الكلام عنه من فضل العلم.

فهو: يشبهه بنهر، و يشبه الحكمة ببحر.

و يصور لك أشخاصا طائفين حول ذلك النهر هم العلماء.

و يصور لك أشخاصا غائسين وسط ذلك البحر هم الحكماء.

و يصور لك أشخاصا راكبين سفنا ماخره فى ذلك البحر للنجاه من مخاطر هذا العالم هم أرباب المعرفة.

و لا شك: أن هذا المشهد البديع: يستوقف نظرك، و يستثير إعجابك من شدّة الرّوعه و الجمال المستمدّه من التشبيه، بفضل البيان الذى هو سر البلاغه.

ب- و موضوع هذا العلم: الالفاظ العربيه، من حيث: التشبيه، و المجاز، و الكنايه.

ج- و واضعه: أبو عبيده الذى دوّن مسائل هذا العلم فى كتابه المسمّى مجاز القرآن و ما زال ينمو شيئا فشيئا، حتى وصل إلى عبد القاهر فأحكم أساسه، و شيد بناءه، و رتب قواعده، و تبعه الجاحظ، و ابن المعتزّ و قدامه و أبو هلال العسكري.

د- و ثمرته: الوقوف على أسرار كلام العرب منثور و منظومه و معرفه ما فيه من تفاوت فى فنون الفصاحه، و تباين فى درجات البلاغه التى يصل بها إلى مرتبه إعجاز القرآن الكريم الذى حار الجنّ و الإنس فى محاكاته و عجزوا عن الإتيان بمثله.

و فى هذا الفن أبواب و مباحث.

اشاره

للتشبيه: روعه و جمال، و موقع حسن فى البلاغه، و ذلك لإخراجه الخفى إلى الجلى، و إدناؤه البعيد من القريب، يزيد المعانى رفعه و وضوحا، و يكسبها جمالا و فضلا، و يكسوها شرفا و نبلا؛ فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتد الحواشى، متشعب الأطراف، متوغر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى، غزير الجدوى.

و من أساليب البيان: أنك إذا أردت إثبات صفه لموصوف مع التوضيح، أو وجه من المبالغه، عمدت إلى شىء آخر، تكون هذه الصفه واضحه فيه، و عقدت بين الاثنين مماثله، تجعلها وسيله لتوضيح الصفه، أو المبالغه فى إثباتها؛ لهذا كان التشبيه أول طريقه تدلّ عليه الطبعه لبيان المعنى.

تعريف التشبيه و بيان أركانه الأربعة

التشبيه: لغه التمثيل، يقال: هذا شبه هذا و مثيله.

و التشبيه اصطلاحا: عقد مماثله بين أمرين، أو أكثر، قصد اشتراكهما فى صفه أو أكثر، بأداه: لغرض يقصد المتكلم.

و أركان التشبيه أربعه:

١- المشبه: هو الأمر الذى يراد إلحاقه بغيره.

هذان الركنان يسميان طرفى التشبيه

٢- المشبه به: هو الأمر الذى يلحق به المشبه.

٣- وجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين، و يكون فى المشبه به، أقوى منه فى المشبه و قد يذكر وجه الشبه فى الكلام و قد يحذف كما سيأتى توضيحه.

٤- أداة التشبيه: هى اللفظ الذى يدلّ على التشبيه، و يربط المشبه بالمشبه به، و قد تذكر الأداة فى التشبيه، نحو: كان على عليه السلام فى رعيته كالميزان فى العدل، و كان فيهم كالوالد فى الرحمه و العطف. و قد تحذف الأداة نحو: خذّه ورد فى اللطافه.

المبحث الاول فى تقسيم طرفى التشبيه إلى حسى و عقلى

إشاره

طرفا التشبيه، المشبه و المشبه به.

١- إما حسيّان (١) أى مدركان بإحدى الحواس الخمس الظاهره. نحو: أنت كالشمس فى

ص: ٢٠٠

١- ١). اعلم أن من الحسى، ما لا تدركه الحواس الخمس التى هى (البصر و السمع و الشم و الذوق و اللمس) و لكن تدرك مادته فقط و يسمى هذا التشبيه (بالخيالى) الذى ركبته المتخيله من أمور موجوده، كل واحد منها يدرك بالحسن، كقوله: [الطويل] كأن الحباب المستدير برأسها كواكب درّ فى سماء عقيق فإن كواكب در، و سماء عقيق، لا يدركها الحس، لأنها غير موجوده، و لكن يدرك مادتها التى هى الدر و العقيق، على انفراد، و المراد بالحباب ما يعلو الماء من الفقاقيع و الضمير للخمر، و منه أيضا قول الآخر: [مجزوء الكامل] و كأن محمر الشق يق إذا تصوّب أو تصعد أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد فإن الأعلام و الياقوت و الزبرجد و الرماح موجوده، لكن المشبه الذى مادته هذه ليس موجودا و لا محسوسا.

٢- و إما عقليان أى مدركان بالعقل، نحو العلم كالحياه، و نحو: الضلال عن الحق كالعمى و نحو: الجهل كالموت.

٣- و إما مختلفان، بان يكون:

أ- المشبه حسى، و المشبه به عقلى، نحو: طيب السوء كالموت.

ب- و المشبه عقلى، و المشبه به حسى، نحو العلم كالنور.

و اعلم أن العقلى (١) هو ما عدا الحسى، فيشمل المدرك ذهنا: كالرأى، و الخلق، و الحظ. و الأمل، و العلم، الذكاء، و الشجاعه.

و يشمل أيضا الوهمى، و هو ما لا وجود له، و لا لأجزائه كلها، أو بعضها فى الخارج، و لو وجد لكان مدركا بإحدى الحواس.

و يشمل الوجدانى: و هو ما يدرك بالقوى الباطنه، كالغم، و الفرح، و الشبع، و الجوع،

ص: ٢٠١

١- ١). المراد بالعقلى ما لا يدرك هو و لا مادته بإحدى الحواس الظاهره، بل إدراكه عقلا. فيدخل فيه الوهمى و هو ما لا يدرك هو و لا مادته بإحدى الحواس، و لكن لو وجد فى الخارج لكان مدركا بها، و يسمى هذا التشبيه «بالوهمى» الذى لا وجود له و لا لأجزائه كلها أو بعضها فى الخارج، و لو وجد لكان مدركا بإحدى الحواس كقوله تعالى: **طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ** و كقوله: [الطويل] **أَيَقْتَلْنِي وَ الْمَشْرِفِي مَضَاجِعِي وَ مَسْنُونَهُ زَرَقَ كَأَنِّيَابِ أَعْوَالٍ فَإِنِ أُنْيَابِ الْأَعْوَالِ لَمْ تَوْجِدْ هِيَ وَ لَا مَادَتَهَا وَ إِنَّمَا اخْتَرَعَهَا الْوَهْمُ، لَكِن لَوْ وَجَدَتْ لِأَدْرَكَتْ بِالْحَوَاسِ وَ الْمَشْرِفِي السَّيْفِ. وَ الْمَسْنُونَهُ السَّهَامِ. وَ الْأَعْوَالُ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا وَ حَوْشُ هَائِلِهِ الْمَنْظَرِ وَ لَا أَصْلَ لَهَا، وَ الْوَجْدَانِيَّاتُ كَالْجُوعِ وَ الْعَطَشِ وَ نَحْوِ الْعَطَشِ وَ نَحْوِ هُمَا مَلْحَقَهُ بِالْعَقْلِيِّ ثُمَّ التَّضَادُ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ قَدْ يَنْزِلُ مِنْزِلَةَ التَّنَاسُبِ، وَ يَجْعَلُ وَجْهَ الشَّبْهِ عَلَى وَجْهِ الطَّرَافَةِ أَوْ الِاسْتِهْزَاءِ كَمَا فِي تَشْبِيهِ شَخْصِ الْكَنْ «بِقَسِّ بْنِ سَاعِدِهِ» ، أَوْ رَجُلٍ بِخَيْلٍ «بِحَاتِمٍ» ، وَ الْفَرْقُ بَيْنَ الطَّرَافَةِ وَ الِاسْتِهْزَاءِ يَعْرِفُ بِالْقَرَائِنِ. فَإِنِ كَانَ الْغَرَضُ مَجْرَدَ الطَّرَافَةِ فَطَّرَافَةٍ، وَ إِلا فَاسْتِهْزَاءً.**

و العطش، و الرى.

فالحسيان يشتركان:

١- فى صفه مبصره كتشبيه المرأه بالنهار فى الإشراق، و الشعر بالليل فى الظلمه و السواد، كما فى قول الشاعر: [الكامل]

فرعاء تسحب من قيام شعرها

و تغيب فيه و هو ليل أسحم

فكأنها فيه نهار مشرق

و كأنه ليل عليها مظلم (١)

٢- أو فى صفه مسموعه: نحو: غرد تغريد الطيور و نحو: سجع سجع القمرى و نحو: أن أنين الثكلى، و نحو: أسمع دوىا كدوى

النحل، و كتشبيه إنقاض الرحل بصوت الفراريج فى قول الشاعر: [البيط]

كأن أصوات من إيغالهن بنا

أواخر الميس إنقاض الفراريج (٢)

و كتشبيه الأصوات الحسنه فى قراءه القرآن الكريم بالمزامير.

٣- أو فى صفه مذوقه، كتشبيه الفواكه الحلوه بالعسل

٤- أو فى صفه ملموسه: كتشبيه الجسم بالحرير فى قول ذى الرمه: [الطويل]

لها بشر مثل الحرير و منطق

رخيم الحواشى لا هراء و لا نذر (٣)

٥- أو فى صفه مشمومه، كتشبيه الريحان بالمسك، و النكهه بالعنبر.

ص: ٢٠٢

١- (١). امرأه فرعاء: كثيره الشعر. و أسحم: اسود من سحم كتعب.

٢- (٢). الميس: الرحل. و الإنقاض: قيل صوت الفراريج الضئيل، و قيل صوت الحيوان و النقض صوت الموتان كالرحل، و

الفراريج: جمع فروج و هو فرخ الدجاجة. و تقدير البيت: كأن أصوات أواخر الميس من إيغالهن بنا إنقاض الفراريج.

٣-٣) . رځيم الحواشى . مختصر الأطراف، و الهراء (بضم الهاء) المنطق الكثير و قيل المنطق الفاسد الذى لا نظام له.

المبحث الثاني في تقسيم طرفي التشبيه: باعتبار الأفراد، و التركيب

طرفا التشبيه، المشبه و المشبه به:

١- إما مفردان مطلقان نحو: ضوءه كالشمس. و خده كالورد.

أو مقيدان (١) نحو: الساعى بغير طائل كالزّاقم على الماء.

أو مختلفان نحو: ثغره كاللؤلؤ المنظوم، و نحو: العين الزرقاء كالسنان.

و إما مركبان تركيباً لم يمكن أفراد أجزائهما، بحيث يكون المركب هيئته حاصله من شيئين. أو من أشياء تلاصقت حتى اعتبرها المتكلم شيئاً واحداً، و إذا انتزع الوجه من بعضها دون بعض، اختل قصد المتكلم من التشبيه كقوله (٢): [الطويل]

كأن سهيلاً و النجوم ورائه

صفوف صلاه قام فيها إمامها

إذا قيل: كأن سهيلاً إمام، و كأن النجوم صفوف صلاه، لذهبت فائده التشبيه.

٢- أو مركبان تركيباً إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئته «المشبه به» كما ترى في قول الشاعر الآتى: حيث شبه النجوم اللامعه في كبد السماء، بدرّ منتشر على بساط أزرق.

و كأنّ أجرام السماء لوامعا

درر نثرن على بساط أزرق

إذ لو قيل: كأن النجوم درر، و كأن السماء بساط أزرق، كان التشبيه مقبولاً، لكنه قد زال منه المقصود بهيئته المشبه به.

ص: ٢٠٣

(١- ١). و تقييده بالإضافه، أو الوصف، أو المفعول، أو الحال، أو الظروف، أو بغير ذلك. و يشترط في القيد: أن يكون له تأثير في وجه الشبه. و لهذا جعل قوله تعالى: هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِيَاسٍ لَهُنَّ من باب تشبيه المفرد بالمفرد بلا قيد. و نحو التعلم في الصغر كالنقش في الحجر.

(٢- ٢). و منه قول الشاعر: [المقارب] كأن الدموع على خدها بقيهه طل على جلنار فالمشبهه مركب من الدموع و الخد، و المشبهه به مركب من الطل و الجلنار.

٣- وإما مفرد بمركب: كقول الخنساء (١): [البسيط]

أغر أبلج تأتم الهداه به

كأنه علم فى رأسه نار

٤- وإما مركب بمفرد، نحو: الماء المالح كالمسم (٢).

و اعلم: أنه متى ركب أحد الطرفين لا يكاد يكون الآخر مفردا مطلقا بل يكون مركبا. أو مفردا مقيدا، و متى كان هناك تقييد أو تركيب كان الوجه مركبا. ضروره انتزاعه من المركب، أو من القيد. و المقيد.

المبحث الثالث فى تقسيم طرفى التشبيه: باعتبار تعددهما

إشاره

المبحث الثالث فى تقسيم طرفى التشبيه: باعتبار تعددهما (٣)

ينقسم طرفا التشبيه، المشبه و المشبه به باعتبار تعددهما، أو تعدد أحدهما. إلى أربعة أقسام:

ملفوف، و مفروق، و تسويه، و جمع.

١-فالتشبيه الملفوف: هو جمع كل طرف منهما مع مثله، كجمع المشبه مع المشبه، و المشبه به مع المشبه به، بحيث يؤتى بالمشبهات معا على طريق العطف، أو غيره، ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك أو بالعكس كقوله: [مشطور البسيط]

ليل و بدر و غصن

شعر و وجه و قد

خمر و در و ورد

ريق و ثغر و خد

و كقوله: [البسيط]

تبسم و قطوب فى ندى و وعى

كالغيث و البرق تحت العارض البرد

١-١) . و كقوله: [الكامل] و حدائق لبس الشقيق نباتها كالارجوان منقطا بالعنبر

٢-٢) . و كقوله: [الكامل] لا تعجبوا من خاله فى خده كل الشقيق بنقطه سوداه فالمشبهه مركب من «الخال و الخد» و المشبهه به مفرد و هو «الشقيق»

٣-٣) . متى تعدد الطرفان معا نتج تشبيهان أو أكثر، لا تشبيه واحد.

و كقوله [الوافر]

وضوء الشهب فوق الليل باد

كأطراف الأسنه فى الدروع (١)

٢-و التشبيه المفروق: هو جمع كل مشبه مع ما شبه به، كقوله (٢): [الكامل]

النشر مسك و الوجوه دنا

نير و أطراف الأكف عنم

٣-و تشبيه التسويه: هو أن يتعدد المشبه دون المشبه به كقوله: [المجتث]

صدغ الحبيب و حالى

كلاهما كالليالى

و ثغره فى صفاء

و أدمعى كاللاكى

سمى بذلك: للتسويه فيه بين المشبهات.

٤-و التشبيه الجمع: هو أن يتعدد المشبه به دون المشبه، كقوله: [السريع]

كأنما يبسم عن لؤلؤ

منضد أو برد أو أفاح (٣)

سمى بتشبيه الجمع للجمع فيه بين ثلاث مشبهات به و كقوله: [مجزوء الكامل]

مرت بنا راد الضحى

تحكى الغزاله و الغزالا

تمرين

اذكر أحوال طرفى التشبيه فيما يأتى:

علم لا ينفع، كدواء لا ينجع، الصديق المنافق، و الابن الجاهل، كلاهما كجمر الغضاء، الحق سيف على أهل الباطل، الحميه من الأنام، كالحميه من الطعام.

ص: ٢٠٥

-
- ١-١ . أى فقد جمع ضوء الشهب و الليل امشبهين، مع أطراف الأسنه و الدروع المشبه بهما.
- ٢-٢ . و منه قوله: [الخفيف] إنما النفس كالزجاجه و العل م سراج و حكمه الله زيت فإذا أشرفت فإنك حى و إذا أظلمت فإنك ميت
- ٣-٣ . أى كأن المحبوب يبتسم عن أسنان كاللؤلؤ المنظوم، أو كالبرد أو كالأقاح فشبه الشاعر ثغر المحبوب بثلاثه أشياء اللؤلؤ (و هو الجواهر المعلوم) و البرد (و هو حب الغمام) و الأقاح جمع أقحوان بضم الهمزه و فتحها، و هو زهر نبت طيب الرائحه حوله ورق أبيض، و وسطه أصفر.

وجه الشبه: و هو الوصف الخاص (١) الذى يقصد اشتراك الطرفين فيه كالكرم فى نحو:

ص: ٢٠٦

١-١). إما «حقيقه» كالبأس فى قولك «زيد كالأسد» وإما «تخيلا» كما فى قوله: [الكامل] يا من له شعر كحظى أسود جسمى نحيل من قراقك أصفر فإن وجه الشبه فيه بين الشعر و الحظ هو السواد. و هما يشتركان فيه، لكنه يوجد فى المشبه تحقيقا. و لا يوجد فى المشبه به إلا- على سبيل التخيل لأنه ليس من ذوات الألوان: ثم اعلم أن وجه الشبه، إما داخل فى حقيقه الطرفين و ذلك كما فى تشبيه ثوب بآخر، فى جنسهما أو نوعهما أو فصلهما كقولك هذا القميص مثل ذلك فى كونهما كتانا أو قطنا، و إما خارج عن حقيقتهم و هو ما كان صفه لهما «حقيقه» و هى قد تكون حسيه كالحمره فى تشبيه الخد بالورد، و قد تكون عقليه كالشجاعه فى تشبيه الرجل بالأسد، أو «إضافيه» و هى ما ليست هيئه متقرره فى الذات، بل هى معنى متعلقا بها كالجلاء فى تشبيه البينه بالصبح. ثم إن وجه التشبيه قد يكون واحدا و قد يكون بمنزله الواحد «لكونه مركبا من متعدد» و قد يكون متعددا، و كل من ذلك قد يكون حسيا و قد يكون عقليا. «أما الواحد» فالحسى منه كالحمره فى تشبيه الخد بالورد، و العقلى كالنفع فى تشبيه العلم بالحياه. «و أما المركب» فالحسى منه قد يكون مفرد الطرفين، كما فى قوله: [الطويل] و قد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحبيه حين نورا فإن وجه الشبه فيه هو الهيئه الحاصله من التمام الحجب البيض الصغيره المستديره المرصوص بعضها فوق بعض على الشكل المعلوم. و كلا الطرفين مفرد، و هما الثريا و العنقود. و قد يكون مركب الطرفين كما فى قوله: [الكامل] و البدر فى كبد السماء كدرهم ملقى على ديباجه زرقاء فإن وجه الشبه فيه هو الهيئه الحاصله من طلوع صوره بيضاء مشرقه مستديره فى رقع زرقاء مبسوطه،

خليل كحاتم، و نحو: له سيره كالمسك، و أخلاقه كالعنبر. و اشتراك الطرفين قد يكون ادعائيا بتزليل التضاد منزله التناسب و إبراز الخسيس في صورة الشريف تهكما أو تمليحا و يظهر ذلك من المقام.

(١)

و كلا الطرفين مركب أولهما من البدر و السماء، و الثاني من الدرهم و الدياتجه. و قد يكون مختلف الطرفين كقوله: [الكامل] و حدائق لبس الشقيق نباتها كالأرجوان منقطا بالعنبر فإن وجه الشبه هو الهيئه الحاصله من انبساط رقعته حمراء قد نطقت بالسواد منشورا عليها. و المشبه مفرد و هو الشقيق. و المشبه به مركب من الأرجوان و العنبر. و كقوله: [الكامل] لا تعجبوا من خاله في خده كل الشقيق بنقطه سوداء فإن وجه الشبه فيه هو الهيئه الحاصله من طلوع نقطه سوداء مستديره في وسط رقعته حمراء مبسوطه. و المشبه مركب من الخال و الخد، و المشبه به مفرد و هو الشقيق و العقلي من المركب كما في قوله: [البسيط] المستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار فإن وجه الشبه فيه هو الهيئه الحاصله من الالتجاء من الضار إلى ما هو أضر منه طمعا في الانتفاع به، و وجه الشبه مركب من هذه المتعددات في الجميع، و الرمضاء الأرض التي أسختها حراره الشمس الشديده. و المراد. «بعمره» هنا هو جساس بن مره البكرى، يقال إنه لما رمى كليب بن ربيعه التغلبي وقف على رأسه فقال له: «يا عمرو» أغثنى بشربه ماء، فأتم قتله: و أما المتعدد، فالحسى منه كما في قوله: [المجتث] مهفهف و جنتاه كالخمر لونا و طعما و العقلي كالنفع و الضرر في قوله: [الكامل] طلق شديد الباس راحته كالبحر فيه النفع و الضرر فإن وجه الشبه فيهما متعدد و هو اللون و الطعم في الأول، و النفع و الضرر في الثاني. و قد يجيء المتعدد مختلفا كما في قوله: [الرجز] هذا أبو الهيجاء في الهيجاء كالسيف في الروتق و المضاء فإن وجه الشبه فيه هو الروتق و هو حسى، و المضاء و هو عقلي و أبو الهيجاء لقب عبد الله بن حمدان العدوى. و اعلم أن الحسى لا يكون طرفاه إلا حسيين، و أما العقلي: فلا يلزمه كونها عقليين، لأن الحسى يدرك بالفعل، خلافا لعقلي فإنه لا يدرك بالحس.

ص: ٢٠٧

و ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى:

١- تشبيه تمثيل: و هو ما كان وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من متعدد: حسيا كان أو غير حسى، كقوله: [الطويل]

و ما المرء إلا كالشهاب وضوئه

يوافى تمام الشهر ثم يغيب

فوجه الشبه سرعه الفناء انتزعه الشاعر من أحوال القمر المتعدده إذ يبدو هلالا، فيصير بدرا، ثم ينقص، حتى يدركه المحاق. و يسمى تشبيه التمثيل.

٢- تشبيه غير تمثيل: و هو ما لم يكن وجه الشبه فيه صوره منتزعه من متعدد، نحو: وجهه كالبدن، و مثل قول الشاعر: [الكامل]

لا تطلبنَّ بآله لك رتبه

قلم البليغ بغير حظ مغزل

فوجه الشبه قله الفائده، و ليس منتزعا من متعدد.

٣- مفصل: و هو ما ذكر فيه وجه الشبه، أو ملزومه، نحو: طبع فريد كالنسيم رقه، و يده كالبحر جودا، و كلامه كالدر حسنا، و ألفاظه كالعسل حلاوه، و مثل قول ابن الرومى: [مجزوء الكامل]

شبيه البدر حسنا و ضياء و منالا

و شبيه الغصن لينا و قواما و اعتدالا

٤- مجمل: و هو ما لا يذكر فيه وجه الشبه، و لا ما يستلزمه، نحو: النحو فى الكلام كالملح فى الطعام. فوجه الشبه هو الإصلاح فى كل، و مثل قوله: [مجزوء الرمل]

إنما الدنيا كبيت

نسجه من عنكبوت

و اعلم أن وجه الشبه المجمل: إما أن يكون خفيا و إما أن يكون ظاهرا و منه ما وصف فيه احد الطرفين أو كلاهما بوصف يشعر بوجه الشبه، و منه ما ليس كذلك.

٥- قريب مبتذل: و هو ما كان ظاهر الوجه ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به، من غير احتياج إلى شدة نظر و تأمل، لظهور وجهه بادية الرأى. و ذلك لكون وجهه لا تفصيل فيه: كتشبيه الخد بالورد فى الحمره، أو لكون وجهه قليل التفصيل،

كتشيه الوجه

ص: ٢٠٨

بالدر، فى الإشراق أو الاستداره، أو العيون بالترجس.

و قد يتصرف فى القريب بما يخرجه عن ابتذاله إلى الغرابه، كقول الشاعر: [الكامل]

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا

إلا بوجه ليس فيه حياء

فإن تشبيه الوجه الحسن، بالشمس: مبتذل، و لكن حديث الحياء أخرجه إلى الغرابه.

و قد يخرج وجه الشبه من الابتذال إلى الغرابه و ذلك:

بالجمع بين عده تشبيهات كقول الشاعر: [السريع]

كأنما يبسم عن لؤلؤ

منضد، أو برد أو أقاح

أو باستعمال شرط، كقوله: [الكامل]

عزماته مثل النجوم ثواقبا

لو لم يكن للثاقبات أفول

٦-و بعيد غريب: و هو ما احتاج فى الانتقال من المشبه إلى المشبه به، إلى فكر و تدقيق نظر، لخفاء وجهه بادية الرأى كقوله:

[الكامل]

و الشمس كالمرآه فى كف الأشل

فإن الوجه فيه: هو الهيئه الحاصله من الاستداره مع الإشراق، و الحركه السريعه المتصله مع تموج الإشراق، حتى ترى الشعاع كأنه

يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائره؛ ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض.

و حكم وجه الشبه. أن يكون فى المشبه به أقوى منه فى المشبه و إلا فلا فائده فى التشبيه.

تمرین

بین أركان التشبيه و أقسام كل منها فيما يلي:

١- مكلف الأيام ضدّ طباعها

متطلب في الماء جدوه نار

[الكامل]

٢- الدهر يقرعني طورا و أقرعه

كأنه جبل يهوى إلى جبل

[البسيط]

٣- فأن أغش قوما بعده أو أزورهم

فكالوحش يديها من الأنس المحل (١)

[الطويل]

٤- قال على عليه السلام: «مثل الذي يعلم الخير و لا يعمل به مثل السراج يضيء للناس و يحرق نفسه».

٥- قال صاحب كليله و دمنه: الدنيا كالماء الملح، كلما ازددت منه شربا ازددت عطشا.

٦- افتراه في ظلم الوغى فتخاله

قمرا يكر على الرجال بكوكب (٢)

[الكامل]

٧- كأن الثريا في أواخر ليلها

تفتح نور أو لجام مفضض

[الطويل]

٨- صحو و غيم و ضياء و ظلم

مثل سرور شابه عارض غم

[الرجز]

ص: ٢١٠

-
- ١-١) . الأانس محركه: من تانس به جمعه اناس و لغه فى الإنس بالكسر، و المحل الجذب.
٢-٢) . الكوكب هنا السيف.

تشبيه التمثيل: أبلغ من غيره، لما فى وجهه من التفصيل الذى يحتاج إلى إمعان فكر، و تدقيق نظر، و هو أعظم أثرا فى المعانى: يرفع قدرها، و يضاعف قواها فى تحريك النفوس لها، فإن كان مدحا كان أوقع، أو ذما كان أوجع، أو برهانا كان أسطع، و من ثم يحتاج إلى كد الذهن فى فهمه، لاستخراج الصوره المنتزعه من أمور متعدده، حسيه كانت أو غير حسيه لتكون وجه الشبه كقول الشاعر: [البسيط]

و لاحت الشمس تحكى عند مطلعها

مرآه تبر بدت فى كف مرتعش

فمثل الشمس حين تطلع حمراء لامعه مضطربه، بمرآه من ذهب تضطرب فى كف ترتعش.

و تشبيه التمثيل نوعان:

الأول: ما كان ظاهر الأداة: نحو: مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا [الجمعه: ٥] فالمشبه: هم الذين حملوا التوراه و لم يعقلوا ما بها: و المشبه به الحمار الذى يحمل الكتب النافعه، دون استفادته منها، و الأداة الكاف، و وجه الشبه: الهيئه الحاصله من التعب فى حمل النافع دون فائده.

الثانى: ما كان خفى الأداة: كقولك للذى يتردد فى الشىء بين أن يفعله و ألا- يفعله: أراك تقدم رجلا- و تؤخر أخرى، إذ الأصل: أراك فى ترددك مثل من يقدم رجلا مره، ثم يؤخرها مره أخرى. فالأداة محذوفه، و وجه الشبه هيئه الإقدام و الإحجام المصحوبين بالشك.

مواقع تشبيه التمثيل

لتشبيه التمثيل موقعان:

١- أن يكون في مفتح الكلام، فيكون قياسا موضحا، و برهانا مصاحبا، و هو كثير جدا في القرآن، نحو: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ [البقره: ٢٦١].

٢- ما يجيء بعد تمام المعانى، لإيضاحها و تقريرها، فيشبه البرهان الذى تثبت به الدعوى، نحو: [البسيط]

لا ينزل المجد إلا فى منازلنا

كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

تأثير تشبيه التمثيل فى النفس

إذا وقع التمثيل فى صدر القول: بعث المعنى إلى النفس بوضوح و جلاء مؤيد بالبرهان، ليقنع السامع، و إذا أتى بعد استيفاء المعانى كان:

١- إما دليلا على إمكانها، كقول المتنبي: [الوافر]

و ما أنا منهم بالعيش فيهم

و لكن معدن الذهب الرغام (١)

٢- إما تأييدا للمعنى الثابت نحو: [البسيط]

ترجو النجاه و لم تسلك مسالكها

إن السفينه لا تجرى على اليبس

و عله هذا: أن النفس تأنس إذا أخرجتها من خفى إلى جلى؛ و مما تجهله إلى ما هى به أعلم. و لذا تجد النفس من الأريحيه ما لا تقدر قدره، إذا سمعت قول أبى تمام: [الطويل]

و طول مقام المرء فى الحى مخلق

لدياجتيه فاغترب تتجدد

فأنى رأيت الشمس زيدت محبته

-
- ١ - ١) . لما ادعى أنه ليس منهم مع إقامته بينهم، و كان ذلك يكاد يكون مستحيلا في مجرى العاده، ضرب لذلك المثل بالذهب فإن مقامه في التراب، و هو أشرف منه.
- ٢ - ٢) . الديباجتان الخدان، و السرمد الدائم.

المبحث السادس في أدوات التشبيه (١)

أدوات التشبيه: هي ألفاظ تدل على المماثلة، كالکاف، و كأن، و مثل، و شبه، و غيرها مما يؤدي معنى التشبيه: كیحكى، و يضاہى و يضارع، و يماثل و يساوى، و يشابه، و كذا أسماء فاعلها. فأدوات التشبيه بعضها: اسم، و بعضها: فعل، و بعضها: حرف. و هي إما ملفوظة، و إما ملحوظة، نحو جماله كالبدن، و أخلاقه فى الرقه كالنسيم، و نحو اندفع الجيش اندفاع السيل، أى كاندفاعه.

الأصل فى الكاف، و مثل، و شبه، من الأسماء المضافه لما بعدها أن يليها المشبه به لفظا (٢) أو تقديرا.

نحو: قوله تعالى: حُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ [الواقعه: ٢٢]. و نحو: قوله تعالى: وَ لَهُ الْجَوَارِ الْمُشْآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ [الرحمن: ٢٤] و كقول الشاعر: [الكامل]

و الوجه مثل الصبح مبيض

و الفرع مثل الليل مسودّ

ضدان لما استجمعا حسنا

و الضدّ يظهر حسنه الضدّ

و الأصل فى كأن، و شابه، و مائل، و ما يرادفها، أن يليه المشبه، مثل قوله: [الطويل]

كأن الثريا راحه تشير الدجى

لتنظر طال الليل أم قد تعرضا

ص: ٢١٣

١ - ١). (التشبيه) يفيد التفاوت، و أما (التشابه) يفيد التساوى بلفظ تشابه. و تماثل و تشاكل، و تساوى، و تضارع، و كذا بقولك: كلاهما سواء، لا بما كان له فاعل و مفعول به: مثل شابه. و ساوى، فإن فى هذا إلحاق الناقص بالزائد.

٢ - ٢). و قد يليها غير المشبه به إذا كان التشبه مركبا، أى هيئه منتزعه من متعدد و ذكر بعد الكاف بعض ما تنتزع منه تلك الهيئه كقوله تعالى: وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاهِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ فإن المراد تشبيه حال الدنيا فى حسن نضارتها و بهجه روائها فى المبدأ. و ذهاب حسنها و تلاشى رونقها شيئا فشيئا فى الغايه، بحال النبات الذى يحسن من الماء فترهو خضرته. ثم يبس شيئا فشيئا، ثم يتحطم فتطيره الرياح، فيصير كأن لم يكن شيئا

مذكوراً، بجامع الهيئة الحاصلة في كل من حسن و إعجاب و منفعة، يعقبها التلف و العدم.

و كأنّ: تفيد التشبيه: إذا كان خبرها جامدا، نحو: كأن البحر مرآه صافيه.

و تفيد الشك: إذا كان خبرها مشتقا، نحو: كأنك فاهم، و مثل قوله: [الطويل]

كأنك من كل النفوس مركب

فأنت إلى كل النفوس جيب

و قد يغنى عن أداة التشبيه فعل يدل على حال التشبيه، و لا يعتبر أداة.

فإن كان الفعل لليقين، أفاد قرب المشابهة، لما في فعل اليقين من الدلالة على تيقن الاتحاد و تحقيقه، و هذا يفيد التشبيه مبالغه، نحو: فلما رأوه عارضا مستقبلا أوديتهم قالوا هذا عارضٌ ممطرنا [الأحقاف: ٢٤]. و نحو: رأيت الدنيا سرابا عذرا.

و إن كان الفعل للشك أفاد بعدها: لما في فعل الرجحان من الإشعار بعدم التحقق، و هذا يفيد التشبيه ضعفا، (١) كقوله تعالى: إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا [الإنسان: ١٩] و نحو: [الكامل]

قوم إذا لبسوا الدروع حسبتهما

سحبا مزرده على أقمار

المبحث السابع في تقسيم التشبيه باعتبار أدواته

ينقسم التشبيه باعتبار أدواته إلى:

أ- التشبيه المرسل (٢): و هو ما ذكرت فيه الأداة، كقول الشاعر: [مجزوء الرمل]

إنما الدنيا كبيت

نسجه من عنكبوت

ب- التشبيه المؤكد: و هو ما حذف منه أدواته، نحو: يسجع سجع القمريّ و كقول الشاعر: [الخفيف]

و أنت نجم في رفعه و ضياء

تجتليك العيون شرقا و غربا

ص: ٢١٤

٢-٢) . وسمى مراسلا: لإرساله عن التأكيد.

و من المؤكد: ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، كقول الشاعر: [الكامل]

و الرّيح تعبت بالغصون و قد جرى

ذهب الأصيل على (١) لجين الماء

أى أصيل كالذهب على ماء كاللجين.

و المؤكد أوجز، و أبلغ، و أشد وقعاً في النفس. أما أنه أوجز فلحذف أدواته، و أما أنه أبلغ فلإيهامه أن المشبه عين المشبه به.

ج-و التشبيه البليغ: هو ما حذف فيه أداة التشبيه، و وجه الشبه (٢)، نحو: [الكامل]

فاقضوا ما أربكم عجالاً إنما

أعماركم سفر من الأسفار

و نحو: [الكامل]

عزما تهم قضب و فيض أكفهم

سحب و بيض وجوههم أقمار

و التشبيه البليغ: ما بلغ درجة القبول لحسنه. أو الطيب الحسن فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر كان ذلك أفعال في النفس و أدعى إلى تأثرها و اهتزازها، لما هو مركز في الطبع، من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، و الاشتياق إليه، و معاناه الحنين نحوه كان نيله أحلى، و موقعه في النفس أجل و أطف، و كانت به أضن و أشغف، و ما أشبه هذا الضرب من المعاني، بالجواهر في الصدف، لا يبرز إلا أن تشقه و بالحبيب المتحجب لا يريك وجهه، حتى تستأذن.

و سبب هذه التسمية: أن ذكر الطرفين فقط، يوهم اتحادهما، و عدم تفاضلها، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، و هذه هي المبالغة في قوة التشبيه.

ص: ٢١٥

١-١). الأصيل الوقت بين العصر إلى المغرب، و اللجين الفضة.

٢-٢). و من التشبيه البليغ أن يكون المشبه به مصدراً مبيناً للنوع نحو: أقدم الجندي إقدام الأسد، و راغ المدين روغان الثعلب، و منه أيضاً إضافه المشبه به للمشبه نحو لبس فلان ثوب العافية، و منه أيضاً أن يكون المشبه به حالاً نحو: حمل القائد على أعدائه أسداً.

الغرض من التشبيه و الفائدة منه هى الإيضاح و البيان فى التشبيه غير المقلوب و يرجع ذلك الغرض إلى المشبه و هو إما:

١- بيان حاله: و ذلك حينما يكون المشبه مبهما غير معروف الصفه، التى يراد إثباتها له قبل التشبه، فيفيدة التشبيه الوصف، و يوضحه المشبه به، نحو شجر النارج كشجر البرتقال و مثل قول الشاعر: [الوافر]

إذا قامت لحاجتها تثنت

كأن عظامها من خيزران

شبه عظامها بالخيزران بيانا لما فيها من اللين (١)

٢- أو بيان إمكان حاله: و ذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له، معروف واضح مسلم به، ليثبت فى ذهن السامع و يقرر مثل قوله: [الكامل]

و يلاه إن نظرت و إن هى أعرضت

وقع السهام و نزعهن أليم

شبه نظرها: بوقع السهام، و شبه إعراضها بنزعها: بيانا لإمكان إيلاهما بهما جميعا.

٣- أو بيان مقدار حال المشبه فى القوه و الضعف و ذلك إذا كان المشبه معلوما معروف الصفه التى يراد إثباتها له معرفه إجماليه قبل التشبيه بحيث يراد من ذلك التشبيه بيان مقدار نصيب المشبه من هذه الصفه و ذلك بأن يعمد المتكلم لأن يبين للسامع ما يعنيه من هذا المقدار مثل قوله: [البيسط]

كأن مشيتها من بيت جارتها

مر السحابه لا ريث و لا عجل

و كتشبيه: الماء بالتلج، فى شده البروده. و مثل قوله: [الكامل]

فيها اثنتان و أربعون حلوبه

سودا كخافيه الغراب الأسحم

١-١). و التشبيه لهذا الغرض يكثر فى العلوم و الفنون لمجرد البيان و الإيضاح، فلا يكون فيه حينئذ أثر للبلاغه لخلوه من الخيال و عدم احتياجه إلى التفكير، و لكنه لا- يخلو من ميزه الاختصار فى البيان و تقريب الحقيقه إلى الأذهان، كقولهم: الأرض كالكره.

شبه النياق السود، بخافيه الغراب، بيانا لمقدار سوادها، فالسواد صفه مشتركه بين الطرفين.

٤- أو تقرير حال المشبه، و تمكينه في ذهن السامع، بإبرازها فيما هي فيه أظهر (١) كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت و الإيضاح فتأتى بمشبهه به حسى قريب التصور، يزيد معنى المشبه إيضاحا لما فى المشبه به من قوه الظهور و التمام، نحو: هل دوله الحسن إلا كدوله الزهر، و هل عمر الصبا إلا أصيل أو سحر، و مثل قوله: [الكامل]

إن القلوب إذا تنافر ودها

مثل الزجاجه كسرهما لا يجبر (٢)

شبه تنافر القلوب، بكسر الزجاجه، تثبيتا لتعذر عوده القلوب إلى ما كانت عليه من الأنس و الموده.

٥- أو بيان إمكان وجود المشبه، بحيث يبدو غريبا يستبعد حدوثه و المشبه به يزيل غرابته، و يبين أنه ممكن الحصول، مثل قوله: [الوافر]

فإن تفق الأنام و أنت منهم

فإن المسك بعض دم الغزال (٣)

٦- أو مدحه و تحسين حاله، ترغيبا فيه، أو تعظيما له، بتصويره بصوره تهيج فى النفس قوى الاستحسان، بأن يعمد المتكلم إلى ذكر مشبه به معجب، قد استقر فى النفس حسنه و

ص: ٢١٧

١- ١) . و يكثر فى تشبيه الأمور المعنويه بأخرى ما تدرك بالحس: نحو التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر.
٢- ٢) . تنافر القلوب و توادها من الأمور المعنويه، و لكن الشاعر نظر إلى ما فى المشبه به من قوه الظهور و التمام. فانتقل بالسامع من تنافر القلوب الذى لا ينتهى اذا وقع، الى كسر الزجاجه الذى لا يجير اذا حصل، فصور لك الامر المعنوى بصوره حسيه.
٣- ٣) . أى أنه لا استغراب فى علوك على الأنام مع أنك واحد منهم، لأن لك نظيرا و هو (المسك) فإنه بعض دم الغزال و قد فاق على سائر الدماء، ففيه تشبيه حال الممدوح بحال المسك تشبيها ضمنيا، و التشبيه الضمنى هو تشبيها لا يوضع فيه المشبه و المشبه به فى صورته من صور التشبيه المعروفه، بل بلمحان فى التركيب لإفاده أن الحكم الذى أسند إلى الشبه ممكن. نحو: المؤمن مرآه المؤمن.

حَبّه فيصوّر المشبه بصورته، كقوله: [الطويل]

و زاد بك الحسن البديع نضاره

كأنك في وجه الملاحه خال

و نحو: [الطويل]

كأنك شمس و الملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

٧- أو تشويه المشبه و تقييحه، تنفيرا منه أو تحقيرا له، بأن تصوّره بصورة تمجها النفس، و يشمئز منها الطبع، كقوله: [الكامل]

و إذا أشار محدّثا فكأنه

قرد يقهقه أو عجوز تلطم

و قوله: [الكامل]

و ترى أناملها دبت على مزارها

كخنافس دبت على أوتار

٨- أو استطرافه: أي عدّه طريفا حديثا، بحيث يجيء المشبه به طريفا، غير مألوف للذهن.

إما لإبرازه في صورة الممتنع عادة، كما في تشبيه فحم فيه جمر متقد ببحر من المسك موجه الذهب و قوله: [مجزوء الكامل]

و كأن مخمّر السّقيق

إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر

ن على رماح من زبرجد

و إما لندور حضور المشبه به في الذهن عند حضور المشبه، كقوله: [الكامل]

أنظر إليه كزورق من فضّه

١-١). الحمولة ما يحمل فيه و يوضع و المقصد من التشبيه وجود شىء اسود داخل أبيض و اعلم أن التشبيه اذا يعود فيه الغرض إلى المشبه يكون وجه شبهه أتم و أعرف في المشبه به، منه في المشبه، و عليه جرى أبو العلاء المعرى فى قوله: ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك. و قاعده التشبيه نقصان ما يحكى، و شراح التلخيص اشترطوا الأ-عرفيه و لم يشترطوا الأ-تميه. و فى المطول و الأطول ما يلفت النظر، فارجع إليهما.

تشبيه على غير طرقة الأصلية التشبيه الضمني

هو تشبيه لا- يوضع فيه المشبه و المشبّه به، في صورته من صور التشبيه المعروفه، بل يلمح المشبه و المشبه به، و يفهمان من المعنى، و يكون المشبه به دائما برهانا على إمكان ما أسند إلى المشبه، كقول المتنبي: [الخفيف]

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح بميت إيلام

أى: إن الذى اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمله، و لا يتألم له، و ليس هذا الادعاء باطلا، لأن الميت إذا جرح لا يتألم.

و فى ذلك تلميح بالتشبيه فى غير صراحه، و ليس على صورته من صور التشبيه المعروفه، بل إنه تشابه يقتضى التساوى، الأداة، و أما التشبيه فيقتضى التفاوت.

التشبيه المقلوب

قد يعكس التشبيه، فيجعل المشبه مشبها به و بالعكس (1) فتعود فائدته إلى المشبه به،

ص: ٢١٩

١-١). التشبيه المقلوب: و يسمى المنعكس، هو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به، و ذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص و يلحق الأصل بالفرع للمبالغه، و هذا النوع جار على خلاف العاده فى التشبيه، و وارد على سبيل الندور. و إنما يحسن فى عكس المعنى المتعارف كقول البحترى: فى طلعه البدر شىء من محاسنها و للقضيب نصيب من تثنيتها و المتعارف تشبيه الوجوه الحسنه بالبدور. و المقامات بالقضيب فى الاستقامه و التثنى لكنه عكس ذلك مبالغه، هذا إذا أريد إلحاق كامل بناقص فى وجه الشبه. فإن تساويا حسن العدول عن (التشبيه) إلى الحكم

لادعاء أن المشبه أتمّ و أظهر من المشبه به في وجه الشبه.

و يسمى ذلك بالتشبيه المقلوب (١) أو المعكوس نحو: كأن ضوء النهار جبينه، و نحو: كأن نشر الروض حسن سيرته، و نحو: كأن الماء في الصفاء طباعه و كقول محمد بن وهيب الحميري (٢) [الكامل]

و بدا الصّباح كأن غرّته

وجه الخليفة حين يمتدح

شبه غرّه الصّباح، بوجه الخليفة، إيهاما أنه أتمّ منها في وجه الشبه و هذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتنان و الإبداع، كقوله تعالى حكاية عن الكفار: **إِنَّمَا أَلْبِيعُ مِثْلُ الرَّبِّ** [البقره: ٢٧٥] في مقام أن الربّ مثل البيع عكسوا ذلك لإيهام أن الربا عندهم أحل من البيع، لأن الغرض الربح و هو أثبت وجودا في الربا منه في البيع، فيكون أحقّ بالحل عندهم.

(١)

(بالتشابه) تباعدا و احترازا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر، كقول أبي إسحاق الصابى. تشابه دمعى إذ جرى و مدامتى فمن مثل ما فى الكأس عيني تسكب فو الله ما أدري أبالخمر أسبلت جفونى أم من عبرتى كنت أشرب و كقول الصاحب بن عباد: رق الزجاج و راق الخمر فتشابهها و تشاكل الأمر فكأنما خمر و لا قدح و كأنما قدح و لا خمر

ص: ٢٢٠

١-١). يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبي في كتاب حسن التوسل و سماه «تشبيه التفضيل» و هو أن يشبه شيء بشيء لفظا أو تقديرا ثم يعدل عن التشبيه لادعاء أن المشبه به، كقوله: حسبت جمالها بدرا منيرا و أين البدر من ذلك الجمال
٢-٢). فالبحترى أراد أن يوهم أن وجه الخليفة أتمّ من غره الصّباح إشراقا و نورا.

إشاره

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض: إلى حسن مقبول، و إلى قبيح مردود

١-فالحسن المقبول: هو ما و فى بالأغراض السابقه، كأن يكون المشبه به أعرف من المشبه فى وجه الشبه، إذا كان الغرض بيان حال المشبه، أو بيان المقدار، أو أن يكون أتم شىء فى وجه الشبه، إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل، أو أن يكون فى بيان الإمكان مسلم الحكم، و معروفًا عند المخاطب، إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود، و هذا هو الأكثر فى التشبيهات، إذ هى جاريه على الرشاقيه، ساريه على الدقه و المبالغه ثم إذا تساوى الطرفان فى وجه الشبه عند بيان المقدار كان التشبيه كاملاً فى القبول، و إلا فكلما كان المشبه به أقرب فى المقدار إلى المشبه كان التشبيه أقرب إلى الكمال و القبول.

٢-و القبيح المردود: هو ما لم يف بالغرض المطلوب منه، لعدم وجود وجه بين المشبه و المشبه به، أو مع وجوده لكنه بعيد.

تنبيهات

الأول: بعض أساليب التشبيه أقوى من بعض فى المبالغه، و وضوح الدلاله و لها مراتب ثلاثه:

أ-أعلاها و أبلغها: ما حذف فيها الوجه و الأداه، نحو: على أسد، و ذلك أنك ادعيت الاتحاد بينهما بحذف الأداه-و ادعيت التشابه بينهما فى كل شىء بحذف الوجه و لذا سمى هذا تشبيهاً بليغاً.

ب-المتوسطه: ما تحذف فيها الأداه وحدها، كما تقول على أسد شجاعه أو يحذف فيها

وجه الشبه، فتقول على كالأسد. و بيان ذلك: أنك بذكرك الوجه حصرت التشابه. فلم تدع للخيال مجالاً في الظن بأن التشابه في كثير من الصفات كما أنك بذكر الأداة نصصت على وجود التفاوت بين المشبه و المشبه به. و لم تترك باباً للمبالغة.

ج-أقلها: ما ذكر فيها الوجه و الأداة، و حينئذ فقدت المزييتين السابقتين

الثاني: قد يكون الغرض من التشبيه حسناً جميلاً، و ذلك هو النمط الذي تسمو إليه نفوس البلغاء، و قد أتوا فيه بكل حسن بديع، كقول ابن نباته في وصف فرس أعر محجل: [الكامل]

و كأنما لطم الصباح جبينه

فاقتص منه فخاض في أحشائه

و قد لا يوفق المتكلم إلى وجه الشبه، أو يصل إليه مع بعد، و ما أخلق مثل هذا النوع بالاستكراه و أحقه بالذم. لما فيه من القبح و الشناعة بحيث ينفر منه الطبع السليم.

الثالث: علم مما سبق أن أقسام التشبيه من حيث الوجه و الأداة كالاتي:

١-التشبيه المرسل: هو ما ذكرت فيه الأداة.

٢-التشبيه المؤكد: هو ما حذف منه الأداة.

٣-التشبيه المجمل: هو ما حذف منه وجه الشبه.

٤-التشبيه المفصل: هو ما ذكر فيه وجه الشبه.

٥-التشبيه البليغ: هو ما حذف منه الأداة. و وجه الشبه (١) و هو أرقى أنواع التشبيه بلاغه، و قد تقدم الكلام عليه مستوفى.

٦-التشبيه الضمني: هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه؛ و المشبه به؛ في صورته من صور التشبيه المعروفة، بل يلمح المشبه، و المشبه به، و يفهمان من المعنى، نحو:

علا فما يستقر المال في يده

و كيف تمسك ماء قنه الجبل

ص: ٢٢٢

فالمشبه الممدوح هو ضمير (علا) و المشبه به (قنه الجبل) و المشبه الثانى هو (المال) و المشبه به الثانى هو (الماء) و وجه الشبه، عدم الاستقرار، و الأداة محذوفه أيضا.

و هذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذى أسند إلى المشبه ممكن (1).

أسئلة تطلب أجوبتها

ما هو علم البيان لغة و اصطلاحا؟ ما هو التشبيه؟ ما أركان التشبيه؟ طرفا التشبيه حسيان أم عقليان؟ ما المراد بالحسى؟ ما هو التشبيه الخيالى؟ ما المراد بالعقلى؟ ما هو التشبيه الوهمى؟ ما هو وجه الشبه؟ ما هى أدوات التشبيه؟ هل الأصل فى أدوات التشبيه أن يليها المشبه او المشبه به؟ متى تفيد كأن التشبيه؟ ما هو التشبيه البليغ؟ ما هو التشبيه الضمنى؟ ما هو التشبيه المرسل؟ كم قسما للتشبيه باعتبار طرفيه؟ كم قسما للتشبيه باعتبار تعدد طرفيه؟ ما هو التشبيه الملفوف؟ ما هو التشبيه المفروق؟ ما هو تشبيه التسويه؟ ما هو تشبيه الجمع؟ كم قسما للتشبيه باعتبار وجه الشبه؟ ما هو تشبيه التمثيل؟ ما هو تشبيه غير التمثيل؟ ما هو التشبيه المفصل؟ ما هو التشبيه المجمل؟ كم قسما للتشبيه باعتبار الغرض منه؟

ص: ٢٢٣

(١ - ١) . كقوله: [الكامل] لا- تنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالى أى لا تنكرى خلو الرجل الكريم من الغنى فإن ذلك ليس عجبا، لأن قمم الجبال و هى أعلى الأماكن، لا يستقر فيها ماء السيل «فهاهنا يلمح الذكى تشبيها» و لكنه لم يضع ذلك صريحا، بل أتى بجمله مستقلة و ضمنها هذا المعنى فى صورته برهان فيكون هذا التشبيه على غير طرقة الاصلية، بحيث يورد التشبيه ضمنا من غير أن يصرح به و يجعل فى صورته برهان على الحكم الذى أسند إليه المشبه، كما سبق شرحه. و قد يراد إيهام أن المشبه و المشبه به متساويان فى وجه الشبه، فيترك التشبيه ادعاء بالتساوى دون الترجيح.

تطبيق عام على أنواع التشبيه

اشتريت ثوبا أحمر كالورد: في هذه الجملة تشبيه مرسل مفصل المشبه ثوبا، و المشبه به هو الورد. و هما حسيان مفردان، و الأداة الكاف، و وجه الشبه: الحمرة في كل، و الغرض منه بيان حال المشبه.

ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا

أتى الربيع أتاك النور و النور

فالأرض ياقوته و الجو لؤلؤه

و النبت فيروزج و الماء بلور

[البيسط]

الأرض ياقوته: تشبيه بليغ مجمل. المشبه الأرض، و المشبه به ياقوته، و هما حسيان مفردان. و وجه الشبه المحذوف، و هو الخضرة في كل. و الأداة محذوفه. و الغرض منه تحسينه، و الجو لؤلؤه، و النبت فيروزج و الماء بلور كذلك. و في البيت كله تشبيه مفروق، لأنه أتى بمشبه و مشبه به، و آخر و آخر.

العمر و الإنسان و الدنيا همو

كالظل في الإقبال و الإدبار

[الكامل]

فيه تشبيه تسويه مرسل مفصل، المشبه العمر و الإنسان و الدنيا، و المشبه به الظل و المشبه بعضه حسي، و بعضه عقلي، و المشبه به حسي، و الكاف الأداة، و وجه الشبه الإقبال و الإدبار. و الغرض تقرير حاله في نفس السامع.

كم نعمه مرت بنا و كأنها

فرس يهرول أو نسيم سارى

[الكامل]

في البيت: تشبيه جمع مرسل مجمل، المشبه نعمه، و المشبه به فرس يهرول، أو نسيم سارى، و هما حسيان، و كأن الأداة، و وجه الشبه السرعة في كل، و الغرض منه بيان مقدار حاله.

ليل و بدر و غصن

شعر و وجه و قد

[المجتث]

فيه تشبيه بليغ مجمل ملفوف، المشبه شعر و هو حسى، و المشبه به ليل، و هو عقلى، و الأداة محذوفه، و وجه الشبه السواد فى كل، و الغرض منه بيان مقدار حاله.

و فى الثانى: المشبه وجه، و المشبه به بدر، و هما حسيان. و وجه الشبه الحسن فى كل. و الأداة محذوفه، و الغرض تحسينه. و فى الثالث المشبه قد، و المشبه به غصن و هما حسيان. و وجه الشبه الاعتدال فى كل، و الأداة محذوفه، و الغرض بيان مقداره-هَذَا، و إن شئت فقل هذا تشبيه مقلوب بجعل المشبه به مشبها. و المشبه به بأن يجعل الليل مشبها، و الشعر مشبها به.

و قد لاح فى الصبح الثريا كما ترى

كعنقود ملاحبه حين نورا

[الطويل]

فيه تشبيه تمثيل مرسل مجمل، المشبه هيئه الثريا الحاصله من اجتماع أجرام مشرقه مستديره منيره: و المشبه به هيئه عنقود العنب المنور، و الجامع الهيئه الحاصله من اجتماع أجرام منيره مستديره فى كل، و الأداة الكاف، و الغرض منه بيان حاله

تمرين

بين أنواع التشبيه فيما يأتى:

١- قال الله تعالى: وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْخَيْلِ الذُّبَابِ كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ [الكهف: ٤٥].

٢- قال تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيْحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ [إبراهيم: ١٨]

٣- و قال تعالى: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعِهِ يَخْتَبُهَا الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا [النور: ٣٩].

ص: ٢٢٥

٤-الورد فى أعلى الغصون كأنه

ملك تحفّ به سراه جنوده

[الكامل]

٥-إذا ارتجل الخطاب بدا خليج

بفيه يمدّه بحر الكلام

كلام بل مدام بل نظام

من الياقوت بل حبّ الغمام

[الوافر]

٦-و كأنّ الصبح لَمّا

لاح من تحت الثريا

ملك أقبل فى التا

ج يفدى و يحيا

[مجزوء الرمل]

٧-إنما النفس كالزجاجه و العل

م سراج و حكمه الله زيت

فإذا أشرقت فإنك حيّ

و إذا أظلمت فإنك ميت

[الخفيف]

٨-و غير تقىّ يأمر الناس بالتقى

طبيب يداوى الناس و هو مريض

[الطويل]

٩- إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت

له عن عدو في ثياب صديق

[الطويل]

١٠- والبدر أول ما بدا مثلثا

بيدي الضياء لنا بخد مسفر

فكأنما هو خوزه من فضه

قد ركبت في هامه من عنبر

[الكامل]

١١- ما الناس إلا كالديار و أهلها

بها يوم حلّوها و غدوا بلاقع

[الكامل]

ص: ٢٢٦

بلاغه التشبيه (١) و بعض ما أثر منه عن العرب و المحدثين

تنشأ بلاغه التشبيه: من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه، إلى شيء طريف يشبهه، أو صورته بارعه تمثله. و كلما كان هذا الانتقال بعيدا، قليل الخطور بالبال، أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروع للنفس، و أدعى إلى إعجابها و اهتزازها. فإذا قلت: فلان يشبه فلانا في الطول، أو إنَّ الأرض تشبه الكره في الشكل، لم يكن في هذه التشبيهات أثر للبلاغه، لظهور المشابهه، و عدم احتياج العثور عليها إلى براعه، و جهد أدبيّ، و لخلوّها من الخيال.

و هذا الضرب من التشبيه: يقصد به البيان و الإيضاح، و تقريب الشيء إلى الأفهام، و أكثر ما يستعمل في العلوم و الفنون.

و لكنك تأخذك روعه التشبيه، حينما تسمع قول المعزى يصف نجما: [الخفيف]

يسرع اللحم في احمرار كما تسرع

رع في اللحم مقله الغضبان

فإن تشبيه لمحات النجم و تألقه مع احمرار ضوئه، بسرعه لمحاه الغضبان من التشبيهات النادره، التي لا تنقاد إلا لأديب، و من ذلك قول الشاعر: [الخفيف]

و كأن النجوم بين دجاها

سنن لاح بينهنّ ابتداع

فإن جمال هذا التشبيه: جاء من شعورك ببراعه الشاعر، و حذقه في عقد المشابهه بين حالتين، ما كان يخطر بالبال تشابههما، و هما حاله النجوم في رقع الليل، بحال السنن الدّينيه الصحيحه، متفرقه بين البدع الباطله.

ص: ٢٢٧

١ - ١). التشبيه مع ما فيه من ميزه الإيجاز في اللفظ يفيد المبالغه في الوصف. و يخرج الخفى إلى الجلى و المعقول إلى المحسوس، و يجعل التافه نفيسا، و النفيس تافها و يدنى البعيد من القريب، و يزيد المعنى وضوحا، و يكسبه تأكيدا، فيكون أوقع في النفس و أثبت، و له روعه الجمال و الجلال.

و لهذا التشبيه: روعه أخرى، جاءت من أن الشاعر: تخيل أن السنن مضيئه لَماعه، و أن البدع مظلمه قاتمه.

و من أبدع التشبيهات قول المتنبي: [الطويل]

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها

وقوف شحيح ضاع في التراب خاتمه

يدعو الشاعر على نفسه بالبلى و الفناء، إذا هو لم يقف بالأطلال، ليذكر عهد من كانوا بها، ثم أراد أن يصوّر لك هيئه وقوفه، فقال: كما يقف شحيح فقد خاتمه في التراب، من كان يوفق إلى تصوير حال الداهل المتحير المحزون، المطرق برأسه، المنتقل من مكان إلى مكان في اضطراب و دهشه، بحال شحيح فقد في التراب خاتما ثمينا.

هذه بلاغه التشبيه من حيث مبلغ طرافته، و بعد مرماه، و مقدار ما فيه من خيال.

أما بلاغته من حيث الصورة الكلاميه التي يوضع فيها، فمتفاوته ايضا.

فأقلّ التشبيهات مرتبه في البلاغه ما ذكرت أركانها جميعها، لأنّ بلاغه التشبيه مبنيه على ادعاء أنّ المشبه عين المشبه به، و وجود الأداة، و وجه الشبه معا، يحولان دون هذا الادعاء؛ فإذا حذفت الأداة وحدها، أو وجه الشبه وحده، ارتفعت درجة التشبيه في البلاغه قليلا، لأن حذف أحد هذين يقوّى ادعاء اتحاد المشبه و المشبه به بعض التقويه-أما أبلغ أنواع التشبيه «فالتشبيه البليغ» لأنه مبنّى على ادعاء أن المشبه و المشبه به شيء واحد.

هذا-و قد جرى العرب و المحدثون على تشبيه: الجواد بالبحر و المطر، و الشجاع بالأسد، و الوجه الحسن بالشمس و القمر، و الشهم الماضي في الامور بالاحلام و الوجه الصبيح بالدينار، و الشعر الفاحم بالليل، و الماء بالسيف، و العالى المنزله بالنجم، و الحليم الرّزين بالجبل، و الأمانى الكاذبه بالعنقاء، و الماء الصافى باللّجين، و الليل بموج البحر، و الجيش بالبحر الرّاخر، و الخيل بالرّيح و البرق، و النجوم بالدرّ و الأزهار، و الأسنان بالبرد و اللؤلؤ، و السفن بالجبال، و الجداول بالحيّات الملتويه، و الشيب بالنهار و لمع السيوف، و غرّه الفرس بالهلال، و يشبّهون الجبان بالنعامة و الذبابة، و اللثيم بالثعلب، و الطائش بالفراش، و الذليل

بالتود، و القاسى بالحديد و الصخر، و البليد بالحمار، و البخيل بالأرض المجده.

و قد اشتهر رجال من العرب بخصال محموده، فصاروا فيها أعلاما-فجرى التشبيه بهم، فيشبه الوفى بالسموأل (1) و الكريم بحاتم، و الحلیم بالأحنف (2)، و الفصیح بسحبان، و الخطيب بقس (3) و الشجاع بعمر و بن معد يكرب، و الحكيم بلقمان (4) و الذكى بإياس.

و اشتهر آخرون بصفات ذميمه، فجرى التشبيه بهم أيضا، فيشبه العيى بإقل (5)، و الأحمق بهبنقه (6)، و النادم بالكسعى (7)، و البخيل بمادر (8)، و الهجاء بالحطيئه (9)، و القاسى بالحجاج الثقفى أحد جبابره العرب المتوفى سنة ٩٧ هـ

ص: ٢٢٩

-
- ١- ١) . هو السموأل بن عادياء اليهودى، يضرب به المثل فى الوفاء، و هو من شعراء الجاهليه، توفى سنة ٦٢ ق هـ
 - ٢- ٢) . هو الأحنف بن قيس من سادات التابعين، كان شهما حلیمًا، عزيزا فى قومه إذا غضب غضب له مائه ألف سيف لا يسألون لماذا غضب: توفى سنة ٦٧ هـ
 - ٣- ٣) . هو قس بن ساعده الإيادى، خطيب العرب قاطبه، و يضرب به المثل فى البلاغه و الحكمه.
 - ٤- ٤) . حكيم مشهور آتاه الله الحكمه، أى الإصابه بالقول و العمل.
 - ٥- ٥) . رجل اشتهر بالعى، اشترى غزالا مره بأحد عشر درهما، فسئل عن ثمنه فمد اصابع كفيه يريد عشره، و أخرج لسانه ليكملها أحد عشر، ففر الغزال، فضرب به المثل فى العى.
 - ٦- ٦) . هو لقب أبى الودعات يزيد بن ثروان القيسى، يضرب به المثل فى الحمق.
 - ٧- ٧) . هو غامد بن الحارث، خرج مره للصيد فأصاب خمس حمر بخمسه أسهم، و كان يظن كل مره أنه مخطىء، فغضب و كسر قوسه، لما أصبح رأى الحمر مصروعه و الأسهم مخضبه بالدم، فندم على كسر قوسه، و عض على إبهامه فقطعها.
 - ٨- ٨) . لقب رجل من بنى هلال، اسمه مخارق، و كان مشهورا بالبخل و اللؤم.
 - ٩- ٩) . شاعر مخضرم، كان هجاء مرا، و لم يكذ يسلم من لسانه أحد، هجا أمه و أباه، و نفسه و له ديوان شعر، و توفى سنة ٤٠ هـ

الباب الثاني في المجاز (١)

المجاز مشتق من جاز الشيء يجوزه، إذا تعدّاه سمّوا به اللفظ الذي نقل من معناه الأصلي، واستعمل ليدلّ على معنى غيره، مناسب له.

والمجاز: من أحسن الوسائل البيانيّة التي تهدي إليها الطبيعة؛ لايضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متّصفاً بصفه حسيّيه، تكاد تعرضه على عيان السّماع، لهذا شغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثره معاني الألفاظ، ولما فيه من الدّقه في التعبير، فيحصل للنفس به سرور و أريحيّيه، ولأمرّ ما كثر في كلامهم، حتى أتوا فيه بكل معنى رائق، وزيّنوا به خطبهم وأشعارهم.

و في هذا الباب مباحث:

ص: ٢٣١

١-١). أقول: إن المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء، يستدل بها عليها، ليعرف كل منها باسمه، من أجل التفاهم بين الناس. وهذا يقع ضروره لا بد منها. فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو حقيقه له، فإذا نقل إلى غيره صار مجازاً.

المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقه مع قرينه (١)، مانعه من إرادته المعنى الوضعي.

و علاقته و هي المناسبه (٢) بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي، قد تكون المشابهه بين المعنيين، و قد تكون غيرها. فإذا كانت علاقته المشابهه فالمجاز استعاره و إلا فهو مجاز مرسل.

و القرينه: و هي المانعه من إرادته المعنى الحقيقي، قد تكون لفظيه، و قد تكون حالیه، كما سيأتي.

و ينقسم المجاز: إلى أربعة اقسام: مجاز مفرد مرسل، و مجاز مفرد بالاستعاره و يجريان في الكلمه، و مجاز مركب مرسل، و مجاز مركب بالاستعاره و يجريان في الكلام.

و أنواع المجاز كثيره: أهمها المجاز المرسل و هو المقصود بالذات، و سيأتي مجاز، يسمّى المجاز العقلي و يجرى في الإسناد.

و متى أطلق المجاز، انصرف إلى المجاز اللغوي.

ص: ٢٣٢

١ - ١). القرينه: هي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلاً على أنه أراد باللفظ غير ما وضع له، فهي تصرف الذهن من المعنى الوضعي، إلى المعنى المجازي، و بتقييد القرينه بمانعه الخ خرجت (الكنايه) فإن قرينتها لا تمنع من إرادته المعنى الأصلي، و القرينه إما لفظيه، أو حالیه. فاللفظيه: هي التي يلفظ بها في التركيب، و الحالیه: هي التي تفهم من حال المتكلم، أو من الواقع. و أما القرينه التي تعين المراد من المجاز، فليست شرطاً. و اعلم أن كلاً من المجاز و الكنايه في حاجه إلى قرينه، و لكنها في المجاز مانعه، و في الكنايه غير مانعه.

٢ - ٢). العلاقة هي المناسبه بين المعنى المنقول عنه و المنقول إليه، و سميت بذلك: لأن بها يتعلق و يرتبط المعنى الثاني بالأول فينتقل الذهن من الأول للثاني، و باشرط ملاحظه علاقته، يخرج الغلط كقولك: خذ هذا الكتاب، مشيراً إلى فرس مثلاً، إذ لا علاقته هنا ملحوظه.

المجاز المفرد المرسل: (١) هو الكلمه المستعمله قصدا في غير معناها الأصلي لملا حظه علاقته غير المشابهه مع قرينه داله على عدم إرادته المعنى الوضعى.

و له علاقات كثيره، أهمها.

١-السببىة: و هى كون الشىء المنقول عنه سببا، و مؤثرا فى غيره، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ السبب، و أريد منه المسبب، نحو: رعت الماشيه الغيث، أى النبات؛ لأن الغيث أى المطر سبب فيه (٢). و قرينته لفظيه و هى رعت لأن العلاقه تعتبر من جهه المعنى المنقول عنه.

و نحو: لفلان على يد: تريد باليد: النعمه؛ لأنها سبب فيها.

ص: ٢٣٣

١ - ١) . سمي (مرسلا) لإطلاقه عن التقييد بعلاقته واحده مخصوصه، بل له علاقات كثيره، و اسم العلاقه يستفاد من وصف الكلمه التى تذكر فى الجمله، و ليس المقصود من العلاقه إلا بيان الارتباط و المناسبه، فالفظن يرى ما يناسب كل مقام. و قيل: سمي (مرسلا) لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتره فى الاستعاره.

٢ - ٢) . و كقول الشاعر: [المنسرح] له أديان على سابغه أعد منها و لا أعددها و كقوله: [الكامل] قامت تظللنى من الشمس نفس أحب إلى من نفسى قامت تظللنى و من عجب شمس تظللنى من الشمس فائده: القصد من العلاقه: إنما هو تحقق الارتباط، و الذكى يعرف مقال كل مقام، ثم إن (العلاقه): قيل تعتبر من جهه المعنى المنقول عنه، الذى هو الحقيقى، و قيل تعتبر من جهه المعنى المنقول إليه، لأنه المدار، و قيل تعتبر من جهتهما، رعايه لحقيهما. و اعلم أن اللفظ الواحد: قد يكون صالحا بالنسبه إلى معنى واحد، لأن يكون مجازا مرسلا، و استعاره باعتبارين.

٢-و المسيبيه: هي أن يكون المنقول عنه مسبباً، و أثر الشيء آخر، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ المسبب، و أريد منه السبب، نحو: وَ يُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا [غافر:١٣]أى: مطرا يسبب الرزق.

٣-و الكلّيه: هي كون الشيء متضمنا للمقصود و لغيره، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ الكل، أريد منه الجزء، نحو: يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ [البقره:١٩]أى أناملهم و القرينه حالیه و هي استحاله إدخال الأصبع كله في الأذن.

و نحو: شربت ماء النيل، و المراد بعضه، بقرينه شربت.

٤-و الجزئيه: هي كون المذكور ضمن شيء آخر، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ الجزء، و أريد منه الكل، مثل قوله تعالى: فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ [النساء:٩٢]. و نحو: نشر الحاكم عيونه في المدينه: أى الجواسيس، فالعيون مجاز مرسل، علاقته الجزئيه لأن كل عين جزء من جاسوسها، و القرينه الاستحاله.

٥-و اللازميه: هي كون الشيء يجب وجوده، عند وجود شيء آخر، نحو: طلع الضوء، أى الشمس؛ فالضوء مجاز مرسل، علاقته اللازميه لأنه يوجد عند وجود الشمس، و المعتبر هنا اللزوم الخاص، و هو عدم الانفكاك.

٦-و الملزوميه: هي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر، نحو: ملأت الشمس المكان، أى الضوء، فالشمس مجاز مرسل، علاقته الملزوميه لأنها متى وجدت وجد الضوء، و القرينه ملأت.

٧-و الآليه: هي كون الشيء واسطه لإيصال أثر شيء إلى آخر، و ذلك فيما إذا ذكر اسم الآله، و أريد الأثر الذى ينتج عنه، نحو: وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ [الشعراء:٨٤] أى ذكرا حسنا فلسان بمعنى ذكر حسن مجاز مرسل، علاقته الآليه لأن اللسان آله في الذكر الحسن.

٨-و التقييد، ثم الإطلاق: هو كون الشيء مقيدا بقيد أو أكثر، نحو: مشفر زيد مجروح؛ فإن المشفر لغه: شفه البعير، ثم أريد هنا مطلق شفه، فكان في هذا منقولاً عن المقيد إلى

المطلق، و كان مجازاً مرسلًا، علاقته التقييد، ثم نقل من مطلق شففه، إلى شففه الإنسان، فكان مجازاً مرسلًا بمرتبتين، و كانت علاقته التقييد و الإطلاق.

٩-و العموم: هو كون الشيء شاملًا لكثير، نحو قوله تعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ [النساء:٥٤] أى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله. فالناس مجاز مرسل، علاقته العموم، و مثله قوله تعالى: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ [آل عمران:١٧٣] فإن المراد من الناس واحد، و هو نعيم بن مسعود الأشجعي.

١٠-و الخصوص: هو كون اللفظ خاصًا بشيء واحد، كإطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو ربيعة و قريش.

١١-و اعتبار ما كان: هو النظر إلى الماضي، أى تسميه الشيء باسم ما كان عليه، نحو: وَ آتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ [النساء:٢] أى الذين كانوا يتامى. ثم بلغوا فاليتامى: مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان؛ و هذا إذا جرينا على أن دلالة الصفه على الحاضر حقيقه، و على ما عداه مجاز.

١٢-و اعتبار ما يكون: هو النظر إلى المستقبل، و ذلك فيما إذا أطلق اسم الشيء على ما يؤول إليه، كقوله تعالى: إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا [يوسف:٣٦]، أى عصيرا يؤول أمره إلى خمر، لأنه حال عصره لا- يكون خمرًا. فالعلاقة هنا: اعتبار ما يؤول إليه. و نحو: وَ لَا يَلِدُوا إِلَّا فَاغْرًا كَفَّارًا [نوح:٢٧] و المولود حين يولد، لا يكون فاجرًا، و لا كافرًا، و لكنه قد يكون كذلك بعد الطفوله فأطلق المولود الفاجر، و أريد به الرجل الفاجر، و العلاقة اعتبار ما يكون.

١٣-و الحالیه: هى كون الشيء حالاً فى غيره، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ الحال و أريد المحل لما بينهما من الملازمه، نحو: فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [آل عمران:١٠٧] فالمراد من الرحمه الجنه التى تحل فيها رحمه الله. ففيه مجاز مرسل، علاقته الحالیه و كقوله تعالى: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ [الأعراف:٣١] أى لباسكم، لحلول الزينه فيه، فالزينه حال و اللباس محلها، و نحو: و أرى بياضا يظهر و يختفى، و أرى حركه تعلقو و تسفل.

١٤- والمحليه: هي كون الشيء يحلّ فيه غيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ المحل و أريد به الحال فيه، كقوله تعالى: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ [العلق:١٧] والمراد من يحل في النادي. و كقوله تعالى: يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ [آل عمران:١٦٧] أى ألسنتهم، لأن القول لا يكون عادة إلا بها.

١٥- البدليه: هي كون الشيء بدلا عن شيء آخر، كقوله تعالى: فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ [النساء:١٠٣] والمراد: الأداء.

١٦- المبدليه: هي كون الشيء مبدلا منه شيء آخر، نحو: أكلت دم زيد أى ديتة. فالدم مجاز مرسل علاقته المبدليه لأن الدم: مبدل عنه الديه.

١٧- المجاوره: هي كون الشيء مجاورا لشيء آخر، نحو كلمت الجدار و العمود، أى الجالس بجوارهما، فالجدار و العمود مجازان مرسلان علاقتهما المجاوره.

١٨- و التعلق الاشتقاقى: هو إقامه صيغه مقام أخرى، و ذلك:

أ- كإطلاق المصدر على اسم المفعول، فى قوله تعالى: صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ [النمل:٨٨] أى مصنوعه.

ب- و كإطلاق اسم الفاعل على المصدر، فى قوله تعالى: لَيْسَ لَوْعَعِهَا كَاذِبُهُ [الواقعه:٢] أى تكذيب.

ج- و كإطلاق اسم الفاعل على اسم المفعول، فى قوله تعالى: لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [هود:٤٣] أى لا معصوم.

د- و كإطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل، فى قوله تعالى: حِجَابًا مَسْتُورًا [الإسراء:٤٥] أى ساترا.

و القرينه على مجازيه ما تقدم، هي ذكر ما يمنع إرادته المعنى الأصلي.

المبحث الثالث في تعريف المجاز العقلي و علاقته (١)

المجاز العقلي: هو إسناد الفعل، أو ما في معناه من اسم فاعل، أو اسم مفعول أو مصدر؛ إلى غير ما هو له في الظاهر؛ من المتكلم، لعلاقته مع قرينه تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له.

أشهر علاقات المجاز العقلي

١- الإسناد إلى الزمان: نحو: من سرّه زمن ساءته أزمان، أسند الإساءة و السرور إلى الزمن، و هو لم يفعلهما؛ بل كانا واقعين فيه على سبيل المجاز.

٢- الإسناد إلى المكان، نحو: وَ جَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ [الأنعام:٦] فقد أسند الجرى إلى الأنهار، و هي أمكنه للمياه، و ليست جاريه بل الجارى ماؤها.

٣- الإسناد إلى السبب، نحو: [البسيط]

إني لمن معشر أفنى أوائلهم

قيل الكماه ألا أين المحامونا؟؟

فقد نسب الإفناء إلى قول الشجعان، هل من مبارز؟ و ليس ذلك القول بفاعل له، و مؤثر فيه، و إنما هو سبب فقط.

٤- الإسناد إلى المصدر: كقول أبي فراس الحمداني: [الطويل]

سيد كرنى قومي إذا جدّ جدّهم

و في الليله الظلماء يفتقد البدر

ص: ٢٣٧

(١ - ١) . سمي عقليا، لأن التجوز فهم من (العقل) لا من (اللغه) كما في المجاز اللغوي.

فقد أسند الجد إلى الجد، أى الاجتهاد، و هو ليس بفاعل له، بل فاعله الجاد، فأصله جد الجاد جدا. أى اجتهد اجتهادا. فحذف الفاعل الأصلي و هو الجاد. و أسند الفعل إلى الجدّ.

٥- إسناد ما بنى للفاعل إلى المفعول: نحو: سرنى حديث الوامق. فقد استعمل اسم الفاعل و هو الوامق. أى: المحبّ بدل الموموق. أى: المحبوب. فإن المراد: سررت بمحادثه المحبوب.

٦- إسناد ما بنى للمفعول إلى الفاعل: نحو: «جعلت بينى و بينك حجابا مستورا» أى ساترا، فقد جعل الحجاب مستورا، مع أنه هو الساتر.

تنبيهات

أ- كما يكون هذا المجاز فى الإسناد. يقع فى النسبه الإضافيه نحو: جرى الأنهار و غراب البين و مكر الليل: فنسبه الجرى إلى الأنهار مجاز علاقته المكانية. و نسبه البين إلى الغراب. مجاز علاقته السببيه. و نسبه المكر إلى الليل مجاز علاقته الزمانيه.

ب- الفعل المبني للفاعل و اسم الفاعل إذا أسندا إلى المفعول فالعلاقه المفعوليه. و الفعل المبني للمجهول و اسم المفعول إذ أسندا إلى الفاعل فالعلاقه الفاعليه. و اسم المفعول المستعمل فى موضع اسم الفاعل مجاز: علاقته المفعوليه. و اسم الفاعل المستعمل فى موضع اسم المفعول مجاز: علاقته الفاعليه.

ج- هذا المجاز: ماده الشاعر المفلق، و الكاتب البليغ، و طريق من طرق البيان لا يستغنى عنها واحد منهما.

تطبيق على أشهر علاقات المجاز العام

اذكر علاقات المجاز فيما يلي:

١-أبا المسك أرجو منك نصرا على العدا

و آمل عزّا يخضب البيض بالدم (١)

و يوما يغيظ الحاسدين و حاله

أقيم الشقا فيها مقام التّنعّم (٢)

[الطويل]

٢-قال الله تعالى: لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ [هود:٤٣].

٣-ذهبنا إلى حديقه غناء.

٤-تكاد عطاياه يجن جنونها

إذا لم يعوّذها برقيه طالب (٣)

[الطويل]

الإجابة

أ-عزّا يخضب البيض بالدم:

إسناد خضب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقي، لأن العز لا يخضب السيوف و لكنه سبب القوه، و جمع الأبطال الذين يخضبون السيوف بالدم ففي العبارة مجاز عقلي، علاقته السببيه.

ب-و يوما يغيظ الحاسدين.

إسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيقي، غير أن اليوم هو الزمان الذي يحصل فيه الغيظ، ففي الكلام مجاز عقلي، علاقته الزمانيه.

ج- لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [هود:٤٣].

- ١ - ١) . أبا المسك: كنيه كافور الاخشيدى، و البيض: السيوف، يقول: أرجو منك أن تنصرنى على أعدائى، و أن تولينى عزا
أتمكن به منهم، و أخضب سيوفى بدمائهم.
- ٢ - ٢) . يقول: و أرجوا أن أبلغ بك يوما يغتاض فيه حسادى، لما يرون من إعظامك لقدرى، و كذلك أرجو أن أبلغ بك حاله
تساعدنى على الانتقام منهم، فأتنعم بشقائى فى حربهم.
- ٣ - ٣) . يعوذ ما يحصنها، و رقيه ما يرقى بها الإنسان من عين حاسد.

المعنى لا معصوم (1) اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله، فاسم الفاعل أسند إلى المفعول، وهذا مجاز عقلي، علاقته المفعوليه.
د- ذهبنا إلى حديقه غناء.

غناء مشتقه من الغن، و الحديقه لا تغن، و إنما الذى يغن عصافيرها أو ذبابها، ففي الكلام مجاز عقلي، علاقته المكانية.
ه- تكاد عطاياه يجن جنونها.

إسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلي، علاقته المصدريه.

نموذج آخر

بين المجاز العقلي و اذكر علاقته فيما يلي:

١-أهلكنا الليل و النهار (٢)٢-منزل عامر بنعم الله (٣)

٣-أنشأ وزير التربيه عده مدارس (٤)٤-مشرب عذب (٥)

٥-هذا يوم عصيب (٦)٦-ربحت تجار تهم (٧)

ص: ٢٤٠

١- ١) . يجوز أن تكون «عاصم» مستعمله في حقيقتها، و يكون المعنى لا- شىء يعصم الناس من قضاء الله إلا من رحمه الله منهم. فإنه تعالى هو الذى يعصمه.

٢- ٢) . فى قوله أهلكنا الليل و النهار، مجاز عقلي، علاقته السببيه، فقد نسب الإهلاك إلى الليل و النهار، مع أن فاعله هو الله تعالى. و هذان سببان فيه.

٣- ٣) . فى قوله منزل عامر بنعم الله، مجاز عقلي، علاقته المفعوليه، إذ قد أسند اسم الفاعل إلى المفعول فى المعنى.

٤- ٤) . فى قوله أنشأ وزير التربيه عده مدارس، مجاز عقلي، علاقته السببيه، إذ نسب الإنشاء إلى الوزير، و هو السبب فقط.

٥- ٥) . فى قوله مشرب عذب، نسب العذوبه إلى المكان، لا إلى الماء مجاز لعلاقه المكانية.

٦- ٦) . العصبيه و الشديده، خطوب اليوم و حوادثه لا هو، فوصفه بذلك و صف للزمان، فهو مجاز: علاقته الزمانيه.

٧- ٧) . أسند الربح إلى التجاره، و الربح هو صاحبها، لا هى: فهو مجاز، علاقته المفعوليه.

إذا تأملت أنواع المجاز المرسل (١) والعقلي رأيت أنها في الغالب تؤدي المعنى المقصود بإيجاز، فإذا قلت: هزم القائد الجيش أو قرر المجلس كذا كان ذلك أوجز من أن تقول: هزم جنود القائد الجيش أو قرر أهل المجلس كذا ولا شك أن الإيجاز ضرب من ضروب البلاغة. وهناك مظهر آخر للبلاغة في هذين المجازين. هو المهارة في تختيار العلاقة بين المعنى الأصلي و المعنى المجازي، بحيث يكون المجاز مصورا للمعنى المقصود خير تصوير كما في إطلاق العين على الجاسوس، و الأذن على سريع التأثير بالوشايه، و الخفّ و الحافر على الجمال و الخيل، في المجاز المرسل و كما في إسناد الشيء: إلى سببه، أو مكانه، أو زمانه، في المجاز العقلي. فإن البلاغة توجب أن يختار السبب القوي، و المكان و الزمان المختصان.

و إذا دقت النظر رأيت أن أغلب ضروب المجاز المرسل و المجاز العقلي لا تخلوا من مبالغه بديعه، ذات أثر في جعل المجاز رائعا خلابا، فإن إطلاق الكل على الجزء مبالغه، و مثله إطلاق الجزء و إرادته الكل كما إذا قلت «فلان فم» تريد أنه شره، يلتقم كل شيء. و نحوه: «فلان أنف» عند ما تريد أن تصفه بعظم الأنف؛ فتبالغ فتجعله كله أنفا؟ و مما يؤثر عن بعض الأدباء في وصف رجل أنافي (٢) قوله: «لست أدري: أهو في أنفه، أم أنفه فيه» ؟ ؟

ص: ٢٤١

١-١). المجاز المرسل: يوسع اللغه، و يعين على الافتتان في التعبير، و يساعد الكاتب و الخطيب على إيراد المعنى الواحد بصور مختلفه، و قد تدعوا إليه: كما في «الطراز» حليه لفظيه، من تقفيه. أو ضروره شعريه. أو مشاكلة: أو اختصار أو خفه في لفظه. و كثيرا ما يكون الداعي إليه راجعا إلى المعنى.
٢-٢). الأنافي: عظيم الأنف.

إشارة

سبق: أن التشبيه أول طريقه دلت عليها الطبيعة؛ لإيضاح أمر يجهله المخاطب، بذكر شىء آخر، معروف عنده، ليقيسه عليه، وقد نتج من هذه النظرية، نظرية أخرى في تراكيب الكلام، ترى فيها ذكر المشبه به أو المشبه فقط. وتسمى هذه بالاستعارة، وقد جاءت هذه التراكيب المشتملة على الاستعارة أبلغ من تراكيب التشبيه، وأشد وقعا في نفس المخاطب، لأنه كلما كانت داعية إلى التحليق في سماء الخيال، كان وقعها في النفس أشد، ومنزلتها في البلاغة أعلى.

وما يبتكره أمراء الكلام من أنواع صور الاستعارة البديعة، التي تأخذ بمجامع الأفتداه، وتملك على القارئ و السامع لبهما و عواطفهما هو سر بلاغه الاستعارة.

فمن الصور المجمله التي عليها طابع الابتكار و روعه الجمال قول شاعر الحماسه: [البسيط]

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم

طاروا إليه زرافات و وحدانا

فإنه قد صور لك الشر، بصوره حيوان مفترس مكشر عن أنيابه مما يملأ فؤادك رعبا، ثم صور القوم الذين يعينهم، بصور طيور تطير إلى مصادمه الأعداء؛ طيرانا مما يستثير إعجابك بنجدتهم، و يدعوك إلى إكبار حميتهم و شجاعتهم.

و منهم: من يعمد إلى الصوره التي يرسمها، ويفصل أجزاءها، و يبين لكل جزء ميزته الخاصه، كقول امرئ القيس في وصف الليل بالطول: [الطويل]

فقلت له لما تمطى بصلبه

و أردف أعجازا و ناء بكلكل (1)

ص: ٢٤٢

١-١). تمطى تمدد، و الصلب عظم في الظهر من لدن الكاهل إلى العجب، و العجز مؤخر الجسم و الكلكل الصدر، أو ما بين الترقوتين.

فإنه لم يكتف بتمثيل الليل، بصورة شخص طويل القامة، بل استوفى له جملة أركان الشخص؛ فاستعار صلبا يتمطي به، إذ كان كل ذى صلب يزيد في طوله تمطيه، و بالغ في ذلك بأن جعل له أعجازا يردف بعضها بعضا، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره، فاستعار له كلكلا ينوء به أى يثقل به و لا يخفى عليك ما يتركه هذا التفصيل البديع في قلب سامعه من الأثر العظيم، و الارتياح الجميل.

و منهم: من لا يكتفى بالصورة التى يرسمها، بل ينظر إلى ما يترتب على الشئ فيعقب تلك الصورة بأخرى أشد و أوقع، كقول
أبى الطيب المتنبى: [الوافر]

رمانى الدهر بالأرزاء حتى

فؤادى فى غشاء من نبال (١)

فصرت إذا أصابتنى سهام

تكسرت النصال على النصال (٢)

فإنه لم يكتف بتصويره المصائب سهاماً فى سرعه انصابتها، و شدة إيلاهما، و لا بالمبالغة فى وصف كثرتها، بأن جعل منها غشاء محيطاً بفؤاده، حتى جعل ذلك الغشاء من المتانة و الكثافة، بحيث إن تلك النصال مع استمرار انصابتها عليه، لا تجد منفذاً إلى فؤاده، لأنها تتكسر على النصال التى سبقتها، فانظر إلى هذا التمثيل الرائع، و قل لى: هل رأيت تصويراً أشد منه لتراكم المصائب و الآلام؟

تعريف الاستعارة و بيان أنواعها

الاستعارة لغة: من قولهم، استعار المال: طلبه عارياً. و اصطلاحاً: هى استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه و المعنى المستعمل فيه، مع قرينه صارفه عن إرادته المعنى الأصلى.

ص: ٢٤٣

١-١ . الأرزاء المصائب، و الغشاء الغلاف، و النبال السهام.

٢-٢ . النصال حدائد السهام.

و الاستعاره ليست إلا تشبيها مختصرا؛ و لكنها أبلغ منه (١) كقولك: رأيت أسدا في المدرسه، فأصل هذه الاستعاره «رأيت رجلا شجاعا كالأسد في المدرسه» فحذفت المشبه «لفظ رجلا» و حذفت الأداة «الكاف» و حذفت وجه التشبيه «الشجاعه» و ألحقته بقرينه «المدرسه» لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعا.

و أركان الاستعاره ثلاثه.

١- مستعار منه: و هو المشبه به.

٢- مستعار له: و هو المشبه.

[و يقال لهما الطرفان]

٣- مستعار: و هو اللفظ المنقول.

فكل مجاز يبنى على التشبيه يسمى استعاره و لا بد فيها من عدم ذكر وجه الشبه، و لا أداة التشبيه، بل و لا بد أيضا من تناسي التشبيه الذى من أجله وقعت الاستعاره فقط، مع ادعاء أن المشبه عين المشبه به. أو ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلى. بأن يكون اسم جنس أو علم جنس و لا- تتأتى الاستعاره فى العلم الشخصى (٢) لعدم إمكان دخول شىء فى الحقيقه الشخصيه، لأن نفس تصور الجزئى يمنع من تصور الشركه فيه. إلا إذا أفاد العلم

ص: ٢٤٤

١- ١). فأصل الاستعاره: تشبيه حذف أحد طرفيه و وجه شبهه و أدواته، و لكنها أبلغ منه لأن التشبيه مهما تناهى فى المبالغه، فلا بد فيه من ذكر المشبه، و المشبه به و هذا اعتراف بتباينهما. و أن العلاقه ليست إلا التشابه و التدانى، فلا تصل إلى حد الاتحاد. بخلاف الاستعاره ففيها دعوى الاتحاد و الامتزاج. و أن المشبه و المشبه به صارا معنى واحدا، يصدق عليهما لفظ واحد، فالاستعاره (مجاز لغوى) لا عقلى علاقه المشابهه. و اعلم أن حسن الاستعاره «غير التخيليه» لا يكون إلا برعايه جهات التشبيه و ذلك بأن يكون وافيا بإفاده الغرض منه، لأنها مبنيه عليه، فهى تابعه له حسنا و قبحا.

٢- ٢). يعنى أن الاستعاره تقتضى ادخال المشبه فى جنس المشبه به. و لذلك لا تكون علما، لأن الجنس يقتضى العموم، و العلم ينافى ذلك بما فيه من التشخيص، إلا إذا كان العلم يتضمن و صفيه قد اشتهر بها «كسحبان» المشهور بالفصاحه، فيجوز فيه ذلك، لأنه يستفيد الجنسيه من الصفه، نحو: سمعت اليوم سحبان، أى خطيبا فصيحاً، و هلم جرا.

الشخصى وصفا. به يصح اعتباره كليا. فتجوز استعارته: كتضمن حاتم للجود، و قس للخطابه، فيقال: رأيت حاتما، و قسا؛ بدعوى كليه حاتم و قس، و دخول المشبه فى جنس الجواد و الخطيب.

و للاستعاره أجمل وقع فى الكتابه، لأنها تجدى الكلام قوه، و تكسوه حسنا و رونقا، و فيها تثار الأهواء و الإحساسات.

المبحث الخامس فى تقسيم الاستعاره باعتبار ما يذكر من الطرفين

إذا ذكر فى الكلام لفظ المشبه به فقط فاستعاره تصريحيه أو مصرحه (١)نحو:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس و سقت

وردا و عضت على العناب بالبرد

فقد استعار: اللؤلؤ، و النرجس، و الورد، و العناب، و البرد. للدموع، و العيون، و الخدود، و الأنامل، و الأسنان.

و إذا ذكر فى الكلام لفظ المشبه فقط، و حذف فيه المشبه به، و أشير إليه بذكر لازمه المسمى تخيلا فاستعاره مكنيه (٢)أو بالكنايه، كقوله: [الكامل]

ص: ٢٤٥

١ - ١). (معنى تصريحيه) أى مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به، المراد به المشبه و تسمى ايضا تحقيقيه. و (معنى مكنيه) أى مخفى فيه لفظ المشبه به، استغناء بذكر شىء من لوازمه، فلم يذكر فيها من أركان التشبيه، سوى المشبه. ٢ - ٢). أى و هذا مذهب السلف. و كذا (الزمخشري) صاحب الكشاف، و أما مذهب (السكاكى) فظاهر كلامه يشعر بأن الاستعاره بالكنايه لفظ المشبه. أى كلفظ المنيه فى نحو «أظفار المنيه نشبت بفلان» المستعمل فى المشبه به، بادعاء أنه عينه عين المشبه به، و حينئذ يصير للمشبه به (فردان)، أحدهما حقيقى، و الآخر ادعائى فالمنيه: مراد بها السبع، بادعاء السبعيه لها، و إنكار أن تكون شيئا آخر غير السبع بقريته إضافة الأظفار التى هى من خواص المشبه به و هو السبع، و أنكر (السكاكى) (التبعيه) بمعنى أنها مرجوحه عنده، و اختار ردها إلى قريته المكنيه، ورد قريتها إلى نفس المكنيه، ففى نطق الحال مثلا- يقدر القوم: أن نطقت استعاره تبعيه و الحال قريته لها، و هو يقول: إن الحال استعاره بالكنايه، و نطقت قريتها و فى كلامه نظر من وجهين:

فقد شبه المنية، بالسبع، بجامع الاغتيال فى كل، و استعار السبع للمنية و حذفه. و رمز إليه بشىء من لوازمه، و هو الأظفار على طريق الاستعاره المكنيه الأصلية، و قرينتها لفظه أظفار.

(٢)

الأول: أن لفظ المشبه، لم يستعمل إلا فى معناه الحقيقى، فلا يكون استعاره. الثانى: أنه صرح بأن نطقت مستعاره للأمر الوهمى، أى المتوهم اثباته للحال، تشبيها بالنطق الحقيقى، فيكون استعاره، و الاستعاره فى الفعل لا تكون إلا تبعيه فيلزمه القول بالتبعيه، و أوجب عنه بأجوبه تطلب من المطولات. و أما مذهب (الخطيب) فإنه يقول: إن الاستعاره بالكنايه، هى التشبيه المضممر أركانه سوى المشبه المدلول عليه، بإثبات لازم المشبه به للمشبه و يلزم على مذهبه أنه لا وجه لتسميتها استعاره، لأن الاستعاره هى اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقه المشابهه، أو استعمال اللفظ المذكور، و التشبيه غير ذلك: بل هو فعل من أفعال النفس. تنبيه: المشبه: فى مواد الاستعاره بالكنايه، لا يجب أن يكون مذكورا بلفظ المشبه به، فيجوز ذكره بغير لفظه، كأن يشبه شىء كالتحافه و اصفرار اللون، بأمرين كاللباس، و الطعم المر البشع. و يستعمل لفظ أحد الأمرين فيه و يثبت له شىء من لوازم الآخر، كما فى قوله تعالى: فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ فَإِنْ شَبِهَ مَا غَشَى الْإِنْسَانَ عِنْدَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ مِنَ التَّحَافَةِ وَ اصْفِرَارِ اللَّوْنِ بِاللَّبَاسِ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى اللَّابِسِ وَ اشْتِمَالِ اثْرِ الضَّرَرِ عَلَى مَنْ بِهِ ذَلِكَ، فَاسْتَعِيرَ لَهُ اسْمَهُ، وَ شَبِهَ مَا غَشَى الْإِنْسَانَ عِنْدَ الْجُوعِ «أى ما يدرك من اثر الضرر و الألم، باعتبار أنه مدرك من حيث الكراهيه» بما يدرك من الطعم المر البشع، حتى أوقع عليه الإذاقه، فتكون الآيه مشتمله على الاستعاره المصرحه. نظرا إلى الأول، و المكنيه نظرا إلى الثانى، و تكون الإذاقه تخيلا بالنسبه للمكنيه، و تكون تجريدا بالنسبه إلى المصرحه لأنها تلائم المشبه، و هو التحافه و الاصفرار، لأنها مستعاره للإصابه، و كثرت فيها حتى جرت مجرى الحقيقه و يقال شبه ما غشى الإنسان عند الجوع و الخوف من أثر الضرر، باللباس، بجامع الاشتمال فى كل، و استعير اسم المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعاره التصريحيه و طريق اجراء الاستعاره الثانيه، أن يقال: شبه ما غشى الإنسان عند الجوع و الخوف من أثر الضرر، بالطعم المر البشع، بجامع الكراهه فى كل، و استعير لفظ المشبه به للمشبه، ثم حذف و أثبت له شىء من لوازمه و هو (الإذاقه) على سبيل الاستعاره المكنيه، و إثبات الإذاقه تخييل، و طريق إجراء الاستعاره الثالثه: أن يقال شبهت الإذاقه المتخيله، بالإذاقه المتحققه، و استعيرت المتحققه، للمتخيله، على سبيل التخيليه، على مذهب (السكاكى).

ثم أخذ الوهم: فى تصوير المنيه بصوره السبع، فاخترع لها مثل صوره الأظفار ثم أطلق على الصوره التى هى مثل صوره الأظفار، لفظ الأظفار. فتكون لفظه أظفار استعاره تخيليه لأن المستعار له لفظ أظفار صوره و هميه. تشبه صوره الأظفار الحقيقيه، و قرينتها إضافتها إلى المنيه.

و نظرا إلى أن الاستعاره التخيليه قرينه المكنيه؛ فهى لازمه لا تفارقها، لأنه لا استعاره بدون قرينه.

و إذا تكون أنواع الاستعاره ثلاثه: تصريحيه، و مكنيه، و تخيليه. (١)

ص: ٢٤٧

١-١). اعلم أن المذاهب فى التخيليه أربعه. الأول: مذهب السلف، و الخطيب: هو أن جميع أفراد قرينه المكنيه مستعمله فى حقيقتها، و التجوز إنما هو فى (الإثبات لغير ما هو له) المسمى استعاره تخيليه، فهما متلازمان، و هى من المجاز العقلى. الثانى: مذهب السكاكى: و هو أن قرينه المكنيه، تاره تكون تخيليه أى مستعاره لأمر وهمى: كأظفار المنيه و تاره تكون تحقيقيه، أى مستعاره لأمر محقق «كابلى ماء ك» و تاره تكون حقيقيه «كأثبت الربيع البقل» فلا تلازم بين التخيليه و المكنيه، بل يوجد كل منهما بدون الآخر، و قد استدل السكاكى على انفراد التخيليه عن المكنيه بقوله: [الكامل] لا تسقنى ماء الملام فإننى صب قد استعذبت ماء بكائى فإنه قد توهم: أن للملام شيئا شبيها بالماء، و استعاره اسمه له استعاره تخيليه غير تابعه للمكنيه، و رده العلامه (الخطيب) بأنه لا- دليل له فيه، لجواز أن يكون فيه استعاره بالكنايه، فيكون قد شبه الملام، بشيء مكروه، له ماء. و طوى لفظ المشبه به و رمز إليه بشيء من لوازمه، و هو الماء على طريق التخييل. و أن يكون من باب إضافه المشبه به إلى المشبه، و الأصل لا- تسقنى الملام الشبيه بالماء و أيضا: لا يخفى ما فى مذهب السكاكى من التعسف، أى الخروج عن طريق الجاده لما فيه من كثره الاعتبارات، و ذلك. أن المستعير يحتاج إلى اعتبار أمر وهمى، و اعتبار علاقته بين و بين الأمر الحقيقى، و اعتبار قرينه داله على أن المراد من اللفظ الأمر الوهمى، فهذه اعتبارات ثلاثه لا يدل لها دليل، و لا تمس إليها حاجه. الثالث: مذهب صاحب الكشاف و هو أنها تكون تاره مصرحه تحقيقيه، و تاره تكون تخيليه، أى مجازا فى الإثبات. الرابع: (مذهب صاحب السمرقديه) و هو مثل مذهب صاحب الكشاف غير أن الفرق بينهما: أن مدار

المبحث السادس فى الاستعاره باعتبار الطرفين

إن كان المستعار له محققا حسا بأن يكون اللفظ قد نقل إلى أمر معلوم، يمكن أن يشار إليه إشاره حسيه كقولك: رأيت بحرا يعطى. أو كان المستعار له محققا عقلا بأن يمكن أن ينص عليه. و يشار إليه إشاره عقليه، كقوله تعالى: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحه: ٦] أى: الدين الحق، فالاستعاره تحقيقيه.

و إن لم يكن المستعار له محققا، لا حسا و لا عقلا فالاستعاره تخيليه و ذلك: كالأظفار، فى نحو: أنشبت المنيه أظفارها بفلان.

المبحث السابع فى الاستعاره باعتبار اللفظ المستعار

إشاره

١- إذا كان اللفظ المستعار اسما جامدا لذات كالبدر إذا استعير للجميل، أو اسما جامدا لمعنى، كالقتل إذا استعير للضرب الشديد. سميت الاستعاره أصليه فى كل من التصريحيه

(١)

الأقسام عند صاحب الكشاف على الشيوخ، و عدمه و عند صاحب (السمرقنديه) على الإمكان و عدمه. تنبيه: الفرق: بين ما يجعل قرينه للمكنيه و بين ما يجعل نفسه تخيلا: على مذهب السكاكى أو استعاره تحقيقيه: على مذهب صاحب الكشاف فى بعض المواد، و على (مختار صاحب السمرقنديه) كذلك، أو إثباته تخيلا على مذهب (السلف، و صاحب الكشاف) فى بعض المواد، و على مختار (صاحب السمرقنديه) كذلك، و بين ما يجعل زائدا عليها (قوه الاختصاص) أى الارتباط بالمشبه به، فأيهما أقوى ارتباطا به فهو (القرينه) و ما سواه (ترشيح) و ذلك كالنشب فى قولك (مخالب المنيه نشبت بفلان) فإن (المخالب) أقوى اختصاصا و تعلقا بالسبع، من (النشب) لأنها ملازمه له دائما، بخلاف النشب.

ص: ٢٤٨

والمكنيه كقوله تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ [إبراهيم: ١] (١). و كقوله تعالى: وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ [الإسراء: ٢٤] (٢).

و سميت أصلية: لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر معتبر أولا.

٢-و إذا كان اللفظ المستعار فعلا (٣) أو اسم فعل، أو اسما مشتقا، أو اسما مبهما أو حرفا

ص: ٢٤٩

١-١) . يقال فى إجراء الاستعاره فى الآيه الأولى، شبهت الضلاله بالظلمه، بجامع عدم الاهتداء فى كل، و استعير اللفظ الدال على المشبه به، و هو الظلمه، للمشبه و هو الضلاله، على الاستعاره التصريحيه الأصلية.

٢-٢) . و يقال فى إجراء الاستعاره فى الآيه الثانيه، شبه الذل بطائر، و استعير لفظ المشبه به و هو الطائر، للمشبه و هو الذل، على طريق الاستعاره المكنيه الأصلية ثم حذف الطائر. و رمز إليه بشيء من لوازمه و هو الجناح.

٣-٣) . مثال الاستعاره التصريحيه فى الفعل. نطقت الحال بكذا، و تقريرها أن يقال: شبهت الدلاله الواضحه، بالنطق بجامع إيضاح المعنى فى كل. و استعير النطق للدلاله الواضحه، و اشتق من النطق بمعنى الدلاله الواضحه نطقت بمعنى دلت على سبيل الاستعاره التصريحيه التبعيه و نحو: يحيى الأرض بعد موتها يقدر تشبيه تزيينها بالنبات ذى النضره، بالإحياء، بجامع الحسن أو النفع فى كل، و يستعار الإحياء للتزيين، و يشتق من الإحياء بمعنى التزيين يحيى بمعنى يزين، استعاره تبعيه لجريانها فى الفعل تبعا لجريانها فى المصدر، هذا إذا كانت استعاره فى الفعل اعتبار مدلول صيغته، أى «مادته و هو الحدث» و أما إذا كانت باعتبار مدلول «هيئته و هو الزمن» كما فى قوله تعالى: أَتَىٰ أَمْرٌ لِّلَّهِ فَتَقْرِيرُهَا أَن يَقَالَ: شبه الإتيان فى المستقبل بالاتيان فى الماضى، بجامع تحقق الوقوع فى كل و استعير الاتيان فى الماضى للاتيان فى المستقبل و اشتق منه أتى بمعنى يأتى، على سبيل الاستعاره التصريحيه التبعيه، و نحو: وَ نَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَى ينادى، شبه النداء فى المستقبل، بالنداء فى الماضى، بجامع تحقق الوقوع فى كل، استعير لفظ النداء فى الماضى للنداء فى المستقبل. ثم اشتق منه نادى بمعنى ينادى، و نحو قوله تعالى: مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْفَدِنَا هَذَا ان قدر المرقد مستعارا للموت، فالاستعاره أصلية، و إن قدر لمكان الرقاد مستعارا للقبر، فالاستعاره تبعيه لأنها فى اسم المكان، فلا يستعار المرقد للقبر إلا بعد استعاره الرقاد للموت. و مثال الاستعاره فى اسم الفاعل، لزيد قاتل عمرا، إذا كان عمرو مضروبا ضربا شديدا، و مثالها فى اسم المفعول، عمرو مقتول لزيد، إذا كان زيد ضاربا لعمرو ضربا شديدا، و إجراء الاستعاره فيهما أن يقال: شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع شدة الإيذاء فى كل، و استعير اسم المشبه به للمشبه و اشتق من القتل بمعنى

الضرب الشديد قاتل أو مقتول، بمعنى ضارب أو مضروب، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيه. و مثالها فى الصفه المشبهه، هذا حسن الوجه، مشيرا إلى قبيحه، و إجراء الاستعارة فيه أن يقال، شبه القبح، بالحسن، بجامع تأثر النفس فى كل، و استعير الحسن للقبح تقديرا، و اشتق من الحسن بمعنى القبح حسن بمعنى قبيح، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيه التهكميه و مثال الاستعارة فى أفعل التفضيل، هذا أقتل لعبيده من زيد، أى أشد ضربا لهم منه. و مثال اسم الزمان و المكان، هذا مقتل زيد، مشيرا إلى مكان ضربه أو زمانه، و مثال اسم الآله، هذا مفتاح الملك: مشيرا إلى وزيره، و اجراءها أن يقال: شبهت الوزاره، بالفتح للأبواب المغلقه، بجامع التوسل إلى المقصود فى كل، و استعير الفتح للوزاره، و اشتق منه مفتاح بمعنى وزير. و مثال اسم الفعل المشتق، نزال بمعنى انزل. تريد به ابعده. فتقول شبهه معنى البعد، بمعنى النزول، بجامع مطلق المفارقة فى كل و استعير لفظ النزول لمعنى البعد، و اشتق منه نزال بمعنى أبعد، و مثال اسم الفعل غير اشتق «صه» بمعنى اسكت عن الكلام، تريد به اترك فعل كذا، فتقول شبه ترك الفعل، بمعنى السكوت، و استعير لفظ السكوت لمعنى ترك الفعل، و اشتق منه اسكت بمعنى اترك الفعل، و عبر بدل اسكت بصه، و مثال المصغر «رجيل» لمتعاطى ما لا يلىق، و مثال المنسوب «قرشى» للمتخلق بأخلاق قريش و ليس منهم. و مثال الاستعارة فى الحرف قوله تعالى: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا و اجراءها أن يقال شبهت المحبه و التبنى، بالعداوه و الحزن اللذين هما العله الغائيه للالتقاط بجامع مطلق الترتيب، و استعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعيه. و اعلم أن اللام لم تستعمل فى معناها الأصلى و هو العله. لأن عله التقاطهم له أن يكون لهم ابنا، و إنما استعملت مجازا (لعاقبه الالتقاط) و هى كونه لهم عدوا، فاستعيرت العله للعاقبه، بجامع أن كلا منهما مترتب على الالتقاط. ثم استعيرت اللام تبعا لاستعارتها، فالمستعار منه العله. و المستعار له العاقبه، و الترتب على الالتقاط هو الجامع، و القرينه على المجاز استحاله التقاط الطفل ليكون عدوا، و كقوله تعالى: وَ لَأَصِيْبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ و اجراءها أن يقال شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفيه بجامع التمكن فى كل، فسرى التشبيه من الكلين للجزئيات التى هى معانى الحروف فاستعير لفظ «فى» الموضوع لكل جزئى من جزئيات الظرفيه، لمعنى «على» على سبيل الاستعارة

فالاستعاره تصريحيه تبعيه نحو: نامت همومى عنى. و نحو: صه: الموضوع للسكوت عن الكلام، و المستعمل مجازا فى ترك الفعل و نحو: الجندى قاتل اللص، بمعنى ضاربه ضربا شديدا و نحو: هذا الموضوعه للإشاره الحسيه؛ و المستعمله مجازا فى الاشاره العقليه نحو: هذا رأى حسن، و نحو: قوله: وَ لَأَصِيَّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ [طه: ٧١] و نحو: قوله تعالى: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا [القصص: ٨].

و سميت تبعيه لأن جريانها فى المشتقات، و الحروف، تابع لجريانها أولا: فى الجوامد، و فى كليات معانى الحروف. يعنى: أنها سميت تبعيه لتبعيتها لاستعاره أخرى، لأنها فى المشتقات

(٣)

التصريحه التبعية، و مثال المكنيه التبعية فى الاسم المشتق يعجبني إراقه الضارب دم الباغى، و إجراء الاستعاره أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل، بجامع الإيذاء فى كل، و استعير القتل للضرب الشديد و اشتق من القتل القاتل بمعنى ضارب ضربا شديدا ثم حذف و أثبت له شىء من لوازمه و هو الإراقه على سبيل الاستعاره المكنيه التبعية، و مثالها فى الاسم المبهم قولك لجليسك المشغول عنك: أنت مطلوب منك أن تسير إلينا الآن، شبه مطلق مخاطب بمطلق غائب فسرى التشبيه للجزئيات، و استعير الثانى للأول، ثم استعير بناء على ذلك ضمير الغائب للمخاطب، و حذف و ذكر المخاطب، و رمز إلى المحذوف بذكر لازمه، و هو طلب السير منه إليك، و إثباته له تخيل. و اعلم أن استعاره الأسماء المبهمه أعنى الضمائر و أسماء الإشاره و الموصولات تبعيه، لأنها ليست باسم جنس لا تحقيقا و لا تأويلا، و لأنها لا تستقل بالمفهوميه لأن معانيها لا تتم و لا تصلح لأن يحكم عليها بشىء ما لم تصحب تلك الألفاظ فى الدلاله عليها ضميمه تتم بها، كالإشاره الحسيه و الصله و المرجع، فلا بد أن تعتبر التشبيه أولا فى كليات تلك المعانى الجزئيه، ثم سريانه فيها لتبنى عليه الاستعاره، مثلا فى استعاره لفظ «هذا» لأمر معقول، يشبه المعقول المطلق فى قبول التمييز بالمحسوس المطلق فيسرى التشبيه إلى الجزئيات فيستعار لفظ هذا المحسوس الجزئى للمعقول الجزئى الذى سرى إليه التشبيه، فهى استعاره تبعيه، و الاستعاره فى الضمير و الموصول المؤنث، أو بموصولها عنه لشبهه بها. أو عكسه. فتشبه المذكر المطلق، بالمؤنث، كالتعبير عن المذكر بضمير المطلق، فيسرى التشبيه، فتستعير الضمير، أو الموصول، للجزء الخاص.

ص: ٢٥١

تابعه للمصادر. نحو: ركب فلان كتفى غريمه (١)أى: لازمته ملازمه شديده. و لأنها فى معانى الحروف تابعه لمتعلق معانيها، إذ معانى الحروف جزئيه لا تتصور الاستعاره فيها إلا بواسطه كلى مستقل بالمفهوميه. ليتأتى كونها مشبها و مشبها بها أو محكوما عليها، أو بها. كقوله تعالى: **أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ** [البقره:٥]أى تمكنوا من الحصول على الهدايه التامه (٢)، و نحو: أذقته لباس الموت (٣)أى ألبسته إياه.

٣-و إذا كان اللفظ المستعار اسما مشتقا، أو اسما مبهما دون باقى أنواع التبعيه المتقدمه فالاستعاره تبعيه مكنيه. (٤)

تنبيهات عشره

التنبيه الأول: كل تبعيه قريبتها مكنيه.

التنبيه الثانى: إذا أجريت الاستعاره فى واحده من الاستعاره التصريحيه أو فى الاستعاره المكنيه، امتنع إجراؤها فى الأخرى.

التنبيه الثالث: تقسيم الاستعاره إلى أصليه و تبعيه عام فى كل من الاستعاره التصريحيه و المكنيه.

ص: ٢٥٢

١-١) . يقال فى إجرائها: شبه اللزوم الشديد، بالركوب، بجامع السلطه و القهر، و استعير لفظ المشبه به و هو الركوب للمشبه و هو اللزوم، ثم اشتق من الركوب بمعنى اللزوم ركب بمعنى لزم، على طريق الاستعاره التصريحيه التبعيه.

٢-٢) . يقال فى إجرائها: شبه مطلق ارتباط بين مهدي و هدى، بمطلق ارتباط بين مستعلى و مستعلى عليه بجامع التمكن فى كل، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات ثم استعيرت «على» من جزئى من جزئيات المشبه به، لجزئى من جزئيات المشبه على طريق الاستعاره التصريحيه التبعيه.

٣-٣) . يقال فى إجرائها: شبهت الإذاقه باللباس، و استعير الإلباس للإذاقه بجامع الاشتمال فى كل و اشتق منه ألبس بمعنى أذاق، على طريق الاستعاره التصريحيه التبعيه، ثم حذف لفظ المشبه به، و رمز إليه بشىء من لوازمه و هو اللباس، على طريق الاستعاره المكنيه.

٤-٤) . و لم يذكرها القوم. و لعلّه لعدم وجدانهم أياها فى كلام البلغاء.

التنبيه الرابع: تبين أن الاستعاره هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقه المشابهه، مع قرينه مانعه من إرادته المعنى الوضعى (١). أو هي: مجاز لغوى علاقته المشابهه، كقول زهير: [الطويل]

لدى أسد شاكى السلاح مقذف

له لبد اظفاره لم تقلم

فقد استعار لفظ الأسد: للرجل الشجاع. لتشابههما في الجراءه. و المستعار له هنا: محقق حسا.

و كقوله تعالى: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحه:٦]؛ فقد استعار الصراط المستقيم للدين الحق، لتشابههما في أن كلاً يوصل إلى المطلوب.

و كقوله تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ [إبراهيم:١] أى من الضلال إلى الهدى، فقد استعير لفظ الظلمات للضلال، لتشابههما في عدم اهتداء صاحبيهما، و كذلك استعير لفظ النور للإيمان. لتشابههما في الهدايه، و المستعارات لهما هو الضلال و الإيمان، كل منها محقق عقلا و تسمى هذه الاستعارات تصريحيه و تسمى تحقيقيه.

و أما قول أبى ذؤيب الهذلى: [الكامل]

و إذا المنيه أنشبت أظفارها

ألفيت كل تميمه لا تنفع

فشبه المنيه بالسبع. فى اغتيال النفوس قهرا. من غير تفرقه بين نفاع و ضرار، و لم يذكر لفظ المشبه به، بل ذكر بعض لوازمه و هو أظفارها التى لا يكمل الاغتيال فى السبع إلا بها. تنبيها على المشبه به المحذوف فهو استعاره مكنيه و كقوله: [الكامل]

و لئن نطقت بشكر برك مفصحا

فلسان حالى بالشكايه أنطق

فشبه الحال، بإنسان ناطق فى الدلاله على المقصود، و لم يصرح بلفظ المشبه به بل ذكر لازمه. و هو اللسان الذى لا تقوم الدلاله الكلاميه إلا به، تنبيها به عليه، فهو أيضا استعاره مكنيه. و قد اثبت للمشبه لازم من لوازم المشبه به، لا يكون إلا به كماله أو قوامه فى وجه الشبه

ص: ٢٥٣

١- (١). قد يراد بالاستعاره المعنى المصدرى: أى استعمال اللفظ فى غير ما وضع له فيكون اللفظ مستعارا، و المشبه به مستعارا منه، و المشبه مستعارا له.

كالأظفار التي لا يكمل الافتراض إلا بها. كما في المثال الأول و اللسان الذى لا تقوم الدلاله الكلاميه فى الإنسان إلا به، كما فى المثال الثانى و ليس للمنيه شىء كالأظفار نقل إليه هذا اللفظ، و لالحال شىء كاللسان نقل إليه لفظ اللسان. و ما كان هذا حاله يعتبر طبعا تخيلاً أو استعاره تخييله.

التنبه الخامس: تقدم أن الاستعاره التصريحيه أو المصرحه: هى ما صرح فيها بلفظ المشبه به. و أن المكنيه، هى ما حذف فيها لفظ المشبه به، استغناء ببعض لوازمه التى بها كماله أو قوامه فى وجه الشبه (1) و أن إثبات ذلك اللازم تخييل أو استعاره تخييله.

غير أنهم اختلفوا فى تعريف كل من المكنيه و التخييله.

فمذهب السلف: أن المكنيه: اسم المشبه به، المستعار فى النفس للمشبه، و أن إثبات لازم المشبه به للمشبه استعاره تخييله (2) فكل من الأظفار فى قوله: و إذا المنيه أنشبت أظفارها. و اللسان فى قوله: فلسان حالى بالشكايه أنطق حقيقه، لأنه مستعمل فيما وضع له.

ص: ٢٥٤

١- ١). إذا لم يكن اللازم كذلك، اعتبر ترشيحا، فالفرق بين الترشيح و التخييل: «أ» أن الترشيح يكون فى المصرحه و المكنيه: و التخييل، إنما يكون فى المكنيه. «ب» أن التخييل به كمال المشبه به، أو قوامه فى وجه الشبه، و لا يكون إلا كذلك.

٢- ٢). و على مذهبهم لا- تكون التخييله «مجازا لغويا» لأنها فعل من أفعال النفس و هو الإثبات، و المجاز اللغوى من عوارض الألفاظ. و على مذهبهم أيضا تتلازم المكنيه و التخييله، إلا- أن أحدهم و هو «الزمخشري» انفرد من بينهم بأن قال إن قرينه المكنيه قد تكون تحقيقه إذا كان للمشبه لازم يشبه لازم المشبه به نحو يُنْقَضُونَ عَهْدَ اللَّهِ فقد شبه العهد بالحبل بجامع أن كلاً يصل بين شيئين و يربطهما: فالعهد يربط المتعاهدين كما يربط الشيطان بالحبل، ثم حذف لفظ المشبه به و هو الحبل و استعير النقص و هو فك طاقات الحبل لإبطال العهد، بجامع الإفساد فى كل «استعاره أصلية تحقيقه» ثم اشتق من النقص ينقضون بمعنى يطلون، على سبيل الاستعاره، «التحقيقه التبعية» فالزمخشري يجمع بين المكنيه و التحقيقه أحيانا، على أن التحقيقه ليست مقصوده لذاتها، و إنما جاءت تبعا للمكنيه، للدلاله عليها، فلا تلازم عنده بين المكنيه و التخييله. إلا أن يدعى أن القرينه «تصريحيه» باعتبار المعنى المقصود فى الحاله الراهنه «تخييله» باعتبار الإشعار بالأصل. أما غيره من السلف فتقول: شبه العهد بالحبل، و حذف لفظ الحبل، و رمز إليه بلازمه، و هو النقص و إثبات النقص للعهد تخييل.

و مذهب «الخطيب القزويني» أن المكنيه هي التشبيه المضمرة في النفس، المرموز إليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه و هذا الإثبات هو الاستعاره التخيليه. (١)

و مذهب «السكاكي» أن المكنيه لفظ المشبه، مرادا به المشبه به (٢) فالمراد بالمنيه في قوله: و إذا المنيه أنشبت أظفارها هو السبع بادعاء السبعيه لها. و إنكار أن تكون شيئا غير السبع، بقرينه إضافه الأظفار التي هي من خواص السبع إليها. و التخيليه عنده ما لا تحقق لمعناه. لا- حسا و لا عقلا بل هو صورته وهميه محضه: كالأظفار في ذلك المثال فإنه لما شبه المنيه، بالسبع في الاغتيال، أخذ الوهم بصورها بصورته. و اخترع لها لوازمه، فاخترع لها صورته كصوره الأظفار. ثم أطلق عليها لفظ الأظفار فيكون لفظ الاظفار استعاره تصريحيه تخيليه.

اما أنها تصريحيه: فلأنه صرح فيها بلفظ المشبه به و هو اللازم الذي أطلق على صورته وهميه شبيهه بصوره الاظفار المحققه.

أما أنها تخيليه: فلأن المستعار له غير محقق لا حسا و لا عقلا. و القرينه على نقل الأظفار

ص: ٢٥٥

١- ١). من هذا التعريف نفهم أولا: أن «القزويني» يخالف السلف في تعريف المكنيه و يتفق معهم في قرينتها. و نفهم ثانيا أن المكنيه و التخيليه عند القزويني فعلا من أفعال النفس هما التشبيه و الإثبات، فليسا من المجاز اللغوي، لأنه من عوارض الألفاظ و تكون التخيليه عند القزويني و القوم «مجازا عقليا»، لما فيها من إثبات الشيء لغير ما هو له، و إنما سموها (استعاره) لما فيها من نقل اللازم من ملاءمه الأصل، و هو المشبه به إلى المشبه، و سموها تخيليه لأن اللازم لما نقل من المشبه به إلى المشبه صار السامع يخيل إليه أن المشبه من جنس المشبه به. و نفهم ثالثا أن لفظ اللازم في المكنيه حقيقه عند (القزويني).

٢- ٢). تقرير الاستعاره على مذهب (السكاكي) أن يقال: شبهنا المنيه التي هي الموت المجرد عن ادعاء السبعيه، بالسبع الحقيقي، و ادعينا أنها فرد من أفرادها، و أن للسبع فردين فردا متعارفا و هو الحيوان المفترس، و فردا غير متعارف و هو الموت الذي ادعيت له السبعيه، و استعير اسم المشبه و هو المنيه بمعنى ذلك الفرد غير المتعارف، أعنى الموت الذي ادعيت له السبعيه، فصح بهذا أنه قد أطلق اسم المشبه، و هو المنيه و أريد به المشبه به، و هو السبع.

من معناها الحقيقي إلى المعنى المتخيل، إضافتها إلى المنية. (١)

هذا، و مذهب السكاكي في المكنية مردود عليه. بأن لفظ المشبه فيها مستعمل فيما وضع له تحقيقا، للقطع بأن المراد بالمنية الموت لا غير: فليس مستعارا.

التنبيه السادس: الاستعارة صفة للفظ على المشهور؛ و الحق أن المعنى يعار أولا ثم يكون اللفظ دليلا على الاستعارة، و ذلك:

١- لأنه إذا لم يكن نقل الاسم تابعا لنقل المعنى تقديرا لم يكن ذلك استعارة مثل الأعلام المنقولة فأنت إذا سميت إنسانا بأسد، أو نمر، أو كلب، لا يقال إن هذه الأسماء مستعارة؛ لأن نقلها لم يتبع نقل معانيها تقديرا.

٢- لأن البلغاء: جزموا بأن الاستعارة؛ ابلغ من الحقيقة فإن لم يكن نقل الاسم تابعا لنقل المعنى، لم يكن فيه مبالغه، إذ لا مبالغه في إطلاق الاسم المجرد عن معناه.

التنبيه السابع: ظهر أن الاستعارة باعتبار اللفظ نوعان أصليه و تبعيه.

فالأصليه: ما كان فيها المستعار اسم جنس غير مشتق، سواء أكان اسم ذات كأسد للرجل الشجاع، أم اسم معنى، كقتل للإذلال، و سواء أكان اسم جنس حقيقه كأسد و قتل، أم تأويلا كما في الأعلام المشهوره بنوع من الوصف كحاتم في قولك: رأيت اليوم حاتما، تريد رجلا كامل الجود فاعتبر لفظ حاتم في قوه الموضوع لمفهوم كلى، حتى كاد يغلب استعماله في كل من له وصف حاتم، فكما أن اسدا يتناول الحيوان المفترس و الرجل الشجاع: كذلك حاتم يتناول الطائي و غيره ادعاء، و يكون استعماله في الطائي حقيقه، و في غيره مجازا، لأن الاستعارة مبنيه على ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، فلا بد أن يكون المشبه به كليا ذا أفراد.

ص: ٢٥٦

١ - ١). يرى (السكاكي) أن التخيليه قد توجد من غير المكنية كقولهم: أظفار المنية التي كالسبع نشبت بفلان، ففي أظفار (استعارة تخيليه) وجدت مع تشبيهه صريح، و لكن هذا بعيد إذ لم يوجد له نظير في الكلام العربي، فالفرق بين السكاكي و غيره أن السكاكي يرى أن كل مكنيه معها تخيليه و لا عكس، و غيره (إلا الزمخشري) يقول إنهما متلازمان.

و المراد باسم الجنس غير المشتق ما صلح لأن يصدق على كثيرين من غير اعتبار وصف من الأوصاف في الدلالة.

و ليس العلم الشخصى و اسم الإشارة و الضمير و الموصول من الكليات، فلا تصح أن تجرى فيها الاستعارة الأصلية. أما المشتق فالصفه جزء من مدلوله وضعا، لأنه موضوع لذات متصفه بصفه، فكريم موضوع لذات متصفه بالكرم، و قتل موضوع لذات متصفه بوقوع القتل عليها.

و قد اعتبرت الأعلام التى تتضمن معنى الوصف اسم جنس تأويلا و لم تعتبر من قبيل المشتق، لأن الوصف ليس جزءا من معناها وضعا، بل هو لازم له، غير داخل فى مفهومه، فحاتم لم يوضع للدلالة على الجود و لا على ذات متصفه به، و لكن الجود عرض له. و لزمه فيما بعد.

التنبية الثامن: التبعيه (1) ما كان فيها المستعار مشتقا، و يدخل فى هذا: الفعل و الاسم المشتق، و الحرف.

ص: ٢٥٧

١- ١). كذلك يدخل فيه الاسم المبهم، فقد جعل بعضهم استعارة الإشارة و الضمير و الموصول من التبعيه، لأن كلاً من هذه المبهمات ليس من اسم الجنس لا تحقيقاً و لا تأويلا، إذ إن معانيها جزئية، و الأصلية: مختصه باسم الجنس، فاذا قلت: هذا رأى حسن، فقد استعرت اسم الإشارة من المحسوس للمعقول، و يقال: شبه المعقول مطلقاً بالمحسوس مطلقاً فى قبول التمييز و التعبير، فسرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات فاستعير لفظ (هذا) من جزئى المشبه به لجزئى المشبه استعارة تبعيه، لقصد المبالغه فى بيان تعيين المعقول، و إذا قلت لنسوه: إنى منتظركم، فقد شبهت مطلق مخاطبه فيها عظمه، بمطلق مخاطب فيه عظمه، بجامع العظمه فى كل. فسرى التشبيه من الكلين إلى الجزئيات فاستعير ضمير جماعه المذكور من جزئى المشبه به لجزئى المشبه، استعارة تبعيه، و كذا إذا استعملت فى المؤنث ما وضع من أسماء الموصول فى المذكر. و إذا عاد الضمير أو اسم الإشارة على مجاز: نحو: زارنى هذا الأسد فأكرمته فليس فيهما تجوز بناء على أن وضعهما أن يعودا على ما يراد بهما من حقيقه أو مجاز، و قيل فيهما تجوز تبعاً لما يرجعان إليه و يكونان مستعارين بناء على التشبيه و الاستعارة فى مرجعهما، فيدخلان فى التبعيه.

فاستعاره الفعل (١)، نحو قوله تعالى: **إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** [الحاقة: ١١] و نحو قوله تعالى: **وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا** [الأعراف: ١٦٨] و نحو قوله تعالى: **فَبَشَّرْنَاهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** [آل عمران: ٢١، التوبة: ٣٤]

يقال: شبه زيادة الماء زياده مفسده، بالطغيان، بجامع مجاوزه الحد فى كل، و ادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعير المشبه به للمشبه: على سبيل الاستعاره التصريحيه الأصلية، ثم اشتق من الطغيان بمعنى الزيادة طغى بمعنى زاد، و علا؛ على سبيل الاستعاره التصريحيه التبعيه.

هذا: و قد يستعمل لفظ الماضى موضع المضارع، بناء على تشبيه المستقبل المحقق، بالماضى الواقع، بجامع تحقق الوقوع فى كل، نحو: قوله تعالى: **وَقَالُوا لَوْلَا نُجِّلُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا** [فصلت: ٢١]. و قد يعبر بالمضارع عن الماضى، بناء على تشبيه غير الحاضر بالحاضر فى استحضار صورته الماضيه، لنوع غرابه فيها. نحو: قوله تعالى **إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ** .

التنبیه التاسع: استعاره المشتق: إما صفة (٢)، و أما اسم زمان؛ أو مكان أو آله فالصفه،

ص: ٢٥٨

١- ١) . لو دخلت أن المصدريه على فعل مستعار نحو: يسوءنى أن يطغى الماء على قربتى، فالحق أنها تبعيه و أن المستعار هو الفعل وحده و هو الذى حل محل يكثر أو يعلو. و العبره باللفظ. و المصدر غير ملفوظ به، و «أن» إنما هى آله فى السبك أتى بها لغرض هو تأويل مدخولها بمصدر. فإذا أدى بها هذا الغرض طرحت كما طرح الآله إثر إتمام العمل الذى يؤدي بها. و قال بعضهم إنها أصلية نظرا للمصدر المؤول.

٢- ٢) . يراد بالصفه: اسم الفاعل و اسم المفعول و الصفه المشبه و اسم التفضيل و يلحق بها المصغر و المنسوب كرجيل إذا أريد به رجل كبير تعاطى ما لا يليق به و كقرشى لمصرى يتخلق بأخلاق القرشيين فإن استعارتهما تابعه لاستعاره مصدرين يؤدي هذان اللفظان معناهما و هما صغير و منتسب الى قريش. شبه فعل ما لا يليق بالصغر، بجامع أن كلاً يسقط الهيبة، و استعير لفظ الصغر لفعل ما لا يليق ثم اشتق منه صغير بمعنى فاعل ما لا يليق، ثم عبر عن فاعل ما لا يليق بلفظ رجيل. أو شبه رجيل، أو شبه مطلق فعل ما لا يليق، بمطلق الصغر، فسرى التشبيه إلى فردى المشبه و المشبه به، و هما فاعل ما لا يليق و رجيل، ثم استعير بناء على التشبيه الحاصل بالسريان رجيل للكبير الذى يفعل فعل الصغير، و شبه التخلق بأخلاق قريش الانتساب إليهم، و استعير الانتساب للتخلق و اشتق منه المنتسب بمعنى المتخلق بأخلاقهم ثم عبر عن هذا بلفظ يؤديه و هو «قرشى» على سبيل الاستعاره التصريحيه التبعيه.

نحو: حكم على قاتلك بالسجن، من القتل بمعنى الضرب الشديد، مجازا. و نحو: إنما أصادف الأَصم عن الخنى، و أجاوز الأعمى عن العورات، و نحو: فلسان حالى بالشكايه أنطق: أى أدل. و نحو قوله تعالى: مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا و نحو: جئت بمقتالك (١): أى بالآله التى أضربك بها ضربا شديدا.

التنبيه العاشر: مدار قرينه التبعية فى الفعل و المشتق على ما تأتى:

١-على الفاعل: نحو: إنا لما طغى الماء، و نظفت الحال بكذا (٢).

٢-أو على نائبه: نحو: ضربت عليهم الذله و المسكنه (٣).

٣-أو على المفعول به، نحو: [المديد]

جمع الحقّ لنا فى إمام

قتل البخل و أحيا السماحا (٤)

٤-أو على المفعول به الثانى-نحو: [الوافر]

صبحنا الخزرجيه مرهفات

أباد ذوى أرومتها ذووها (٥)

ص: ٢٥٩

١-١). شبه الضرب بالقتل بجامع شده الإيذاء فى كل، ثم استعير للضرب الشديد على سبيل الاستعاره التصريحيه الأصلية، ثم اشتق منه «مقتال» بمعنى آله الضرب على سبيل الاستعاره التبعية و شبه الأعراض عن سوء القول و عدم سمعه بالصمم بجامع عدم تأثير النفس بالقول فى كل. و كذلك شبه الإغضاء عن العورات بالعمى، بجامع عدم تأثير النفس بالمرئى فى كل.

٢-٢). لأن كلاً من الطغيان و النطق من شأن الإنسان.

٣-٣). لأن الضرب من شأن الخيام، لا من شأن الذله التى هى أمر معنوى.

٤-٤). لأن القتل و الإحياء لا يقعان إلا على ذى روح، و البخل و السماح معنويان لا روح فيهما، فدل هذا: على أن المراد بالقتل الإزالة، و بالإحياء الإكثار. شبه الإزالة بالقتل بجامع ما يترتب على كل من العدم و الإكثار بالإحياء بجامع إظهار المتعلق فى كل.

٥-٥). القرينه تعلق الفعل «صبح» بمرهفات و هى مفعول به ثان يقال: صبحه كقطع سقاه الصبوح، و هو شراب الغداه، و مرهفات أى سيوفا مرهفات، يقال أرهف السيف إذا حدده و رققه: و اباده أهلكه، و الأرومه الأصل

٥- أو على الفاعل و المفعولين، كقول الشاعر: [البسيط]

تقرى الرياح رياض الحزن مزهره

إذا سرى النوم فى الأجفان إيقاظا (١)

٦- أو على مفعولين؛ كقوله تعالى: وَقَطَعْنَا هُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا

٧- أو على المجرور: نحو: فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢) و نحو فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ [الحجر: ٩٤] و نحو: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ [الأنبياء: ١٨].

هذا و قد تكون قرينه التبعيه غير ذلك، نحو: قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا [يس: ٥٢] (٣) إذ القرينه فى هذه الآيه، كونه من كلام الموتى، مع قوله: هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ [يس: ٥٢].

التنبيه الحادى عشر: استعاره الحرف (٤) نحو فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا [القصص: ٨]

(٥)

و الضمير فى أرومتها للخزرجيه، و فى «ذووها» للمرهفات يقول: أبدنا أصول هذه القبيله بسيوفنا المرهفات، و نزل التضاد منزله التناسب، فشبّه الإساءه إلى الخزرجيه صباحا بالإحسان إليهم، و تقديم الصبح لهم، بجامع إدخال السرور على النفس فى كل، و إن كال ادعائيا فى المشبه، ثم استعار الفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعاره التصريحيه الأصلية العناديه التهكميه، ثم اشتق من الصبح بمعنى الضرب بالمرهفات «صبح» بمعنى ضرب بها على سبيل الاستعاره التبعيه.

ص: ٢٦٠

١- ١). الجفن غطاء العين و غلاف السيف استعير لأكمام الزهر بجامع التغطيه فى كل، و كنى بسريان النوم فيها عن ذبولها، و إيقاظ مصدر أيقظ مصدر مستعار لتفتيح الزهر و ايجاد النضره و البهجه فيه، و قد حسن التعبير بالإيقاظ مجيئه بعد النوم و الأجفان، و المعنى: تهب الرياح على بساتين الحزن فتكسوها تفتيحا و حسنا و نضاره.

٢- ٢). قوله بعذاب: قرينه على أن «بشر» مستعار، لأن التبشير بما يسر فلا يناسب تعلقه بالعذاب، و قوله: «بما تؤمر» كذلك لأنه معنوى و الصدع المحسوس، كما أن الحق معنوى أيضا، فكل منها كان صارفا عن المعنى الأصلي للفعل إلى المعنى المجازى.

٣- ٣). هذا على أن مرقد اسم مكان، و الا فالاستعاره أصلية كما تقدم.

٤- ٤). إيضاح: مثل الابتداء و الظرفيه و الاستعلاء معان كليه، يصح أن تكون مستقله بالفهم، يحكم بها و عليها، و تكون مقصوده لذاتها، و لكن لابتداء المفهوم من لفظ «من» ابتداء مخصوص لم بقصد لذاته، بل الغرض منه

فقد شبه مطلق ترتب عله واقعيه على فعل (١)، بمطلق ترتب عله غائيه على فعل (٢)، بجامع مطلق الترتب في كل (٣)، فسرى التشبيه من الكلين إلى الجزئيات، ثم استعمل في جزئي المشبه (٤) اللام الموضوعه لجزئي المشبه به (٥) على سبيل الاستعاره التبعية، و نحو قوله تعالى: وَ لَأَصْلَبُنَّكُمْ فِي حُذُوعِ النَّخْلِ [طه: ٧١] (٦) و نحو قوله تعالى: أُولَئِكَ عَلَيَّ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ [البقره: ٥] (٧)، و نحو: زيد في نعمه (٨).

و من هذه الأمثله السابقه: يتبين أنه لا يشترط أن يكون للمشبه حرف موضوع له يدل عليه.

(٤)

الربط بين معنيين مستقلين بالفهم، و هما السير و البصره في قولك: سرت من البصره و لذا كان جزئيا بالنسبه للابتداء الأول، و ما قيل في الابتداء، يقال نظيره في الظرفيه و العله الغائيه و الاستعلاء و غيرها من المعاني التي تستفاد من الحروف نحو: في، و اللام، و على. فأى معنى يستفاد من الحرف في جمله ما، يعتبر جزئيا من كليه، غير مقصود لذاته، بل للربط بين معنيين مستقلين، و تعتبر الحروف حينئذ روابط بين المعاني المقصوده.

ص: ٢٤١

- ١-١) . العداوه و الحزن عله واقعيه للالتقاط.
- ٢-٢) . العله الغائيه لفعل هي التي تحمل على تحصيله التحصل بعد حصوله كتبني فرعون لموسى، و محبه موسى إياه، لأن فرعون و آله إنما كفلوه بعد التقاطه لذلك.
- ٣-٣) . إلا أن الترتب في الغائيه [رجائى أو تقديرى] و في العداوه و الحزن [واقعي].
- ٤-٤) . جزئي المشبه هنا هو ترتب العداوه و الحزن الخاصين المتعلقين ب[موسى].
- ٥-٥) . جزئي المشبه به هنا هو ترتب عله الالتقاط الخاصه: و هي تبني موسى و المحبه، لأنهما متقدمان على كفالتة بعد الالتقاط، و مرتبان عليه في الخارج.
- ٦-٦) . شبه مطلق ارتباط بين مستعل و مستعلى عليه، بمطلق ارتباط بين ظرف و مظروف، بجامع التمكن، أو مطلق الارتباط في كل. فسرى التشبيه من الكلين إلى الجزئيات، فاستعير لفظ «في» من جزئيات المشبه به، لجزئي من جزئيات المشبه استعاره تبعيه.
- ٧-٧) . شبه مطلق ارتباط بين مهدي و هدى بمطلق ارتباط بين مستعل و مستعلى عليه، بجامع مطلق الارتباط في كل، فسرى التشبيه من الكلين إلى الجزئيات، فاستعير لفظ «على» من جزئيات المشبه به، لجزئي المشبه، استعاره تبعيه.
- ٨-٨) . شبه مطلق ملابسه الإنسان للنعمه، بمطلق ملابسه بين ظرف و مظروف بجامع مطلق الملابسه في كل، فسرى التشبيه من الكلين إلى الجزئيات، فاستعير لفظ «في» من جزئيات المشبه به، لجزئي من جزئيات المشبه، استعاره تبعيه.

و اختار السكاكى تقليلا لأقسام الاستعاره: أن يستغنى عن التبعيه فى الفعل، و المشتق، و الحرف، بأن يجعل قرينه التبعيه استعاره مكنيه، و أن يجعل التبعيه قرينه للمكنيه؛ ففى قوله تعالى: **إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** [الحاقه: ١١] يجعل القوم الطغيان مستعارا للكثرة المفسده. و يقول «السكاكى» فى لفظ الماء استعاره مكنيه، و نسبه الطغيان إليه قرينه.

المبحث الثامن فى تقسيم الاستعاره المصرحه باعتبار الطرفين إلى عناديه و وفاقيه

فالعناديه: هى التى لا يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد لتنافيهما كاجتماع النور و الظلام.

و الوفاقيه: هى التى يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد لعدم التنافى كاجتماع النور و الهدى.

و مثالهم قوله تعالى: **أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ** [الأنعام: ١٢٢] أى ضالا فهديناه.

ففى هذه الآيه استعارتان.

الأولى: فى قوله ميتا شبه الضلال: بالموت، بجامع ترتب نفي الانتفاع فى كل. و استعير الموت للضلال، و اشتق من الموت بمعنى الضلال، ميتا بمعنى ضالا، و هى عناديه، لأنه لا يمكن اجتماع الموت و الضلال فى شىء واحد.

و الثانيه: استعاره الإحياء للهدايه، و هى وفاقيه لإمكان اجتماع الإحياء و الهدايه فى الله تعالى: فهو محيى و هاد.

ثم العناديه: قد تكون تمليحيه، أى المقصود منها التمليح و الظرافه. و قد تكون تهكميه أى المقصود منها التهكم و الاستهزاء، بأن يستعمل اللفظ الموضوع لمعنى شريف، على ضده أو نقيضه، نحو رأيت أسدا تريد جبانا، قاصدا التمليح و الظرافه، أو التهكم و السخرية: و هما اللتان نزل فيهما التضاد، منزله التناسب-نحو: **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** [آل عمران: ٢١، التوبه: ٣٤] أى أنذرهم فاستعيرت البشاره التى هى الخبر السار، للإندار الذى هو ضده بإدخال الإنذار فى جنس البشاره، على سبيل التهكم و الاستهزاء. و كقوله تعالى: **فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ** [الصفات: ٢٣].

(١-١) . الجامع فى الاستعاره: بمثابه «وجه الشبه» فى التشبيه، و هو ما قصد اشتراك الطرفين فيه، و سمي جامعا لأنه جمع المشبه فى أفراد المشبه به تحت مفهومه و أدخله فى جنسه ادعاء، و لا- بد أن يكون فى المستعار منه أقوى، لأن الاستعاره مبنيه على المبالغه فى التشبيه، و المبالغه فيه توجب ابلاغ المشبه لما هو أكمل. و ينقسم الجامع، إلى داخل و خارج، فالأول: ما كان داخلا فى مفهوم الطرفين نحو قوله تعالى: **وَ قَطَّعُوا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا فَاسْتَعِيرَ التَّقْطِيعَ الْمَوْضُوعَ لِإِزَالَةِ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الْأَجْسَامِ الْمَلْتَصِقِ** بعضها ببعض، لتفريق الجماعه و إبعاد بعضها عن بعض. و الجامع إزالة الاجتماع، و هى داخله فى مفهومها و هى فى القطع أشد. و الثانى: و هو ما كان خارجا عن مفهوم الطرفين، نحو: رأيت أسدا، أى: رجلا- شجاعا، فالجامع و هى الشجاعه أمر عارض للأسد، لا- داخل فى مفهومه. و ينقسم الجامع أيضا باعتباره، و باعتبار الطرفين، إلى سته أقسام، لأن الطرفين إما حسيان و إما عقليان «أو المستعار منه حسى و المستعار له عقلى أو بالعكس» و الجامع فى الأول من الصور الأربع تاره يكون حسيا و تاره يكون عقليا و أخرى مختلفا، و فى الثلاث الأخيره لا- يكون إلا- عقليا. مثال ما إذا كان الطرفان حسيين و الجامع كذلك قوله تعالى: **فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَإِنْ الْمُسْتَعَارُ مِنْهُ وَلَدَ الْبَقْرِ، وَ الْمُسْتَعَارُ لَهُ الْحَيَوَانَ الْمَصْغُوعَ مِنْ «حَلَى الْقَبْطِ» بَعْدَ سَبْكِهَا** بنار السامرى، و إلقاء التراب المأخوذ من أثر فرس جبريل عليه السلام، و الجامع لهما الشكل و الخوار، فإنه كان على شكل ولد البقر، مما يدرك بحاسه البصر «و بحث بعضهم بأن إبدال جسدا من عجلا يمنع الاستعاره». و مثال ما إذا كان الطرفان حسيين، و الجامع عقلى، قوله تعالى: **وَ آيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسِخٌ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ** أى تكشف و نزيل الضوء من مكان الليل، و موضوع ظلمته، فإن المستعار منه أعنى السلخ و هو كشط الجلد و إزالته عن الشاه و نحوها و المستعار إزالة الضوء عن مكان الليل و موضع ظلمته: و هما حسيان. و الجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر بحصوله عقبه، كترتب ظهور اللحم على السلخ و الكشط. و ترتب حصول الظلمه على إزالة ضوء النهار عن مكان ظلمه الليل و الترتب عقلى، و إجراء الاستعاره، شبه كشف

الضوء عن الليل، بكشط الجلد عن نحو الشاه: بجامع ترتب ظهور شيء على شيء في كل، و استعير لفظ المشبه به و هو «السلخ» للمشبه، و هو كشف الضوء و اشتق من «نسلخ» بمعنى نكشف، على طريق الاستعاره التصريحيه التبعية. و مثال ما إذا كان الطرفان حسيين، و الجامع بعضه حسى، و بعضه عقلى. قولك رأيت بدرا يضحك، تريد شخصا مثل «البدرا» فى حسن الطلعه و علو القدر. حسن الطلعه حسى. و علو القدر عقلى، و مثل ما إذا كان الطرفان عقليين و لا يكون الجامع فيهما إلا عقليا، كباقي الأقسام. قوله تعالى: مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ «المرقاد» أى. النوم و المستعار له الموت و الجامع بينهما عدم ظهور الافعال الاختياريه (و الجميع عقلى)، و إجراء الاستعاره: شبه الموت بالنوم بجامع عدم ظهور الفعل فى كل، و استعير لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعاره التصريحيه الأصلية، و قال بعضهم عدم ظهور الفعل فى الموت أقوى. و شرط الجامع أن يكون فى المستعار منه أقوى، فليجعل الجامع هو «البعث» الذى هو فى النوم أظهر، و قرينه الاستعاره أن هذا الكلام كلام الموتى، مع قوله: هَذَا مَا وَعَدَ الرَّخْمَنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ و على هذا يقال: شبه الموت بالمرقاد، بجامع عدم ظهور الفعل فى كل. و استعير الرقاد للموت و اشتق منه «مرقد» اسم مكان ارقاد بمعنى قبر اسم مكان الموت، على طريق الاستعاره التصريحيه التبعية، و مثال ما إذا كان المستعار منه حسيا، و المستعار له عقليا قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ كَسْر الزجاجة، و هو أمر حسى، باعتبار متعلقه و المستعار له التبليغ جهرا و الجامع التأثير الذى لا- يمكن معه رد كل منهما إلى ما كان عليه، أى: أظهر الأمر إظهارا لا ينمحي كما أن صدع الزجاجه لا يلتئم و إجراء الاستعاره: شبه التبليغ جهرا، بكسر الزجاجه، بجامع التأثير الشديد فى كل و استعير المشبه به و هو «الصدع» للمشبه و هو التبليغ جهرا، و اشتق منه اصدع بمعنى بلغ جهرا، على طريق الاستعاره التصريحيه التبعية، و مثال ما إذا كان المستعار منه عقليا، و المستعار له حسيا قوله تعالى: إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ كَثْرَة الماء كثره مفسده و هى حسيه، و المستعار منه التكبر، و الجامع الاستعلاء المفرط، و هما عقليان و إجراء الاستعاره، شبهت كثره الماء المفرطه بمعنى الطغيان و هو مجاوزه الحد، بجامع الاستعلاء المفرط فى كل. و استعير لفظ المشبه به. و هو الطغيان للمشبه و هو الكثره المفرطه، و اشتق منه طغى بمعنى كثر كثره مفرطه على طريق الاستعاره التصريحيه التبعية.

و كقوله: [الوافر]

و أدهم يستمدّ الليل منه

و تطلع بين عينيه الثريا

فقد استعار الثريا، غزّه المهر، و الجامع بين الطرفين ظاهر، و هو البياض و قد يتصرّف فى العاميه بما يخرجها إلى الغرابه.

٢- و خاصيه: و هى الغريبه التى يكون الجامع فيها غامضا، لا يدركه إلا أصحاب المدارك من الخواص كقول كثير يمدح عبد العزيز بن مروان: [الكامل]

غمر الرّداء، إذا تبسم ضاحكا

غلقت لضحكته رقاب المال

غمر الرداء كثير العطايا و المعروف استعار الرّداء للمعروف، لأنه يصون و يستر عرض صاحبه، كستر الرداء ما يلقى عليه، و أضاف إليه الغمر، و هو القرينه على عدم إرادته معنى الثوب لأن الغمر من صفات المال، لا من صفات الثوب.

و هذه الاستعاره: لا يظفر باقتطاف ثمارها إلا ذوو الفطر السليمه و الخبره التامه.

المبحث العاشر فى تقسيم الاستعاره باعتبار ما يتصل بها من الملاءمات، و عدم اتصالها

تنقسم الاستعاره: باعتبار ذكر ملاءم المستعار منه أو باعتبار ذكر ملاءم المستعار له أو باعتبار عدم اقترانها بما يلائم أحدهما.

إلى ثلاثه أقسام: مطلقه، و مرشحه، و مجردة.

أ- فالمطلقه: هى التى لم تقترن بما يلائم المشبه و المشبه به، نحو: يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ [البقره: ٢٧، الرعد: ٢٥] أو ذكر فيها ملاءمهما معا، كقول زهير: [الطويل]

لدى أسد شاكى السلاح مقذف

له لبد أظفاره لم تقلم

ص: ٢٦٥

استعار الأسد: للرجل الشجاع، وقد ذكر ما يناسب المستعار له، في قوله: شاكى السلاح مقذف و هو التجريد، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه، في قوله: له لبد أظفاره لم تقلم و هو الترشيح، و اجتماع التجريد و الترشيح يؤدى إلى تعارضهما و سقوطهما، فكأن الاستعاره لم تقترن بشيء و تكون فى رتبه المطلقه.

ب- و المرشحه: هى التى قرنت بملائم المستعار منه أى المشبه به، نحو: **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحُوا تِجَارَتَهُمْ** [البقره: ١٦] استعير الشراء للاستبدال و الاختيار، ثم فرع عليها ما يلائم المستعار منه من الربح و التجاره و نحو، من باع دينه بدنياه لم ترباح تجارته.

و سميت مرشحه: لترشيحها و تقويتها بذكر الملائم، و ترشيح الاستعاره التصريحيه متفق عليه.

ج- و المجرده: هى التى قرنت بملائم المستعار له أى لمشبهه نحو: اشتر بالمعروف عرضك من الأذى.

و سميت بذلك: لتجريدها عن بعض المبالغه، لبعده المشبهه حينئذ عن المشبه به بعض بعد؛ و ذلك يبعد دعوى الاتحاد الذى هو منبى الاستعاره.

ثم اعتبار الترشيح و التجريد، إنما يكون بعد تمام الاستعاره بقرينتها سواء أكانت القرينه مقالیه أم حالیه فلا تعد قرينه المصرحه تجريدا و لا قرينه المكنيه ترشيحا بل الزائد على ما ذكر.

و اعلم أن الترشيح أبلغ من غيره، لا شتماله على تحقيق المبالغه بتناسى التشبيه، و ادعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه لا شيء شبيه به و كأن الاستعاره غير موجوده أصلا، و الإطلاق أبلغ من التجريد فالتجريد أضعف الجميع، لأن به تضعف دعوى الاتحاد.

و إذا اجتمع ترشيح و تجريد: فتكون الاستعاره فى رتبه المطلقه، إذ بتعارضهما يتساقطان، كما سبق تفصيله.

و كما يجرى هذا التقسيم فى التصريحه يجرى أيضا فى المكنيه (١)

المبحث الحادى عشر فى المجاز المرسل المركب

المجاز المرسل المركب: هو الكلام المستعمل فى غير المعنى الذى وضع له، لعلاقه غير المشابهه: مع قرينه مانعه من إرادته معناه الوضعى.

و يقع أولا: فى المركبات الخبريه المستعمله فى الإنشاء و عكسه، لأغراض:

ص: ٢٦٧

١ - ١). فالاستعاره المكنيه المرشحه، هى ما قرنت بما يلائم المشبه فقط، نحو، نطق لسان الحال بكذا، شبهت «الحال» بمعنى الانسان و استعير لفظ المشبه به للمشبه، و حذف و رمز اليه بشىء من لوازمه و هو «لسان» و إثبات اللسان للحال تخييل، و هو القرينه و النطق ترشيح، لأنه يلائم المشبه به فقط. و ترشيح المكنيه فيه خلاف مبسوط فى المطولات. و المكنيه المجرده، هى ما قرنت بما يلائم المشبه فقط: نحو نطقت الحال الواضحه بكذا، فالوضوح تجريد، لأنه لا يلائم المشبه و لا المشبه به، أو قرنت بما يلائمها معا نحو نطقت الحال بكذا، و نطق لسان الحال الواضحه بكذا ففى الأول، شبهت الحال بإنسان و استعير لها اسمه و حذف و رمز إليه بشىء من لوازمه و هو النطق، و إثبات النطق للحال تخييل، و هى مجردة لأنها لم تقترن بشىء يلائمها. و فى الثانى: شبهت الحال بإنسان و استعير له اسمه، و حذف و رمز إليه بشىء من لوازمه و هو «لسان» و إثباته للحال تخييل و هو القرينه، و النطق ترشيح، لأنه يلائم المشبه به، و الوضوح تجريد، لأنه يلائم المشبه، و لما تعارضا سقطا. و تنقسم المكنيه أيضا إلى عناديه، نحو: أنشبت المنيه أظفارها بفلان، لأنه لا يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد (يكون منيه و سبعا) و وفاقه، نحو نطقت الحال بكذا، لأنه يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد كالحال مع الإنسان.

١-منها: التَّحَسُّرُ و إظهار التأسف، كما فى قول الشاعر: [الكامل]

ذهب الصبا و تولت الأيام

فعلى الصبا و على الزمان سلام

فإنه و إن كان خبرا فى أصل وضعه، إلا أنه فى هذا المقام مستعمل فى إنشاء التحسر و التحزن على ما فات من الشباب.

و كما فى قول جعفر بن علبه الحارثى: [الطويل]

هواى مع الركب اليمانين مصعد

جنيب و جثمانى بمكه موثق

فهو يشير إلى الأيسف و الحزن الذى ألم به من فراق الأُحبه، و يتحسّر على ما آل إليه أمره، و القرينه على ذلك حال المتكلم، كما يفهم من الشطر الثانى فى قوله هواى، الخ.

٢- منها: إظهار الضعف، كما فى قوله، [الخفيف]

ربّ إنى لا أستطيع اصطبارا

فاعف عنيّ يا من يقيل العثارا

٣- منها: إظهار السرور، نحو: كتب اسمى بين الناجحين.

٤- منها: الدعاء، نحو: نجح الله مقاصدنا، أيها الوطن لك البقاء.

و ثانيا: فى المركبات الإنشائية كالأمر، و النهى، و الاستفهام، التى خرجت عن معانيها الأصلية، و استعملت فى معان آخر: كما فى قول المصطفى عليه الصلاه و السّلام: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار». إذ المراد «يتبوأ مقعده» و العلاقه فى هذا السّبيّه و المسيبه لأن إنشاء المتكلم للعباره سبب لإخباره بما يتضمّنه، فظاهره أمر، و معناه خبر.

المبحث الثاني عشر في المجاز المركب (١) بالاستعارة التمثيلية

المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية: هو تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقته المشابهة، مع قرينه مانعه من إرادته معناه الوضعي، بحيث يكون كل من المشبه و المشبه به هيئه منتزعه من متعدّد، و ذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين. أو أمور بأخرى ثم تدخل المشبه في الصورة المشبهه بها. مبالغه في التشبيه، و يسمّى بالاستعارة التمثيلية (٢) و هي كثيره الورود في الأمثال السائره، نحو «في الصيف ضيّعت اللبن» يضرب لمن فُزط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه في زمن لا يمكنه الحصول عليه فيه، (٣)

ص: ٢٦٩

- ١-١) . المجاز المركب: هو تركيب استعمل في ما يشبه بمعناه الأصلي «تشبيه التمثيل» .
- ٢-٢) . سميت تمثيلية مع أن التمثيل عام في كل استعاره، للإشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلاً، إذ الاستعاره التمثيلية مبنية على تشبيه التمثيل. و وجه الشبه فيه هيئه منتزعه من متعدّد، لهذا كان أدق أنواع التشبيه. و كانت الاستعاره المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارات-و لذلك كان كل من تشبيه التمثيل، و الاستعاره التمثيلية غرض البلاغ
- ٣-٣) . أصل المثل: أن امرأه كانت متزوجه بشيخ غني، فطلبت طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه، فطلقها و تزوجت بشاب فقير، ثم طلبت من مطلقها لبنا وقت الشتاء فقال لها ذلك المثل، و اجراء الاستعاره في المثل الأول، أن يقال: شبهت هيئه من فرط في أمر زمن إمكان تحصيله، بهيئه المرأه التي طلقت من الشيخ اللابن، ثم رجعت إليه، تطلب منه اللبن شتاء، بجامع التفريط في كل. و استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعاره التمثيلية. و إجراء الاستعاره في المثل الثاني أن يقال: شبهت هيئه من يتردد في أمر بين أن يفعل و ألا- يفعل، بهيئه من يتردد في الدخول، فتاره يقدم رجله، و تاره يؤخرها بجامع الحيره في كل. و استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعاره التمثيلية.

و نحو: «إني أراك تقدّم رجلا و تؤخر أخرى» يضرب لمن يتردد في أمر، فتاره يقدم و تاره يحجم، و نحو: «أحشفا و سوء كيله» يضرب لمن يظلم من وجهين، و أصله أن رجلا اشترى تمرا من آخر، فإذا هو ردىء و ناقص الكيل، فقال المشتري ذلك. و مثل ما تقدم جميع الأمثال السائرة نثرا و نظما.

فمن النثر قولهم لمن يحتال على حصول أمر خفى، و هو مستتر تحت أمر ظاهر: «لأمر ما جدع قصير أنفه» و قولهم: «تجوع الحرّ و لا تأكل بشديها» و قولهم: لمن يريد أن يعمل عملا وحده و هو عاجز عنه «اليد لا تصفق وحدها» و قولهم لمجاهد عاد إلى وطنه بعد سفر: «عاد السيف إلى قرابه، و حل الليث منيع غابه» و قولهم: لمن يأتي بالقول الفصل:

(٣)

و إجراء الاستعارة في المثل الثالث، شبهت هيئه من يظلم من وجهين، بهيئه رجل باع آخر تمرا رديئا و ناقص الكيل، بجامع الظلم من وجهين في كل، استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية. و إجراء الاستعارة في المثل الرابع، شبهت هيئه الرجل المتستر تحت أمر ليحصل على أمر خفى يريده، بهيئه الرجل المسمى (قصيرا) حين جدع أنفه ليأخذ بثأر (جذيمه) من (الزباء) بجامع الاحتيال في كل. و استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية و إجراء الاستعارة في المثل الخامس أن يقال شبهت هيئه الرجل الكريم الأصل العزيز النفس الذي لا يفضل الدنيا على الرزايا عند ما تزل به القدم. بهيئه المرأه التي تفضل جوعها على إجاتها للإرضاع عند فقرها بجامع ترجيح الضرر على النفع في كل و استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية. و إجراء الاستعارة في المثل السادس، شبهت هيئه من يريد أن يعمل عملا وحده و هو عاجز عنه، بهيئه من يريد أن يصفق بيد واحده، بجامع العجز في كل. و استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التمثيلية. و إجراء استعارة في المثل السابع، شبهت هيئه الرجل الذي يحصل بوجوه فصل المشكلات، بهيئه نبي الله موسى عليه السلام، مع سحره فرعون، بجامع حسم النزاع في كل، و استمر الكلام الموضوع للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية. و إجراء الاستعارة في المثل الثامن، شبهت هيئه الرجل الذي لا- يقول إلا- الحق و لا- يخبر إلا بالصدق، بهيئه المرأه المسماه «حذام» بجامع الصدق في كل و استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

ص: ٢٧٠

قطعت جهيزه قول كل خطيب (١).

و من الشعر قول الشاعر: [المتقارب]

إذا جاء موسى و ألقى العصا

فقد بطل السحر و الساحر

و قول آخر: [الوافر]

إذا قالت حذام فصدّقوها

فإن القول ما قالت حذام

و قول آخر: [الطويل]

متى يبلغ البنيان يوما تمامه

إذا كنت تبنيه و غيرك يهدم (٢)

و إذا فشت و شاعت الاستعاره التمثيليه (٣)، و كثر استعمالها تكون مثلا (٤) لا يغير مطلقا، بحيث يخاطب به

ص: ٢٧١

١- ١). أصل هذا المثل: أن قوما اجتمعوا للتشاور في الصلح بين حيين من العرب قتل رجل من أحدهما رجلا من الآخر، و بينما خطباؤهم يتكلمون، إذا بجاريه تدعى (جهيزه) أقبلت فأخبرتهم أن أولياء المقتول ظفروا بالقاتل، فقتلوه، فقال أحدهم (قطعت جهيزه قول كل خطيب) فذهب قوله مثلا.

٢- ٢). و إجراء الاستعاره في المثل التاسع: شبهت حال المصلح ببدء الإصلاح ثم يأتي غيره فيبطل عمله. بحال البنيان ينهض به حتى إذا أوشك أن يتم جاء من يهدمه، و الجامع هو الحاله الحاصله من عدم الوصول إلى الغايه، لوجود ما يفسد على المصلح إصلاحه، ثم حذف المشبه و استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه.

٣- ٣). و تنقسم التمثيليه إلى قسمين تحقيقيه و تخيليه، فالتحقيقيه هي المنتزعه من عده أمور متحققه موجوده خارجا، كما في الأمثله السابقه، و التخيليه هي المنتزعه من عده أمور متخيله مفروضه لا تحقق لها في الخارج و لا في الذهن. و تسمى الأولى «تمثليه تحقيقيه» و الثانيه «تخيليه» كقوله تعالى: **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا** الآية على احتمال فيها فإنه لم يحصل عرض و إباء و إشفاق منها حقيقيه، بل هذا تصوير و تمثيل. بأن يفرض تشبيه حال التكليف في ثقل حملها و صعوبه الوفاء بها، بحال أنها عرضت على هذه الأشياء، مع كبر أجرامها، و قوه متانتها، فامتنعن و خفن من حملها، بجامع عدم تحقق الحمل في كل، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به، للمشبه استعاره تمثيليه، و نحو قوله تعالى:

فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ اِنْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَإِن مَعْنَى أَمْرِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ بِالْإِيتْيَانِ وَ امْتِثَالِهِمَا أَنَّهُ أَرَادَ تَكْوِينَهُمَا فَكَانَتَا كَمَا أَرَادَ. فَالْغَرَضُ تَصْوِيرُ تَأْثِيرِ قُدْرَتِهِ فِيهِمَا وَ تَأْثِرُهُمَا عَنْهَا، وَ تَمَثِيلُ ذَلِكَ بِحَالِهِ الْأَمْرِ الْمَطَاعِ لَهُمَا وَ إِجَابَتِهِمَا لَهُ بِالطَّاعَةِ فَرَضاً وَ تَخْيِيلًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَحَقَّقَ شَيْءٌ مِنَ الْخَطَابِ وَ الْجَوَابِ، هَذَا أَحَدُ وَجْهَيْنِ فِي الْآيَتَيْنِ كَمَا فِي [الْكَشَافِ]. فَارْجِعْ إِلَيْهِ.

٤-٤). الأمثال (١)، هي عبارات موجزه مأثوره، يشبهه الناس بها جديد أحوالهم بقديمها، و هي نوعان: حقيقه، و فرضيه.

المفرد، و المذكر، و فروعهما بلفظ واحد من غير تغيير و لا تبديل عن مورده الأول و إن لم يطابق المضروب له.

و لذا كانت هذه الاستعاره محط أنظار البلغاء، لا يعدلون بها إلى غيرها إلا عند عدم إمكانها، فهي أبلغ أنواع المجاز مفردا أو مركبا، إذ مبناها تشبيه التمثيل الذي قد عرفت أن وجه الشبه فيه هيئه منتزعه من أشياء متعدده.

(٤)

-فالحقيقه: هي ما حدث موردها فى الوجود. و الفرضيه: ما لم يحدث موردها فى الوجود و إنما اخترعت على لسان حيوان أو غيره. و لكل مثل (مورد) و هو الحاله القديمه التى قيل فيها لأول مره. و لكل مثل (مضرب) و هو الحاله الجديده التى استعير لها. و كما تكون الأمثال نثرا تكون شعرا، و تضرب كما وردت دون تغيير فى لفظها. الأمثال الحقيقه أسباب و نتائج، تفيد المجتمع الإنسانى. منها، كونها مرآه صقلية للمواعظ و العبر. و منها، كونها مقياسا لرقى الأمه و لسان أخلاقها. و منها، كونها مجموعه نفيسه من السلف إلى الخلف. أما الأمثال الفرضيه فهى عظه للعاقل و مسلاه للجاهل. و أشهر الكتب الجامعه للأمثال: كتاب «مجمع الأمثال»، للميدانى. «جمهره الأمثال»، لأبى هلال العسكري. «العقد الفريد»، لابن عبد ربه. كتاب «كليه و دمنه»، لابن المقفع، و غيرهم. و لا- يسمى القول مثلا- إلا إذا سار و ذاع بين الناس جميعا. و مما تقدم شرحه فى تشبيه التمثيل، و الاستعاره التمثيليه، يعلم الفرق بين كل منهما فى الجدول الآتى للموازنه بينهما. تشبيه التمثيل ١- تشبيه التمثيل يذكر فيه المشبه و الأداة ٢- تشبيه التمثيل يجوز أن يكون بين مفردين مثل: المنافق كالحرباء ٣- تشبيه التمثيل لا يصلح استعاره دون حذف ٤- تشبيه التمثيل لا يحتاج إلى قرينه معه تدل على حقيقته ٥- تشبيه التمثيل نوع من الحقيقه الاستعاره التمثيليه ١- الاستعاره التمثيليه لا تكون إلا فى التراكيب ٢- الاستعاره التمثيليه نوع من المجاز فهى لذلك أبلغ منه ٣- الاستعاره التمثيليه تحتاج إلى قرينه تمنع من إرادته المعنى الأصلى ٤- الاستعاره التمثيليه يحذف منها المشبه و الأداة و لا يبقى فيها من أركان التشبيه إلا ما كان مشبها به فقط ٥- الاستعاره التمثيليه تصلح مشبها به دون حذف. و التشبيه معها أكثر ما يكون غير تمثيل

ص: ٢٧٢

و من ثم كانت هي و التشبيه المبنيه عليه غرض البلاغاء الذين يتسامون إليه، و يتفاوتون في إصابته، و قد كثر ذلك في القرآن الكريم كثره كانت إحدى الحجج على إعجازه.

و الاستعاره ميدان فسيح من ميادين البلاغه، و هي أبلغ من التشبيه لأنها تضع أمام المخاطب بدلا من المشبه صورته جديده تملك عليه مشاعره و تذهله عما ينطوي تحتها من التشبيه و على مقدار ما في تلك الصوره من الروعه، و سموّ الخيال، تكون البلاغه في الاستعاره.

و أبلغ أنواع الاستعاره المرشحه لذكر ما يناسب المستعار منه فيها، بناء على الدعوى بأن المستعار له هو عين المستعار منه.

ثم تليها المطلقه لترتك ما يناسب الطرفين فيها، بناء على دعوى التساوى بينهما.

ثم تليها المجرده لذكر ما يناسب المستعار له فيها، بناء على تشبيهه بالمستعار منه.

و لا بد في الاستعاره، و في التمثيل على سبيل الاستعاره، من مراعاة جهات حسن التشبيه، كشمول وجه الشبه للطرفين و من كون التشبيه وافيا بإفاده الغرض، و من عدم شم رائحه التشبيه لفظا، و يجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جليا، لئلا تصير الاستعاره و التمثيل تعميميه.

تمرين على كيفية إجراء الاستعارات

١- فسمونا و الفجر يضحك في

الشرق إلينا مبشرا بالصباح (١)

[الخفيف]

٢- عَضْنَا الدهر بنا به

ليت ما حل بنا به (٢)

[مجزوء الرمل]

٣- سقاه الردى سيف إذا سل أو مضت

إليه ثنانيا الموت من كل مرقد (٣)

٤- سَنَفَرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ التَّقْلَانِ (٤). [الرحمن: ٣١].

٥- إِنَّا لَكِرَّاكٌ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥). [الأعراف].

ص: ٢٧٤

١- ١). شبه الفجر بإنسان يتبسم، فتظهر أسنانه مضيئه لا معه، و القدر المشترك بينهما [البريق و اللمعان] و استعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذف المشبه و أشار إليه بشيء من لوازمه و هو الضحك، على طريق الاستعارة بالكناية، و إثبات الضحك استعاره تخيليه.

٢- ٢). شبه حوادث الدهر بالعض، بجامع التأثير و الايلام من كل، و استعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، و اشتق من العض و هو المصدر، عض بمعنى ألم. على سبيل الاستعارة تصريحيه التبعية، و ذكر الناب ترشيح.

٣- ٣). شبه لحاق الموت به [بالسقى] بجامع الوصول فى كل، و استعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من السقى سقى على سبيل الاستعارة التصريحيه التبعية و القرينه على ذلك نسبة السقى إلى الردى، و أيضا قد شبه الموت بإنسان له ثنانيا يضحك منها فتلمع و تضىء، و الجامع البريق و اللمعان. و استعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه و رمز إليه بشيء من لوازمه و هو الثنانيا، على سبيل الاستعارة المكنيه الأصلية المرشحه، و الثنانيا استعاره تخيليه، و أومض ترشيح.

٤- ٤). شبه القصد إلى الشىء و التوجه له، بالفراغ و الخلوص من الشواغل، بجامع الاهتمام فى كل، و استعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم اشتق من الفراغ بمعنى الخلو: تفرغ، على سبيل الاستعارة التصريحيه التبعية؛ و القرينه حالیه.

٥- ٥). فى كلمه «فى» استعاره تصريحيه تبعيه، فقد شبهت «فى» التى تدل على الارتباط «بفى» التى تدل على الظرفيه بجامع

التمكن فى كل فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات فاستعيرت فى من الثانى للأول على سبيل الاستعاره التصريحه التبعية، و القرينه على ذلك كلمه الضلال.

سبق لك أن بلاغه التشبيه آتية من ناحيتين، الأولى: طريقه تأليف ألفاظه. و الثانية: ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان، لا يجول إلا في نفس أديب، وهب الله له استعدادا سليما في تعرف وجوه الشبه الدقيقه بين الأشياء و أودعه قدره على ربط المعانى، و توليد بعض إلى مدى بعيد لا يكاد ينتهى.

و سر بلاغه الاستعاره لا يتعدى هاتين، فبلاغتها من ناحيه اللفظ أن تركيبها يدل على تناسى التشبيه، و يحملك عمدا على تخيل صورته جديده تنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفى مستور.

انظر إلى قول البحرى فى الفتح بن خاقان: [البسيط]

يسمو بكفّ على العافين حانيه

تهمى و طرف إلى العلياء طمّاح

أ لست ترى كفه: و قد تمثلت فى صورته سحابه هتانه، تصب و بلها على العافين و السائلين، و أن هذه صورته قد تملكك عليك مشاعرك فأذهلتك عما اختبأ فى الكلام من تشبيه؟

لهذا كانت الاستعاره أبلغ من التشبيه البليغ لأنه و إن بنى على ادعاء أن المشبه و المشبه به سواء، لا يزال فيه التشبيه منويا ملحوظا. بخلاف الاستعاره فالتشبيه فيها منسى مجحود، و من ذلك يظهر لك أن الاستعاره المرشحه أبلغ من الاستعاره المطلقه، و أن الاستعاره المطلقه أبلغ من الاستعاره المجرده.

أما بلاغه الاستعاره من حيث الابتكار، و روعه الخيال، و ما تحدثه من أثر فى نفوس سامعيها، فمجال فسيح للإبداع، و ميدان لتسابق المجيدين من فرسان الكلام. انظر إلى قوله عز شأنه فى وصف النار: **تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ** [سوره الملك، الإيه: ٨]. ترتسم أمامك النار فى صورته مخلوق ضخم، بطاش مكفهر الوجه عابس يغلى صدره حقدا و غيظا. (عن البلاغه الواضحه بتصريف).

الكنايه (١) لغه: ما يتكلم به الإنسان، و يريد به غيره. و هى: مصدر كنى، أو كنوت

ص: ٢٧٧

١ - ١). توضيح المقام: أنه إذا أطلق اللفظ، و كان المراد منه غير معناه، فلا- يخلو إما: أن يكون معناه الأصلي مقصودا أيضا، ليكون وسيله إلى المراد. و إما، ألا يكون مقصودا، فالأول: الكنايه، و الثانى: المجاز. فالكنايه: هى أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعانى، فلا يذكره باللفظ الموضوع له و لكن يجيء إلى معنى هو مرادفه، فيومىء به إلى المعنى الأول، و يجعله دليلا عليه. أو الكنايه: هى اللفظ الدال على ما له صله بمعناه الوضعى، لقرينه لا تمنع من إرادته الحقيقه، كفلان نقى الثوب، أى مبرأ من العيب، و كلفظ «طويل النجاد» المراد به طول القامه، فإنه يجوز أن يراد منه طول النجاد أى علاقه السيف ايضا، فهى تخالف المجاز من جهه إمكان إرادته المعنى الحقيقى مع إرادته لآزمه. بخلاف المجاز فإنه لا- يجوز فيه إرادته المعنى الحقيقى لوجود القرينه المعانته من إرادته. و مثل ذلك قولهم «كثير الرماد» يعنون به أنه كثير القرى و الكرم، و قول الحضرمى: [الكامل] قد كان تعجب بعضهن براعتى حتى رأين تنحنحى و سعالى كنى عن كبر السن بتوابعه، و هى التنحنح و السعال. و قولهم: المجد بين ثوبيه و الكرم بين برديه، و قوله: [الكامل] إن السماحه و المروءه و الندى فى قبه ضربت على ابن الحشرج

و قوله: [الوافر] و ما يك في من عيب فياني جبان الكلب مهزول الفصيل فإن «جبان الكلب» كناية، و كذا «مهزول الفصيل» و المراد منها ثبوت الكرم و كل واحده على حدتها يؤدي هذا المعنى، و قد جاء عن العرب كنايةات كثيرة كقوله: [البيضا] بيض المطابخ لا تشكو إماؤهم طبخ القدور و لا غسل المناديل و يروى أن خلافا وقع بين بعض الخلفاء نديم له في مسأله، فاتفقا على تحكيم بعض اهل العلم فأحضر، فوجد الخليفه مخطئا، فقال: القائلون بقول امير المؤمنين أكثر (يريد الجهال) و إذا كان الرجل أحمق قيل، نعتة لا ينصرف، و نظر البديع الهمذاني إلى رجل طويل بارد، فقال: قد أقبل ليل الشتاء. و دخل رجل على مريض يعود و قد اقصع من البرد، فقال: ما تجد (فديتك) قال أجدك (يعنى البرد) و إذا كان الرجل ملولا قيل: هو من بقيه قوم موسى، و إذا كان ملحدا، قيل قد عبر (يريدون جسر الإيمان) و إن كان يسىء الأدب فى المؤكله قيل تسافر يده على الخوان و يرعى أرض الجيران. و يقال عمن يكثر الأسفار: (فلان) لا يضع العصا عن عاتقه، و جاء فى القرآن الكريم أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَإِنَّهُ كَنَى الْغَيْبِ بِأَكْلِ الْإِنْسَانِ لَحْمَ الْإِنْسَانِ و هذا شديد المناسبه لأن الغيبه إنما هى ذكر مثالب الناس و تمزيق أعراضهم و تمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه. و من أمثال العرب، قولهم: لبست لفلان جلد النمر، و جلد الأرقم. كناية عن العداوه، و كذلك قولهم (قلبت له ظهر المجن) كناية عن تغيير الموده، و يقول القوم: فلان برىء الساحة، إذا برؤوه من تهمه، و رحب الذراع، إذا كان كثير المعروف، و طويل الباع فى الأمر، إذا كان مقتدرا فيه، و قوى الظهر، إذا كان ناصروه. و من ذلك أن (المنصور) كان فى بستان له، أيام محاربتة (إبراهيم بن عبد الله بن الحسن) فنظر إلى شجره خلاف فقال للربيع: ما هذه الشجره؟ فقال: طاعه يا أمير المؤمنين، فتفاءل المنصور به، و عجب من ذكائه، و مثل ذلك: أن رجلا مر فى صحن دار (الرشيد)، و معه حزمه خيزران، فقال الرشيد للفضل بن الربيع: ما ذاك؟ فقال (عروق الرماح) يا أمير المؤمنين، و كره أن يقول «الخيزران» لموافقته اسم (والده الرشيد) و من كلامهم «فلان طويل الذيل»

بكذا، عن كذا إذا تركت التصريح به.

و اصطلاحاً: لفظ أريد به غير معناه الذى وضع له، مع جواز إرادته المعنى الأصلي لعدم وجود قرينه مانعه من إرادته نحو: زيد طويل النجاد تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفه، إلى الإشاره إليها بشيء تترتب عليه و تلزمه، لأنه يلزم من طول حماله السيف طول صاحبه، و يلزم من طول الجسم الشجاعه عاده، فإذا: المراد طول قامته، و إن لم يكن له نجاد، و مع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقى، و من هنا يعلم أن الفرق بين الكنايه و المجاز صحه إرادته المعنى الأصلي فى الكنايه، دون المجاز: فإنه ينافى ذلك.

(١)

يريدون أنه غنى حسن الحال. و عليه قول الحريرى: [البسيط] إن الغريب الطويل الذليل ممتهن فكيف حال غريب ما له قوت و كذلك قولهم: فلان طاهر الثوب، أى منزه عن السيئات، فلان دنس الثوب أى متلوث بها، قال امرؤ القيس: ثياب بنى عوف طهارى نقيه و أوجههم عند المشاهد غرات و يقولون: فلان غمر الرداء، إذا كان كثير المعروف عظيم العطايا. قال كثير: [الكامل] غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال و من الكنايات اللطيفه: ما ذكرها الأدباء فى الشيب و الكبر، فقالوا: عرضت لفلان فتره، و عرض له ما يمحو ذنوبه. و أقمر ليله. و نور غصن شبابه، و فضض الزمان أبنوسه، و جاءه النذير. و قرع ناجذ الحلم. و ارتاض بلجام الدهر. و أدرك زمان الحنكه. و رفض غره الصبا. و لبي دواعى الحجى. و من كناياتهم عن الموت: استأثر الله به. و أسعده بجواره. و نقله إلى دار رضوانه و محل غفرانه، و اختار له النقله من دار البوار إلى دار الأبرار. و من الكنايات أيضا أن يقام وصف الشىء مقام اسمه كما ورد فى القرآن الكريم وَ حَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَ دُسِيرٍ يَعْنِي السَّفِينَةَ. فوضع صفتها موضع تسميتها، كما ورد إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِيَاتُ الْجِيَادُ يعنى الخيل، و قال بعض المتقدمين: [الكامل] سألت قتيبه عن أبيها صحبه فى الروح هل ركب الأغر الأشقرا يعنى هل قتل، لأن الأغر الأشقر، و صف الدم فأقامه مقام اسمه.

ص: ٢٧٩

نعم: قد تمتنع إرادته المعنى الأصلي فى الكناية، لخصوص الموضوع كقوله تعالى: وَ السَّمَّاءَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ [سوره الزمر، الآيه: ٦٧] و كقوله تعالى: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [طه: ٥] كناية عن تمام القدره، و قوه التمكن و الاستيلاء.

و تنقسم الكنايه بحسب المعنى الذى تشير إليه إلى ثلاثه أقسام:

١- كنايه عن صفه: كما تقول: هو ربيب أبى الهول تكنى عن شده كتمان له سره.

و تعرف كنايه الصفه بذكر الموصوف: ملفوظا أو ملحوظا من سياق الكلام.

٢- كنايه عن موصوف: كما تقول: أبناء النيل تكنى عن المصريين و مدينه النور تكنى عن باريس و تعرف بذلك الصفه مباشره، أو ملازمه و منها قولهم تستغنى مصر عن مصب النيل و لا تستغنى عن منبعه كنوا بمنبع النيل عن أرض السودان. و منها قولهم: هو حارس على ماله كنوا به عن البخيل الذى يجمع ما له، و لا ينتفع به. و منها قولهم: هو فتى رياضى يكون عن القوه، و هلم جرا.

٣- كنايه عن نسبة: و سيأتى الكلام عليها فيما بعد.

فالقسم الأول: و هو الكنايه التى يطلب بها صفه هى ما كان الممكنى عنه فيها صفه ملازمه لموصوف مذكور فى الكلام.

و هى نوعان:

أ- كنايه قريبه: و هى ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطه بين المعنى المنتقل عنه، و المعنى المنتقل إليه، نحو قول الخنساء فى رثاء أخيها صخر: [المتقارب]

رفيع العماد طويل النجا

دساد عشيرته أمردا (١)

ص: ٢٨٠

١- ١). قصدت الخنساء وصف صخر بطول قامه و الشجاعه، فعدلت التصريح بما أرادت إلى الإشاره إليه بطول النجاد لأنه يلزم من طول حماله السيف طول قامه صاحبه. أو طول قامه يلزم الشجاعه غالبا، كما أرادت وصفه بالعزه و السياده فلم تصرح بقصدها و صرحت بما يستدعى ما أرادت فقالت: (رفيع العماد) فرفعه العماد تستلزم أنه عظيم المكانه فى قومه على الشأن بين عشيرته، لجريان العاده بذلك. و عمدت إلى وصفه بالجود و الكرم، فقالت: (كثير الرماد) تشير إلى كثره الإيقاد للإطعام، و هذا يلزم الكرم.

ب-و كناية بعيدة: و هي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط، نحو: فلان كثير الرماد كناية عن المضياف، و الوسائط: هي الانتقال من كثره الرماد إلى كثره الإحراق، و منها إلى كثره الطبخ و الخبز، و منها إلى كثره الضيوف، و منها إلى المطلوب و هو المضياف الكريم.

القسم الثاني: الكناية التي يكون الممكنى عنه موصوفا (1) بحيث يكون إما معنى واحدا كموطن الأسرار كناية عن القلب، و كما في قول الشاعر:

فلما شربناها و دبّ ديبها

إلى موطن الأسرار قلت لها قفى

[الطويل]

و إما مجموع معان: كقولك: جاءنى حىّ مستوى القامة، عريض الأظفار كناية عن الإنسان لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به و نحو:

الضّارين بكلّ أبيض مخدم

و الطاعنين مجامع الأضغان (2)

[الكامل]

و يشترط فى هذه الكناية: أن تكون الصفه أو الصفات مختصه بالموصوف، و لا تتعداه ليحصل الانتقال منها إليه.

القسم الثالث: الكناية التي يراد بها نسبه أمر لآخر، إثباتا أو نفيًا فيكون الممكنى عنه نسبه، أسندت إلى ما له اتصال به، نحو قول الشاعر: [الكامل]

إنّ السماحه و المروءه و الندى

فى قبه ضربت على ابن الحشرج

فإن جعل هذه الأشياء الثلاثة فى مكانه المختص به يستلزم إثباتها له.

و الكناية المطلوب به نسبه:

ص: ٢٨١

٢-٢) . الضاربيّن منصوب بأمدح المحذوف، و الأبيض السيف، و المخذّم بكسر الميم و سكون الخاء و فتح الذال المعجمتين القاطع، و الأضغان جمع ضغن و هو ما انطوى عليه الصدر من الحقد، كنى الشاعر بمجامع الأضغان عن القلوب، و هى لا كناية صفه، و لا كناية نسبه، بل هى كناية موصوف.

أ- إما أن يكون ذو النسبه مذكورا فيها، كقول الشاعر: [مجزوء الكامل]

اليمن يتبع ظله

والمجد يمشى فى ركابه

ب- إما أن يكون ذو النسبه غير مذكور فيها: كقولك: خير الناس من ينفع الناس، كناية عن نفي الخيره عن لا ينفعهم.

و تقسيم الكنايه أيضا باعتبار الوسائط (اللوازم) و السياق: إلى أربعة أقسام: تعريض و تلويح، و رمز، و إيماء.

١-التعريض: لغه خلاف التصريح. و اصطلاحا: هو أن يطلق الكلام، و يشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق نحو: قولك للمؤذى (المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده) تعريضا بنفى صفه الإسلام عن المؤذى و كقول الشاعر: [الطويل]

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى

فلا الحمد مكسوبا و لا المال باقيا

٢-و التلويح: لغه: أن تشير إلى غيرك من بعد. و اصطلاحا: هو الذى كثرت وسائط بلا تعريض نحو: [الوافر]

و ما يك فى من عيب فإنى

جبان الكلب مهزول الفصيل

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب، مهزول الفصيل، فإنّ الفكر ينتقل إلى جملة وسائط.

٣-و الرمز: لغه: أن تشير إلى قريب منك خفيه، بنحو: شفه، أو حاجب. و اصطلاحا: هو الذى قلت وسائطه، مع خفاء فى اللزوم بلا تعريض نحو فلان عريض القفا، أو عريض الوساده كناية عن بلادته و بلاهته، و نحو: هو مكتنز اللحم كناية عن شجاعته، و متناسب الأعضاء كناية عن ذكائه و نحو: غليظ الكبد كناية عن القسوه و هلم جرا.

٤-و الإيماء أو الإشارة: هو الذى قلت وسائطه، مع وضوح اللزوم، بلا تعريض، كقول الشاعر: [الكامل]

أو ما رأيت المجد ألقى رحله

فى آل طلحه ثم لم يتحول

كنايه عن كونهم: أمجادا أجوادا، بغايه الوضوح.

و من لطيف ذلك قول بعضهم: [الطويل]

سألت الندى و الجود ما لى أراكما

تبدلتما ذلا بعز مؤبد

و ما بال ركن المجد أمسى مهّدا

فقالا، أصبنا بابن يحيى محمد

فقلت: فهلا متما عند موته

فقد كنتما عبديه فى كل مشهد

فقالا: أقمنا كى نعزّى بفقده

مسافه يوم ثم نتلوه فى غد

و الكنايه من اللفظ أساليب البلاغه و أدقها، و هى أبلغ من الحقيقه و التصريح، لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم فهو كالدعوى بينه، فكأنك تقول فى زيد كثير الرماد زيد كريم، لأنه كثير الرماد و كثرته تستلزم كذا الخ، كيف لا و أنها تمكن الإنسان من التعبير عن أمور كثيره، يتحاشى الإفصاح بذكرها، إما احتراماً للمخاطب أو للإبهام على السامعين، أو للنيل من خصمه، دون أن يدع له سبيلا عليه، أو لتتزيه الأذن عما تنبو عن سماعه و نحو ذلك من الأغراض و اللطائف البلاغيه.

تمرين

بين أنواع الكنايات الآتيه، و عين لازم معنى كل منها.

١- قال البحتري يصف قتله ذئبا: [الطويل]

فأتبعتها أخرى فأضلت نصلها

بحيث يكون اللبّ و الرعب و الحقد (١)

ص: ٢٨٣

١- ١). ضمير أتبعتها يعود على الطعنه، و أضلت أخفيت، و النصل حديد السيف و اللب العقل، و الرعب الفزع و الخوف. و اعلم أن الكنايه: إما حسنه، و هى ما جمعت بين الفائده و لطف الإشاره كما فى الأمثله السابقه. و إما قبيحه، هى ما خلت عن الفائده المراده، و هى معيه لدى أرباب البيان كقول المتنبي: إني على شغفى بما فى خمرها لأعف عما فى سراويلاتها كنايه عن

النزاهه و العفه. إلا أنها قبيحه لسوء تأليفها و قبح تركيبها.

٢- وقال آخر في رثاء من مات بعله في صدره:

و دبت له في موطن الحلم عله

لها كالصلال الرقش شر ديب (١)

[الطويل]

تمرين آخر

بين أنواع الكنايات الآتية، و بين منها ما يصح فيه إرادته المعنى المفهوم من صريح اللفظ، و ما لا يصح: ١- وصف أعرابي رجلا بسوء العشره فقال: كان إذا رآنى قرب من حاجب حاجبا.

٢- وقال أبو نواس فى المديح:

فما جازه جود و لا حلّ دونه

و لكن يسير الجود حيث يسير

[الطويل]

٣- فتى مختصر المأكول

و المشروب و العطر

نقى الكأس و القص

ه و المنديل و القدر

[الهزج]

٤- اليمين يتبع ظله

و المجد يمشى فى ركابه

[مجزوء الكامل]

٥- أصبح فى قيدك السماحه و المجد

[المنسرح]

٦-فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا

و لكن على أقدامنا تقطر الدما (٢)

[الطويل]

المجد بين ثوبيك. و الكرم ملء برديك.

ص: ٢٨٤

١-١) . الصلال جمع صل بالكسر ضرب من الحيات صغير أسود لا نجاه من لدغته و الرقش جمع رقشاء، و هى التى فيها نقط سوداء فى بياض، و الحيه الرقشاء من أشد الحيات إيذاء.

٢-٢) . الأعقاب جمع عقب و هو مؤخر القدم. و الكلوم الجراح، يقول: نحن لا- نولى فنجرح فى ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا، و لكننا نستقبل السيوف بوجهنا، فإن جرحنا قطرت الدماء على أقدامنا.

الكنايه مظهر من مظاهر البلاغه، و غايه لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، و صفت قريحته، و السرّ في بلاغتها أنها في صور كثيره تعطيك الحقيقه، مصحوبه بدليلها، و القضيه و في طيها برهانها، كقول البحترى في المديح: [الطويل]

يغضون فضل اللحظ من حيث ما بدا

لهم عن مهيب في الصدور محجب

فإنه كنى عن إكبار الناس للممدوح، و هيبهم إياه، بغض الأبصار الذي هو في الحقيقه برهان على الهييه و الإجلال، و تظهر هذه الخاصه جليه في الكنايات عن الصفه و النسبه.

و من أسباب بلاغه الكنايات أنها تضع لك المعانى في صوره المحسوسات و لا شك أن هذه خاصه الفنون، فإن المصور إذا رسم لك صورته للأمل أو لليأس، بهرك و جعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحا ملموسا.

فمثل كثير الرماد في الكنايه عن الكرم. و رسول الشر، في الكنايه عن المزاح.

و قول البحترى: [الكامل]

أو ما رأيت المجد ألقى رحله

في آل طلحه ثم لم يتحوّل

و ذلك في الكنايه عن نسبه الشرف إلى آل طلحه. كل أولئك يبرز لك المعانى في صورته تشاهدها و ترتاح نفسك إليها.

و من خواص الكنايه: أنها تمكنك من أن تشفى غلتك من خصمك من غير أن تجعل له إليك سييلا، و دون أن تخدش وجه الأدب، و هذا النوع يسمى بالتعريض. و مثاله قول المتنبي في قصيده، يمدح بها كافورا و يعرض بسيف الدوله: [الطويل]

رحلت فكم باك بأجفان شادن

علّى و كم باك بأجفان ضيغم (١)

و ما ربه القرط المليح مكانه

بأجزع من رب الحسام المصمم (٢)

فلو كان ما بي من حبيب مقنع

عذرت و لكن من حبيب معمم

رمى و اتقى رميى و من دون ما اتقى

هوى كاسر كفى و قوسى و أسهمى

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

و صدق ما يعتاده من توهم

فأنه كنى عن سيف الدوله، أولاً: بالحبيب المعمم، ثم وصفه بالغدر الذى يدعى أنه من شيمه النساء، ثم لأمه على مبادته بالعدوان، ثم رماه بالجبن لأنه يرمى و يتقى الرمى بالاستتار خلف غيره، على أن المتنبى لا يجازيه على الشر بمثله، لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديما، يكسر كفه و قوسه، و أسهمه، إذا حاول النضال، ثم وصفه بأنه سىء الظن بأصدقائه لأنه سىء الفعل، كثير الأوهام و الظنون، حتى ليظن أن الناس جميعا مثله فى سوء الفعل، و ضعف الوفاء، فانظر كيف نال المتنبى من سيف الدوله هذا النيل كله، من غير أن يذكر من اسمه حرفا.

هذا، و من أوضح مميزات الكنايه التعبير عن القبيح بما تسيغ الأذان سماعه، و أمثله ذلك كثيره جدا فى القرآن الكريم، و كلام العرب فقد كانوا لا يعبرون عما لا يحسن ذكره إلا بالكنايه، و كانوا لشده نخوتهم يكونون عن المرأه بالبيضه و الشاه.

و من بدائع الكنايات قول بعض العرب:

ألا يا نخله من ذات عرق

عليك و رحمه الله السّلام (٣)

[الوافر]

فإنه كنى بالنخله، عن المرأه التى يحبها.

-
- ١ - ١) . الشادن ولد الغزال، و الضيغم الأسد، أراد بالباكي بأجفان الشادن المرأه الحسناء، و بالباكي بأجفان الضيغم الرجل الشجاع. يقول كم من نساء و رجال بكوا على فراقى، و جزعوا لارتحالى.
- ٢ - ٢) . القرط ما يعلق فى حمه الأذن، و الحسام السيف القاطع، و المصمم الذى يصيب المفاصل و يقطعها، يقول لم تكن المرأه الحسناء بأجزع على فراقى من الرجل الشجاع.
- ٣ - ٣) . ذات عرق موضع بالباديه و هو مكان إحرام أهل العراق.

ظهر لك من دراسته علم البيان: أن معنى واحداً يستطاع أداءه بأساليب عديده و طرائق مختلفه، و أنه قد يوضع في صورته رائعه من صور التشبيه أو الاستعاره، أو المجاز المرسل، أو المجاز العقلي، أو الكنايه، فقد يصف الشاعر إنساناً بالكرم، فيقول: [المتقارب]:

يريد الملوک مدى جعفر

و لا يصنعون كما يصنع

و ليس بأوسعهم في الغنى

و لكنّ معروفه أوسع

و هذا كلام بليغ جداً، مع أنه لم يقصد فيه إلى تشبيه أو مجاز، و قد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم، و أن الملوک يريدون أن يبلغوا منزلته و لكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل، مع أنه ليس بأغنى منهم، و لا بأكثر مالا.

و قد يعتمد الشاعر عند الوصف بالكرم إلى أسلوب آخر، فيقول: [الكامل]

كالبحر يقذف للقريب جواهرها

جوداً و يبعث للبعيد سحائباً

فيشبه الممدوح: بالبحر، و يدفع بخيالكك إلى أن يضاهي بين الممدوح و البحر الذي يقذف الدرر للقريب، و يرسل السحائب للبعيد، أو يقول: [الطويل]

هو البحر من أيّ النواحي أتيته

فلجته المعروف و الجود ساحله

فيدعى أنه البحر نفسه، و ينكر التشبيه نكراناً يدل على المبالغه، و ادعاء المماثله الكامله، أو يقول: [البسيط]

علا فما يستقر المال في يده

و كيف تمسك ماء قنه الجبل؟

فيرسل إليك التشبيه: من طريق خفى، ليرتفع الكلام إلى مرتبه أعلى في البلاغه و ليجعل لك من التشبيه الضمنى دليلا على دعواه، فإنه ادعى: أنه لعلو منزلته ينحدر المال من يديه، و أقام على ذلك برهانا. فقال و كيف تمسك ماء قنه الجبل أو يقول: [الطويل]

جرى النهر حتى خلته منك أنعما

تساق بلا ضنّ و تعطى بلا منّ (١)

فيقلب التشبيه زياده فى المبالغه، و افتنانا فى أساليب الإجاهه. و يشبه ماء النهر بنعم الممدوح، بعد أن كان المألوف، أن تشبه النعم، بالنهر الفياض أو يقول: [البسيط]

كأنه حين يعطى المال مبتسما

صوب الغمامه تهيمى و هى تأتلق (٢)

فيعمد إلى التشبيه المركب، و يعطيك صورته رائعه، تمثل لك حاله الممدوح و هو وجود، و ابتسامه السرور تعلقو شفثيه، أو يقول: [البسيط]

جادت يد الفتح و الأنداء باخله

و ذاب نائله و الغيث قد جمدا

فيضاهى بين جود الممدوح و المطر، و يدعى أنّ كرم ممدوحه لا ينقطع، إذا انقطعت الانداء، أو جمد المطر، أو يقول: [الكامل]

قد قلت للغيم الرّكام و لّجّ فى

إبراقه و ألّحّ فى إرعاده (٣)

لا تعرضنّ لجعفر متشبّها

بندى يديه فلست من أنداده

فيصرح لك فى جلاء، و فى غير خشيه بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم، و لا يكتفى بهذا، بل تراه ينهى السحاب فى صورته تهديد أن يحاول التشبه بممدوحه؛ لأنه ليس من أمثاله و نظائره، أو يقول: [الطويل]

و أقبل يمشى فى البساط فما درى

إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقى

-
- ١-١ . الضن البخل، و المن الامتنان بتعداد الصنائع.
٢-٢ . تهمل تسيل، و تألق تلمع.
٣-٣ . الغيم الركام المتراكم. لَج و ألَج كلاهما بمعنى استمر.

يصف حال رسول الروم داخلا على سيف الدوله، فينزِع في وصف الممدوح بالكرم، إلى الاستعاره التصريحيه، و الاستعاره كما علمت مبنيه على تناسى التشبيه، و المبالغه فيها أعظم، و أثرها في النفوس أبلغ، أو يقول: [الطويل]

دعوت نداءه دعوه فأجابني

و علّمني إحسانه كيف آمله

فيشبه ندى ممدوحه و إحسانه بإنسان ثم يحذف المشبه به، و يرمز إليه بشيء من لوازمه، و هذا ضرب آخر من ضروب المبالغه التي تساق الاستعاره لأجلها، أو يقول: [الطويل]

و من قصد البحر استقلّ السواقيا

فيرسل العبارة كأنّها مثل، و يصوّر لك أنّ من قصد ممدوحه استغنى عمّن هو دونه، كما أنّ قاصد البحر لا يأبه للجداول، فيعطيك استعاره تمثليه، لها روعه، و فيها جمال، و هي فوق ذلك تحمل برهانا على صدق دعواه، و تؤيد الحال الذي يدّعيها، أو يقول: [البيسط]

ما زلت تتبع ما تولى يدا بيد

حتى ظننت حياتي من أياديكا

فيعدل عن التشبيه و الاستعاره، إلى المجاز المرسل و يطلق كلمه يد و يريد بها النعمه؛ لأن اليد آله النعم و سببها، أو يقول: [البيسط]

أعاد يومك أيامي لنضرتها

و اقتصّ جودك من فقري و إعساري

فيستند الفعل إلى اليوم، و إلى الجود، على طريقه المجاز العقلي، أو يقول: [الطويل]

فما جازه جود و لا حلّ دونه

و لكن يسير الجود حيث يسير

فيأتي بكنايه عن نسبه الكرم إليه، بادّعاء أنّ الجود يسير معه دائما؛ لأنه بدل أن يحكم بأنه كريم، ادّعى أن الكرم يسير معه اين ما سار.

و لهذه الكنايه من البلاغه، و التأثير في النفس، و حسن تصوير المعنى، فوق ما يجده السامع في غيرها من بعض ضروب الكلام. فأنت ترى أنه من المستطاع التعبير عن وصف إنسان بالكرم بأربعة عشر أسلوبا كلّ له جماله، و حسنه، و براعته، و لو نشاء لأتينا

بأساليب كثيره أخرى فى هذا المعنى؛ فإن للشعراء و رجال الأدب افتنانا و توليدا للأساليب و المعانى، لا يكاد ينتهى إلى حد، و لو أردنا لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفه المناحى فى صفات أخرى، كالشجاعه، و الإباء، و الحزم و غيرها، و لكننا لم نقصد إلى الإطاله، و نعتقد أنك عند قراءتك الشعر العربى و الآثار الأدبيه، ستجد بنفسك هذا ظاهرا و ستدهش للمدى البعيد الذى و صل إليه العقل الإنسانى فى التصوير البلاغى، و الإبداع فى صوغ الأساليب (عن البلاغه الواضحه بتصرف).

ص : ٢٩٠

البديع، لغه: المخترع الموجد على غير مثال سابق. و هو مأخوذ و مشتق من قولهم: بدع الشيء و أبدعه، اخترعه لا على مثال (١).

و اصطلاحا: هو علم يعرف به الوجه (٢) و المزايا التي تزيد الكلام حسنا و طلاوه،

ص: ٢٩١

١ - (١) . البديع فاعيل بمعنى مفعول، أو بمعنى مفعول، و يأتي البديع بمعنى اسم الفاعل في قوله تعالى: **يَدْبِعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** أي مبدعها.

-٢

و تكسوه بهاء و رونقا، بعد مطابقته لمقتضى الحال. مع وضوح دلالاته على المراد لفظا و معنى.

و واضعه عبد الله بن المعتز العباسى المتوفى سنة ٢٧٤ هجرية. ثم اقتفى أثره فى عصره قدامه بن جعفر الكاتب فزاد عليها. ثم أَلَّف فيه كثيرون كأبى هلال العسكرى و ابن رشيق القيروانى، و صفى الدين الحلّى، و ابن حجّج الحموى، و غيرهم ممّن زادوا فى أنواعه، و نظموا فيها قصائد تعرف (بالبديعيات).

و فى هذا العلم بابان: و خاتمه.

ص: ٢٩٢

الباب الأول فى المحسنات المعنويه

(١) التوريه [١]

ص: ٢٩٣

التورية: لغه: مصدر وزيت الخبر توريه: إذا سترته و أظهرت غيره. و اصطلاحا: هي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان؛ أحدهما قريب غير مقصود و دلالة اللفظ عليه ظاهره، و الآخر بعيد مقصود، و دلالة اللفظ عليه خفيه، فيتوهم السامع: أنه يريد المعنى القريب، و هو إنما يريد المعنى البعيد بقريته تشير إليه و لا- تظهره، و تستره عن غير المتيقظ الفطن، كقوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ [سوره الأنعام، الآية: ٦٠] أراد بقوله جرحتم معناه البعيد، و هو ارتكاب الذنوب، و لأجل هذا سميت التورية إبهاما و تخيلا و كقول سراج الدين الوراق: [الوافر]

أصون أديم وجهي عن أناس

لقاء الموت عندهم الأديب

و ربّ الشعر عندهم بغيض

و لو وافى به لهم «حبيب»

و كقوله: [مجزوء الكامل]

أبيات شعرك كالقص

ور و لا قصور بها يعوق

و من العجائب لفظها

حرّ و معناها «رقيق»

(٢)

٤-المهياه، هي التي لا- تقطع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أو بعدها، فهي قسمان أيضا. فالأول: و هو ما تنهياً بلفظ قبل، نحو قوله: [الطويل] و أظهرت فينا من سماتك سنه فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب فالفرض و الندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان. و البعيد: الفرض، معناه العطاء. و الندب، معناه الرجل السريع في قضاء الحوائج، و لو لا ذكر السنه لما تهيأت التورية و لا فهم الحكمان. و الثاني: و هو ما تهيأت بلفظ بعد: كقول الإمام على عليه السلام في الأشعث بن قيس: إنه كان يحرك الشمال باليمين فالشمال معناها القريب ضد اليمين، و البعيد جمع شمله، و لو ذكر اليمين بعده لما فهم السامع معنى اليد الذي به التورية.

ص: ٢٩٤

و كقوله: [الطويل]

برغم شبيب فارق السيف كفه

و كانا على العلات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه

رفيقك قيسى و أنت يمانى (١)

(٢) الاستخدام

الاستخدام: هو ذكر لفظ مشترك بين معنيين، يراد به أحدهما، ثم يعاد عليه ضمير، أو إشاره، بمعناه الآخر، أو يعاد عليه ضميران يراد بثنائيهما غير ما يراد بأوليهما.

فالأول: كقوله تعالى: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ [البقره: ١٨٥] أريد أولا بالشهر الهلال ثم أعيد عليه الضمير أخيرا بمعنى أيام رمضان. و كقول معاويه بن مالك: [الوافر]

إذا نزل السماء بأرض قوم

رعيناه و إن كانوا غضابا

أراد بالسماء المطر و بضميره فى رعيناه النبات (٢)، و كلاهما معنى مجازى للسماء.

ص: ٢٩٥

١ - ١). يريد أن كف شبيب و سيفه متنافران، لا يجتمعان، لأن شبيبا كان قيسيا و السيف يقال له: «يمانى» فورى به عن الرجل المنسوب إلى اليمن و معلوم ما بين قيس و اليمن من التنافر فظاهر قوله «يمانى» أنه رجل منسوب إلى اليمن، و مراده البعيد الدلالة على السيف، لأن كلمه يمانى من أسمائه.

٢ - ٢). ملخص الاستخدام: هو أن يؤتى بلفظ له معنيان، فيراد به أحدهما. ثم يراد بضميره المعنى الآخر، كقول الشاعر: [البيط] و للغزاه شىء من تلفته و نورها من ضيا خديه مكتسب أراد الشاعر: بالغزاه الحيوان المعروف و بضمير «نورها» الغزاه بمعنى الشمس و كقوله: [البيط] رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره متيم لجج فى الأشواق خاطره و كقوله: [الطويل] إذا لم أبرقع بالحيا وجه عفتى فلا أشبهته راحتى بالتكوم و لا كنت ممن يكسر الجفن بالوغى إذا أنا لم أعضضه عن رأى مخرم

و الثاني: كقول البحترى [الكامل]

فسقى الغضا و الساكنيه و إن هم

شبهه بين جوانحي و ضلوعى

الغضا: شجر بالباديه، و ضمير ساكنيه أولا- راجع إلى الغضا، باعتبار المكان و ضمير شبهه عائد ثانيا إلى الغضا بمعنى النار الحاصله من شجر الغضا، و كلاهما مجاز للغضا.

(٣) الاستطراد

الاستطراد: هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذى هو فيه إلى غرض آخر لمناسبه بينهما، ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأول، كقول السموأل: [الطويل]

و إنا لقوم لا نرى القتل سبه

إذا ما رأته عامر و سلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا

و تكرهه آجالهم فتطول

فسياق القصيده، للفخر بقومه، و انتقل منه إلى هجو قبيلتي عامر و سلول ثم عاد إلى مقامه الأول، و هو الفخر بقومه، و كقوله: [البسيط]

لنا نفوس لنيل المجد عاشقه

فإن تسلت أسلناها على الأسل

لا ينزل المجد إلا فى منازلنا

كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

(٢)

و قال الآخر فى الدعاء، أقر الله عين الأمير و كفاه شرها. و أجرى له عذبتها و أكثر لديه تبرها، و كقول الشاعر: [الوافر] رحلتهم بالغداه فبت شوقا أسائل عنكم فى كل ناد أراعى النجم فى سيرى إليكم و يرعاه من البيدا جوادى

(٤) الافتنان

الافتنان: هو الجمع بين فئتين مختلفتين، كالغزل، والحماسة، والمدح، والهجاء والتعزیه والتهنئة، كقول رجل، جامعا بين التعزیه والتهنئة، حين دخل على ولد سلطان وقد مات ابوه، وخلفه هو فى الملك:

«آجرك الله على الرزیه، وبارك لك فى العطیه، وأعانك على الرعیه فقد رزئت عظیما، وأعطيت جسیما، فاشكر الله على ما أعطيت، واصر على ما رزيت، فقد فقدت الخلیفه. وأعطيت الخلافه ففارقت خلیلا وهبت جلیلا.

و كقول عنتره يخاطب عبه: [الطویل]

و لقد ذكرتك و الرماح نو اهل

منى و بیض الهند تقطر من دمی

فوددت تقبیل السیوف لأنها

لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(٥) الطباق

(٥) الطباق (١)

الطباق: هو الجمع بين لفظین مقابلین فى المعنى. و هما قد یكونان اسمین، نحو: قوله تعالى: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ [سوره الحديد، الآیه: ٣]. و كقوله تعالى: وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَ هُمْ رُقُودٌ [سوره الكهف، الآیه: ١٨].

ص: ٢٩٧

١-١). و یسمى بالمطابقه: و بالتضاد. و بالتطبیق. و بالتکافؤ. و بالتطابق، و هو أن یجمع المتکلم فى کلامه بین لفظین، یتنافى وجود معناهما معا فى شىء واحد، فى وقت واحد، بحیث، یجمع المتکلم فى الکلام بین معنیین متقابلین، سواء أكان ذلك التقابل: تقابل الضدین، أو النقیضین، أو الإیجاب و السلب. أو التضايف.

أو فعلين، نحو: قوله تعالى: وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكَى وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا [سورة النجم، الآية: ٤٤] و كقوله تعالى: ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَ لَا يَحْيَى [سورة الأعلى، الآية: ١٣].

أو حرفين: نحو قوله تعالى: وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٨].

أو مختلفين: نحو قوله تعالى: وَ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ [سورة الرعد، الآية: ٣٣] (١).

و نحو قوله تعالى: أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢].

فيكون تقابل المعنيين و تخالفهما مما يزيد الكلام حسنا و طرافه.

ص: ٢٩٨

١- ١). و الطباق ضربان: أحدهما طباق الإيجاب: و هو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا و سلبا نحو قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تَعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُدَلُّ مَنْ تَشَاءُ. و كقوله: [الكامل] حلو السمائل و هو مر باسل يحمى الذمار ضيحه الإرهاق و ثانيهما طباق السلب: و هو ما اختلف فيه الضدان إيجابا و سلبا بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد، أحدهما مثبت مره، و الآخر ينفي تاره أخرى فى كلام واحد نحو يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَ لَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَ نَحْوِ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ قُلْ هَلْ يَسْتَتِيهِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. أو أحدهما أمر، و الآخر نهى نحو اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ وَ نَحْوِ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَ إِخْشَوْنِ. و ملخص الطباق الذى هو الجمع بين معنيين متقابلين فى كلام واحد، و هو نوعان: ١- طباق سلب، و هو أن يجمع بين فعلين، من مصدر واحد، أحدهما مثبت، و الآخر منفي، و أحدهما أمر و الآخر نهى. ٢- طباق الإيجاب، و هو ما كان تقابل المعنيين فيه بالتضاد. و يلحق بالطباق، ما بنى على المضاده، تأويلا فى المعنى، نحو فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ فَإِنَّ التَّعْذِيبَ لَا يَقَابِلُ الْمَغْفِرَةَ صَرِيحًا لَكِنْ عَلَى تَأْوِيلِ كَوْنِهِ صَادِرًا عَنِ الْمُؤَاخَذَةِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْمَغْفِرَةِ. أو تخيلا فى اللفظ باعتبار أصل معناه نحو مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ أَى يَقُودُهُ فَلَا يَقَابِلُ الضَّلَالَةَ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ وَ لَكِنْ لَفْظُهُ يَقَابِلُهَا فِي أَصْلِ مَعْنَاهُ. وَ هَذَا يُقَالُ لَهُ: «إِبْهَامُ التَّضَادِ».

المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقه، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، كقوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَ
اتَّقَىٰ وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنَىٰ وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ [سوره الليل، ٥-١٠] و كقوله
تعالى: يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَ يَحْرِمُهُمُ الْفَحْشَاءِ [سوره الأعراف: ١٥٧] و قال عليه الصلاة و السلام للأَنْصَارِ: «إنكم لتكثرون عند
الفرع و تفلون عند الطمع» و قال خالد بن صفوان يصف رجلا: ليس له صديق في السرّ و لا عدوّ في العلانيه و كقوله: [الطويل]

فتى كان فيه ما يسرّ صديقه

و لكنّ فيه ما يسوء الأعدايا

و كقوله: [الطويل]

و باسط خير فيكم بيمينه

و قابض شرّ عنكم بشماله

و كقوله: [البسيط]

ما أحسن الدين و الدنيا إذا اجتماعا

و أقبح الكفر و الإفلاس بالرجل

و كقوله: [البسيط]

يا أمّه كان قبح الجور يسخطها

دهرا فأصبح حسن العدل يرضيها

(٧) مراعاة النظير

(٧) مراعاة النظير (١)

مراعاة النظير: هي الجمع بين أمرين، أو أمور متناسبه، لا- على جهه التضاد، و ذلك إما بين اثنين، نحو قوله تعالى: وَ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ [الشورى: ١١]. و إما بين أكثر، نحو قوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ [البقره: ١٦].

١-١) . و تسمى بالتناسب و التوافق. و الائتلاف.

و يلحق بمراعاة النظير، ما بنى على المناسبه فى المعنى بين طرفى الكلام يعنى: أن يختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى، نحو: قوله تعالى: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [الأنعام: ١٠٣]. فإن اللطيف يناسب عدم إدراك الأبصار له، و الخبير يناسب إدراكه سبحانه و تعالى للأبصار. و ما بنى على المناسبه فى اللفظ باعتبار معنى له غير المعنى المقصود فى العبارة، نحو قوله تعالى: الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ [الرحمن: ٥-٦].

فإن المراد بالنجم هنا النبات، فلا يناسب الشمس و القمر و لكن لفظه يناسبهما باعتبار دلالته على الكواكب؛ و هذا يقال له: إيهام التناسب

(٨) الإِصَاد

الإِصَاد: هو أن يذكر قبل الفاصله من الفقرة، أو القافيه، من البيت ما يدل عليها إذا عرف الرّويّ نحو: قوله تعالى: وَ سَيَّبِحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلِ الْغُرُوبِ [سوره ق، الآيه: ٣٩]. و نحو: قوله تعالى: وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [العنكبوت: ٤٠] (١) و كقول الشاعر: [الطويل]

أحلت دمي من غير جرم و حرّمت

بلا سب عند اللقاء كلامي

فليس الذى حللته بمحلل

و ليس الذى حرّمته بحرام

ص: ٣٠٠

١ - (١) . فالسّامع: إذا وقف على قوله تعالى: قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ بَعْدَ الْإِحَاطَةِ بِمَا تَقَدَّمَ، علم أنه «و قبل الغروب» . و كذا البصير بمعانى الشعر و تأليفه، إذا سمع المصراع الأول «أحلت دمي، الخ» علم أن العجز «و حرمت، الخ» ليس إلا ما قاله الشاعر.

و نحو:

إذا لم تستطع شيئا فدعه

و جاوزه إلى ما تستطيع

[الوافر]

و قد يستغنى عن معرفه الروي، نحو قوله تعالى: لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ [الأعراف: ٣٤].

(٩) الإدماج

الإدماج: هو أن يضمن كلام قد سبق لمعنى، معنى آخر، لم يصرح به، كقول المتنبي [الوافر]

أقلب فيه أجفاني كأني

أعد بها على الدهر الذنوبا

ساق الشاعر: هذا الكلام أصاله لبيان طول الليل، و أدمج الشكوى من الدهر، فى وصف الليل بالطول.

(١٠) المذهب الكلامي

المذهب الكلامي: هو أن يورد المتكلم على صحه دعواه حجة قاطعه مسلمه عند المخاطب، بأن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمه للمطلوب، كقوله تعالى: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا و اللازم و هو الفساد باطل، فكذا الملزوم و هو تعدد الآلهه باطل، و ليس شىء أدل على ذلك من الحقيقه و الواقع، و كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ [سوره الحج: ٥]، و نحو قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ [الروم: ٢٧] أى و كل ما هو أهون عليه فهو أَدخِل تحت الإمكان، فالإعادة ممكنه.

و سَمَى هذا النوع بالمذهب الكلامي لأنه جاء على طريقه علم الكلام و التوحيد و هو عباره عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعه.

ص: ٣٠١

حسن التعليل (١): هو أن ينكر الأديب صراحه، أو ضمنا، عله الشيء المعروفه، و يأتي بعله أخرى أديبه طريفه، لها اعتبار لطيف، و مشتمله على دقه النظر، بحيث تناسب الغرض الذى يرمى إليه.

يعنى أن الأديب: يدعى لوصف عله مناسبه غير حقيقه، و لكن فيها حسن و طرافه، فيزداد بها المعنى المراد الذى يرمى إليه جمالا و شرفا كقول المعرى فى الرثاء: [الطويل]

و ما كلفه البدر المنير قديمه

و لكنها فى وجهه أثر اللطم

يقصد: أن الحزن على المرثى شمل كثيرا من مظاهر الكون، فهو لذلك: يدعى أن كلفه البدر، و هى ما يظهر على وجهه من كدره ليست ناشئه عن سبب طبيعى، و إنما هى حادثه من أثر اللطم على فراق المرثى و مثله قول الشاعر الآخر: [البسيط]

أما ذكاء فلم تصفرّ إذ جنحت

إلا لفرقه ذاك المنظر الحسن

يقصد أن الشمس لم تصفر عند الجنوح إلى المغيب للسبب المعروف و لكنها اصفرت مخافه أن تفارق وجه الممدوح و مثله قول الشاعر الآخر: [البسيط]

ما قصر الغيث عن مصر و تربتها

طبعا و لكن تعداكم من الخجل

و لا جرى النيل إلا و هو معترف

بسبقكم فلذا يجرى على مهل

ينكر هذا الشاعر: الأسباب الطبيعى لقله المطر بمصر، و يلتمس لذلك سببا آخر، و هو أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعمها فضل الممدوح وجوده لأنه لا يستطيع مباراته فى الجود و العطاء، و لا بد فى العله أن تكون ادعائه، ثم إن الوصف أعم من أن يكون ثابتا فيقصد بيان علتة، أو غير ثابت فيراد إثباته.

الأعداء، و بزوغ القمر و أفوله، و نحو ذلك، فيلتمس الأدباء لها عللا أخرى، فيها طرفه و حسن؛ يزداد بها المعنى الذى يريدون تقديرا و جمالا و شرفا، فحسن التعليل: هو استنباط عله مناسبة للشئ غير حقيقه، بحيث تكون على وجه لطيف بليغ، يحصل بها زياده فى المقصود.

أ-فالأول: وصف ثابت غير ظاهر العله، كقوله: [البيسط]

بين السيوف و عينيها مشاركه

من أجلها قيل للأجفان أجفان

و قوله: [الكامل]

لم يحك نائلك السحاب و إنما

حمت به فصبيها الرحضاء (1)

ص: ٣٠٣

١- ١). أى أنّ السحاب لا- تقصد محاكاة جودك بمطرها لأن عطاءك المتتابع أكثر من مائها و أغزر، و لكنها حمت حسدا لك. فالماء الذى ينصب منها هو عرق تملك الحمى، فالرحضاء عرق الحمى: و كقوله: [البيسط] و لم يطلع البدر إلا من تشوقه إليك حتى يوافى وجهك النضرا و لا تغيب إلا عند خجلته لما رآك فولى عنك و استترا و كقوله: [الوافر] سألت الأرض لم كانت مصلى و لم جعلت لنا طهرا و طيبا فقالت غير ناطقه لأنى حويت لكل إنسان حبيبا و كقوله: عيون تبر كأنها سرقت سواد أحداقها من الغسق فإن دجا ليلها بظلمته تضمها خيفه من السرقة و كقوله: [البيسط] ما زلزلت مصر من كيد يراد بها و إنما رقصت من عدله طربا و كقوله: [الكامل] لا تنكروا خفقان قلبى و الحبيب لدى حاضر ما القلب إلا داره دقت له فيها البشائر و كقوله: [الوافر] أرى بدر السماء يلوح حيناً و يبدو ثم يلتحف السحابا و ذاك لأنه لما تبدى و أبصر وجهك استحيا و غابا

و قوله: [الكامل]

زعم البنفسج أنه كعذاره

حسنا، فسلوا من قفاه لسانه

فخرج ورقه البنفسج إلى الخلف لا عله ظاهره له، لكنه ادعى أن علته الافتراء على المحبوب.

ب-أو وصف ثابت ظاهر العله، غير التي تذكر، كقول المتنبي: [الرملة]

ما به قتل أعاديته و لكن

يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

فإن قتل الأعادي عاده للملوك، لأجل أن يسلموا من أذاهم و ضرهم و لكن المتنبي اخترع لذلك سببا غريبا، فتخيل أن الباعث له على قتل أعاديته لم يكن إلا ما اشتهر و عرف به، حتى لدى الحيوان الأعجم من الكرم الغريزي، و محبته إجابته طالب الإحسان و من ثم فتك بهم، لأنه علم، أنه إذا غدا للحرب، رجت الذئاب أن يتسع عليها رزقها. و تنال من لحوم أعدائه القتلى، و ما أراد أن يخيب لها مطلبا.

و الثاني: وصف غير ثابت، و هو:

١-إما ممكن كقول مسلم بن الوليد: [البسيط]

يا واشيا حسنت فينا إساءته

نجى حذارك إنساني من الغرق

فاستحسان إساءه الواشى ممكن، و لكنه لما خالف الناس فيه، عقبه بذكر سببه و هو أن

(١)

و كقوله: [الطويل] لما تؤذن الدنيا به فى صروفها يكون بكاء الطفل ساعه يولد و كقوله: [المتقارب] و لو لم تكن ساخطا لم أكن أذم الزمان و أشكو الخطوبا و كقوله: [الكامل] قد طيب الأفواه حسن ثنائه من أجل ذا تجد الثغور عذابا

ص: ٣٠٤

حذاره من الواشى منعه من البكاء، فسلم إنسان عينه من الغرق فى الدموع.

٢- وإما غير ممكن كقول الخطيب القزوينى: [البسيط]

لو لم تكن نيه الجوزاء خدمته

لما رأيت عليها عقد منتطق

فقد ادعى الشاعر: أن الجوزاء تريد خدمه الممدوح، و هذه صفة غير ممكنه و لكنه عللها بعله طريقه ادعاها أيضا ادعاء أدبيا مقبولا إذ تصور أن النجوم التى تحيط بالجوزاء إنما هى نطاق شدته حولها على نحو ما يفعل الخدم، ليقوموا بخدمه الممدوح (١).

(١٢) التجريد

التجريد: لغه إزالة الشىء عن غيره. و اصطلاحا: أن ينتزع المتكلم من أمر ذى صفة أمرا آخر مثله فى تلك الصفة مبالغه فى كمالها فى المنتزع منه، حتى أنه قد صار منها بحيث، يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر بها، و أقسام التجريد كثيرة:

أ- منها: ما يكون بواسطه من التجريديه كقولك: لى «من» فلان صديق حميم، أى بلغ

ص: ٣٠٥

١- (١). و مثله قول ابن المعتز: [المنسرح] قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثره القتل نالها الوصب حمرتها من دماء من قتلت و الدم فى السيف شاهد عجب و كقوله: [الكامل] فلئن بقيت لأرحلن بغزوه تحوى الغنائم أو يموت كريم و كقوله: [الطويل] عداتى لهم فضل على و منه فلا- أذهب الرحمن عنى الأعاديا هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها و هم نافسونى فاكسبت المعاليا و كقوله: [البسيط] لو لم يكن أفحوانا ثغر مبسمها ما كان يزداد طيبا ساعه السحر

فلان من الصداقه حدا صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها. و نحو: [الطويل]

ترى منهم الأسد الغضاب إذا سطوا

و تنظر منهم فى اللقاء بدورا

ب-و منها: ما يكون بواسطه «الباء» التجريديه الداخله على المنتزع منه. لئن سألت فلانا لتسألن به البحر، بالغ فى اتصافه بالسماحه، حتى انتزع منه بحرا فيها.

ج-و منها: ما لا يكون بواسطه، نحو: وَإِنْ نَكْتُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعُنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ [التوبه: ١٢]

د-و منها: ما يكون بطريق الكنايه، كقول الأعشى: [المنسوخ]

يا خير من ركب المطى ولا

يشرب كأسا بكف من بخلا (١)

(١٣) المشاكلة

المشاكلة: هى أن يذكر الشىء بلفظ غيره، لوقوعه فى صحبته كقوله تعالى: تَعَلَّمْتُ مَا فِي نَفْسِي وَ لَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ [المائدة: ١١٦] المراد: و لا أعلم ما عندك. و عبر بالنفس للمشاكلة و نحو: قوله تعالى: نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ [الحشر: ١٩] أى أهملهم. ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه فى صحبته. و من ذلك ما حكى عن أبى الرقع: أن أصحابا له، أرسلوا يدعونه إلى الصبح فى يوم بارد، و يقولون له: ماذا تريد أن نصنع لك طعاما؟؟؟

ص: ٣٠٦

١-١). أى يشرب الكأس بكف الجواد، انتزع منه جوادا يشرب هو بكفه عن طريق الكنايه، لأن الشرب بكف غير البخيل يستلزم الشرب بكف الكريم و هو لا- يشرب إلا- بكف نفسه. فإذا هو ذلك الكريم. و من التجريد خطاب المرء نفسه، كقول المتنبى: [البيسط] لا خيل عندك تهديها و لا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال أى الغنى، فقد انتزع من نفسه شخصا آخر و خاطبه، و هذا كثير فى كلام الشعراء، و إنما سمي هذا النوع تجريدا لأن العرب تعتقد أن فى الإنسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته، فتخرج ذلك إلى ألفاظها مجردا عن الإنسان، كأنه غيره. و فائده هذا النوع «مع التوسع» أن يثبت الإنسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوتة له.

و كان فقيرا، ليس له كسوه تقيه البرد، فكتب إليهم يقول: [الكامل]

أصحابنا قصدوا الصبح بسحره

و أتى رسولهم إلى خصيصا

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه

قلت أطبخوا لي جبه و قميصا (١)

و كقوله:

من مبلغ أفناء يعرب كلها

أنى بنيت الجار قبل المنزل

و كقوله:

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(١٤) المزوجه

المزوجه: هى أن يزواج المتكلم بين معنيين فى الشرط و الجزاء، بأن يرتب على كل منهما معنى رتب على الآخر، كقوله:
[الطويل]

إذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى

أصاغت إلى الواشى فلج بها الهجر

زواج بين النهى و الإصاخه فى الشرط و الجزاء بترتيب اللجاج عليهما.

و كقوله: [الطويل]

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها

تذكرت القربى ففاضت دموعها

زواج (٢) بين الاحتراب أى التحارب و بين تذكر القربى، فى الشرط و الجزاء بترتيب الفيض عليهما.

(١٥) الطى و النشر

الطى و النشر: أن يذكر متعدد، ثم يذكر ما لكل من أفراده شائعا من غير تعيين، اعتمادا على تصرف السامع فى تمييز ما لكل واحد منها، و رده إلى ما هو له و هو نوعان:

ص: ٣٠٧

-
- ١-١ . أى خيطوا لى جبه و قميصا، فذكر الخياطه بلفظ، الطبخ لوقوعه فى صحبه طبخ الطعام.
 - ٢-٢ . المزاجه: يقال زواج أى خالط و أشبه بعضه بعضا فى السجع أو الوزن.

أ- إما أن يكون النشر فيه على ترتيب الطى، نحو قوله تعالى: وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ [القصص: ٧٣] فقد جمع بين الليل و النهار ثم ذكر السكون لليل، و ابتغاء الرزق للنهار، على الترتيب.

و كقوله: [الطويل]

عيون و أصداع و فرع و قامه

و خال و وجنات و فرق و مرشف

سيوف و ريحان و ليل و بانه

و مسك و ياقوت و صبح و قرقف

و كقوله: [الكامل]

فعل المدام و لونها و مذاقها

فى مقلتيه و وجنتيه و ريقه

ب- و إما أن يكون النشر على خلاف ترتيب الطى نحو: فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ [الإسراء: ١٢] ذكر ابتغاء الفضل للثانى، و علم الحساب للأول، على خلاف الترتيب:

و كقوله:

و لحظه و محياه و قامته

بدر الدجا و قضيب البان و الرّاح

[البسيط]

فبدر الدجا: راجع إلى المحيّا الذى هو الوجه، و قضيب البان راجع إلى القامه، و الرّاح راجع إلى اللّحظ و يسمى اللف و النشر أيضاً.

(١٦) الجمع

الجمع: هو أن يجمع المتكلم بين متعدد، تحت حكم واحد و ذلك:

أ- إما فى اثنين، نحو قوله تعالى: الْمَالُ وَ الْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [الكف: ٤٦] و نحو قوله تعالى: وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ [الأنفال: ٢٨]

ب-و إما فى أكثر نحو قوله تعالى: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ و كقوله: [الرجز]

إن الشباب و الفراغ و الجده

مفسده للمرء أى مفسده

و كقوله: [البسيط]

آراؤه و عطاياه و نعمته

و عفوه رحمه للناس كلهم

و كقوله: [البسيط]

آراؤكم و وجوهكم و سيوفكم

فى الحادثات إذا دجون نجوم

(١٧) التفريق

التفريق: أن يفرق بين أمرين من نوع واحد فى اختلاف حكمهما نحو قوله تعالى: وَمَا يَشِيْتَوِى الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ [فاطر: ١٢] و كقول الشاعر: [الخفيف]

ما نوال الغمام وقت ربيع

كنوال الأمير يوم سخاء

فنوال الأمير بدره عين

و نوال الغمام قطره ماء

و كقوله: [المضارع]

من قاس جدواك يوماً

بالسحب أخطأ مدحك

السحب تعطى و تبكى

و أنت تعطى و تضحك

و كقوله: [المنسرح]

من قاس جدواك بالغمام فما

أنصف فى الحكم بين شكلين

أنت إذا جدت ضاحك أبدا

و هو إذا جاد دامع العين

و كقوله: [مجزوء الكامل]

ورد الخدود أرقّ من

ورد الرياض و أنعم

هذاك تنشقه الأنو

ف و ذا يقبله الفم

ص: ٣٠٩

(١٨) التقسيم

التقسيم: هو أن يذكر متعدد، ثم يضاف إلى كل من أفرادها، ما له على جهة التعيين نحو: كَذَّبَتْ ثَمُودٌ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ، فَأَمَّا ثَمُودٌ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ، وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ [سوره الحاقه: ٤-٦].

و كقوله: [البسيط]

و لا يقيم على ضيم يراد به

إلا الأذلان غير الحيّ و الوتد

هذا على الخسف مربوط برمته

و ذا يشخ فلا يرثى له أحد

و قد يطلق التقسيم على أمرين آخرين:

أولهما: أن تستوفي أقسام الشيء نحو قوله تعالى: لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى [طه: ٦]

و ثانيهما: أن تذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل منها ما يليق به كقوله تعالى: فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ [المائدة: ٥٤]، و كقوله: [الطويل]

سأطلب حتى بالقنا و مشايخ

كأنهم من طول ما التثموا مرد

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا

كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا

(١٩) الجمع مع التفريق

الجمع مع التفريق: أن يجمع المتكلم بين شيئين في حكم واحد، ثم يفرق بين جهتي إدخالهما كقوله تعالى: خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ، وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ [الأعراف: ١٢].

و كقوله: [المتقارب]

فوجهك كالنار في ضوئها

و قلبی کائنار فی حرها

ص: ۳۱۰

(٢٠) الجمع مع التقسيم

الجمع مع التقسيم: أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر تحت حكم واحد. ثم يقسم ما جمع أو: يقسم أولاً، ثم يجمع.

فالأول: نحو: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَكَقَوْلِ الْمُتَنَبِّي [البسيط]

حتى أقام على أرباض خرشنه (١)

تشقى به الروم و الصلبان و البيع

للرق ما نسلوا و القتل ما ولدوا

و النهب ما جمعوا و النار ما زرعوا

و نحو: [الطويل]

سأطلب حقى بالقنا و مشايخ (٢)

كأنهم من طول ما التشموا مرد

ثقال إذا لاقوا، خفاف إذا دعوا

كثير إذا شدوا قليل إذ عدوا

و الثاني: كقول حسان: [البسيط]

قوم إذا حاربوا ضرروا عدوهم

أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجيه تلك فيهم غير محدثه

إن الخلائق فاعلم شرها البدع

(٢١) المبالغة

المبالغة: هي أن يدعى المتكلم لوصف، بلوغه في الشده أو الضعف حدا مستبعدا، أو مستحيلا، و تنحصر في ثلاثه أنواع:

١-تبلغ: إن كان ذلك الادعاء للوصف من الشده أو الضعف ممكنا عقلا و عادة، نحو قوله تعالى: ظُلِّمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا

أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا [النور: ٤٠] و كقوله فى وصف فرس: [الوافر]

إذا ما سابقتها الريح فزّت

و ألقّت فى يد الريح الترايا

ص: ٣١١

١-١). الأرباض: جمع ربض و هو ما حول المدينه، و خرشنه، بلد بالروم.

٢-٢). القنا: الرماح، و المشايخ أصحابه، أى يطلب حقه بنفسه و مستعينا بأصحابه المجريين المحنكين، و لذلك جعلهم مشايخ.

٢-و إغراق: إن كان الادعاء للوصف من الشده أو الضعف ممكنا عقلا، لا عاده كقوله: [الوافر]

و نكرم جارنا ما دام فينا

و نتبعه الكرامه حيث ما لا

٣-و غلو (١): إن كان الادعاء للوصف من الشده أو الضعف مستحيلا عقلا و عاده كقوله: [الوافر] تكاد قسيه من غير رام تمكن في قلوبهم النبلا

(٢٢) المغايره

المغايره: هي مدح الشيء بعد ذمه، أو عكسه كقول الحريري في مدح الدينار: «أكرم به أصفر راقص صفرته». بعد ذمه في قوله: «تباله من خادع مमारق».

ص: ٣١٢

١-١). أما الغلو: فمنه مقبول، و منه مردود: فالمقبول ثلاثة أنواع: أحدها ما اقترن به ما يقربه للصحة. «كفعل مقاربه» نحو: قوله تعالى: يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ أَوْ «أداه فرض» نحو قوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ . و ثانيها ما تضمن حسن تخييل، كقول المتنبي: عقدت سنابكها عليها عثيرا لو تبتغى عنقا عليه لأمكننا (١) و قول المعري: يذيب الرعب منه كل غضب فلولا الغمد يمسكه لسالا و ثالثها ما أخرج مخرج الهزل و الخلاعه، كقول النظام: تو همه طرفي فآلم طرفه فصار مكان الوهم في خده أثر و مر بفكري خاطرا فجرحته و لم أر خلقا قط يجرحه الفكر و قول الآخر: لك أنف يا ابن حرب أنفت منه الأنوف أنت في القدس تصلى و هو في البيت يطوف (*) السنابك جمع سنبك و هو طرف مقدم الحافر. و العثير الغبار. و العنق ضرب من السير سريع فسيح الخطو، يقول إن حوافر هذه الخيل عقدت فوقها غبارا كثيفا، حتى لو أرادت السير عليه لكان يحملها، كالأرض لشده كثافته.

(٢٣) تأكيد المدح بما يشبه الذم نوعان:

الأول: أن يستثنى من صفة ذم منفيه عن الشيء، صفة مدح بتقدير دخولها فيها كقوله: [الطويل]

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب (١).

الثاني: أن يثبت لشيء صفة مدح، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى و النوع الأول أبلغ كقوله: [الطويل]

فتى كملت أوصافه غير أنه

جواد فما يبقى من المال باقيا

و النوع الأول ابلغ وقد تقوم لكن مقام أداة الاستثناء في هذا النوع.

ص: ٣١٣

١- ١). أى إن كان تكسر حد سيوفهم من مقارعه الجيوش عيبا فلا عيب فيهم غيره، و من المعلوم أنه ليس بعيب و كقول الآخر، و لا- عيب فيهم سوى أن النزيل بهم يسلو عن الأهل و الأوطان و الحشم و قوله: [الطويل] و لا- عيب فيه غير أن خدوده بهن احمرار من عيون المتيم و قوله: [السريع] ليس به عيب سوى أنه لا تقع العين على شبهه و قوله: [الطويل] و لا عيب فى معروفهم غير أنه يبين عجز الشاكرين عن الشكر و قوله: [الطويل] و لا عيب فيكم غير أن ضيو فكم تعاب بنسيان الأحبه و الوطن

(٢٤) تأكيد الذم بما يشبه المدح (١)

تأكيد الذم بما يشبه المدح: ضربان أيضا:

الأول: أن يستثنى من صفة مدح منفيه عن الشيء، صفة ذم بتقدير دخولها فيها، كقوله: [مجزوء البسيط]

خلا من الفضل غير أني

أراه في الحمق لا يجارى

و نحو: لا فضل للقوم إلا أنهم لا يعرفون للجار حقه. و نحو: فلان ليس أهلا للمعروف، إلا أنه يسىء إلى من يحسن إليه.

الثاني: أن يثبت لشيء صفة ذم، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء (٢) تليها صفة ذم أخرى، نحو: فلان حسود ألا أنه نمام، و كقوله:

[الطويل]

هو الكلب إلا أن فيه ملاله

و سوء مراعاة و ما ذاك في الكلب

و كقوله: [المتقارب]

لئيم الطباع سوى أنه

جبان يهون عليه الهوان

ص: ٣١٤

١-١). و هنا نوع آخر، يسمى «التهجاء في معرض المدح» و هو أن يؤتى بكلام ظاهره مدح، و باطنه ذم، كقوله: [المتقارب] أبو

جعفر رجل عالم بما يصلح المعده الفاسده تخوف تخمه أضيافه فعودهم أكله واحده

٢-٢). و مثل أداة الاستثناء في ذلك، أداة الاستدراك في قول الشاعر: [الطويل] وجوه كأظهار الرياض نضاره و لكنها يوم

الهياج صخور و كقوله: هو البدر إلا أنه البحر زاخرا سوى أنه الضرغام لكنه الوبل أدرج أهل البيان (التديج) في الطباق. و أفرد

أهل البديع، و هو الأولى، لجواز أن لا يقع التقابل بين الألوان، فيفوت «الطاق» .

إشارة

التوجيه: هو أن يؤتى بكلام يحتمل معنيين متضادين على السواء كهجاء، و مديح و دعاء للمخاطب، أم دعاء عليه، ليبلغ القائل غرضه بما لا يمسك عليه، كقول بشار في خياط أعور اسمه عمرو: [مجزوء الرمل]

خاط لي عمرو قباء

ليت عينيه سواء

فإن دعاءه لا يعلم، هل له أم عليه، و قوله:

كلما لاح وجهه بمكان

كثرت زحمة العيون عليه

و يحكى أن محمدا بن حزم هنا الحسن بن سهل باتصال بنته بوران التي تنسب إليها الأطبخه البورانیه بالخليفه المأمون العباسی مع من هنا، فأثابهم، و حرمه، فكتب إليه إن أنت تماديت على حرمانی، قلت فيك بيتا لا يعرف أهو مدح أم ذم، فاستحضره و سأله؟ فأقر، فقال الحسن: لا أعطيك أو تفعل، فقال:

بارك الله للحسن

و لبوران في الختن

يا إمام الهدى ظفر

ت و لكن بينت من؟؟

فلم يدر: بينت من؟؟ أفي العظمه و علو الشأن و رفعه المنزله، أم في الدناءه و الخسه؟؟ فاستحسن الحسن منه ذلك.

الفرق بين التوريه و التوجيه

التوريه: تكون في لفظ واحد.

و أما التوجيه: فيكون في تركيب:

ب-التوريه: يقصد المتكلم بها معنى واحدا: هو البعيد.

التوجيه: لا يترجح فيه أحد المعنيين على الآخر.

ص: ٣١٥

نفى الشيء بإيجابه: هو أن ينفى متعلق أمر عن أمر، فيوهم إثباته له، والمراد نفيه عنه أيضا، نحو قوله تعالى: رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ [النور: ٣٧] (١). فإن نفي إلهاء التجاره منهم، إثباتها لهم، والمراد نفيها أيضا.

(٢٧) القول بالموجب القول بالموجب: نوعان:

الأول: أن يقع في كلام الغير إثبات صفة لشيء و ترتيب حكم عليها، فينقل السامع تلك الصفة إلى غير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه كقوله تعالى: يَقُولُونَ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ [المنافقون: ٨] (٢) فالمنافقون أرادوا بالأعز أنفسهم، وبالأذل المؤمنين ورتبوا على ذلك الإخراج من المدينة فنقلت صفة العزه للمؤمنين، و أبقيت صفة الأذليه للمنافقين، من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للمتصفين بصفة العزه و لا لنفيه عنهم.

ص: ٣١٦

١- ١). مقتطع من الآية: التي مرت في مبحث ترك المسند، حيث يقول: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ [فإن قوله: لا- تلهيهم تجاره]يوهم أن لهم تجاره، غير أنهم لا يلتهبون بها. و لكن المراد أنهم ليس لهم تجاره حتى يلتهبو بها، لأن رجال الجنه لا يتعاطون التجاره.

٢- ٢). تلخيص العبارة: أن الكافرين حكموا لأنفسهم بالعزه، و للمؤمنين، بالذله و قالوا إن رجعنا إلى المدينة نخرجهم منها. فحكم بالعزه لله، و لرسوله، و للمؤمنين و لم يقل إنهم يخرجون أولئك منها، و لا أنهم لا يخرجونهم.

و الثاني: حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده بذكر متعلق له كقوله: [الوافر]

و قالوا قد صفت منا قلوب

لقد صدقوا و لكن عن ودادى

ارادوا بصفو قلوبهم الخلوص فحملة على الخلو بذكر متعلقه، و هو قوله: عن ودادى.

(٢٨) ائتلاف اللفظ مع المعنى

ائتلاف اللفظ مع المعنى: هو أن تكون الألفاظ موافقه للمعانى، فتختار الألفاظ الجزله، و العبارات الشديده للفخر و الحماسه، و

تختار الكلمات الرقيقه، و العبارات اللينه، للغزل و المدح كقوله: [الطويل]

إذا ما غضبنا غضبه مضريه

هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

أذا ما أعرنا سيدا من قبيله

ذرا منبر صلى علينا و سلما

و كقوله: [الطويل]

و لست بنظار إلى جانب الغنى

إذا كانت العلياء فى جانب الفقر

و كقوله: [الرمل]

لميطل ليلى و لكن لم أنم

و نفى عنى الكرى طيف ألم

(٢٩) التفریع

التفریع: هو أن يثبت حكم لمتعلق أمر، بعد إثباته لمتعلق له آخر كقول الشاعر: [المنسرح]

فاضت يدها بالنضار كما

فاضت ظباه فى الوغى بدمى

و كقوله: [البسيط]

أحلامكم لسقام الجهل شافيه

كما دماؤكم تشفى من الكلب

ص: ٣١٧

(٣٠) الاستتباع

الاستتباع: هو الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بشيء آخر، مدحا أو ذما. يعنى أن الاستتباع هو المدح على وجه يستتبع المدح بأمر آخر، كقوله: [الطويل]

ألا ايها المال الذى قد أباده

تسلّ فهذا فعله بالكتائب

و كقوله: [الطويل]

سمح البديهة ليس يمسك لفظه

فكأنما أفاظه من ما له

و كقوله: [البسيط]

الحرب نزهته و البأس همته

و السيف عزمته و الله ناصره

و قيل: إنه يكون أيضا فى الدم، كقول بعضهم فى قاض لم يقبل شهادته برؤيه هلال الفطر: [مجزوء الرمل]

أترى القاضى أعمى

أم تراه يتعامى

سرق العيد كأن العى

د أموال اليتامى

(٣١) السلب و الإيجاب

السلب و الإيجاب: هو أن يقصد المتكلم تخصيص شيء بصفه فينفيها عن جميع الناس، ثم يثبتها له مدحا أو ذما،

فالمدح كقول الخنساء: [الطويل]

و ما بلغت كفّ أمرىء متناولا

من المجد إلا و الذى نلت أطول

و لا بلغ المهدون للناس مدحه

و إن أطبوا إلا الذى فىك أفضل

و الدم، كقول بعضهم: [الكامل]

خلقوا و ما خلقوا لمكرمه

فكانهم خلقوا و ما خلقوا

رزقوا و ما رزقوا سماح يد

فكانما رزقوا و ما رزقوا (١)

ص: ٣١٨

١-١). و هذا مثال للايجاب و السلب.

الإبداع: هو أن يكون الكلام مشتملا على عدة أنواع من البديع، كقول الشاعر: [الطويل]

فضحت الحيا و البحر جودا فقد بكى ال

حيا من حياء منك و التطم البحر (١)

و للقرآن الكريم اليد البيضاء في هذا النوع فقد وجد اثنان و عشرون نوعا في قوله تعالى وَ قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَ يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْمَاءِ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ مع كون الآية سبع عشرة لفظه، و لا بد لي من ذكرها، تبركا بها، و إجماعا لبعض المعاصرين الذين يتفوهون بما لا يليق ذكره، بالنسبة لكلام رب العالمين:

(١) ففيها [المناسبة التامة] بين ابلعي و أقلعي.

(٢) الاستعارة فيهما.

(٣) الطباق بين الأرض و السماء.

(٤) المجاز في قوله [يا سماء] فإن الحقيقة يا مطر.

(٥) الإشارة: في وَ غِيضَ الْمَاءِ فإنه عبر به عن معان كثيرة، فإن الماء لا يغيض حتى لا يقلع مطر السماء و تبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء.

(٦) الإرداف: في قوله: وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ فإنه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى.

(٧) التمثيل في قوله: وَ قُضِيَ الْأَمْرُ فإنه عبر عن هلاك الهالكين و نجاه الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع.

ص: ٣١٩

١-١). فإن فيه حسن التعليل في قوله: [بكى الحياء حياء منك]. و فيه التقسيم في قوله: [فضحت الحيا و البحر]، حيث ارجع ما لكل إليه على التعيين بقوله بكى الحياء، و التطم البحر، و فيه المبالغة في جعله بكاء الحيا و التظام البحر حياء من الممدوح. و فيه الجمع في قوله: فضحت الحيا و البحر. و فيه رد العجز على الصدر: في ذكر البحر و البحر و فيه الجنس التام: بين الحيا و الحياء.

(٨) التعليل، فإن غيظ الماء عله الاستواء.

(٩) التقسيم: فإنه استوفى أقسام الماء حال نقصه.

(١٠) الاحتراس: في قوله: وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ إِذِ الدَّعَاءِ يشعر بأنهم مستحقو الهلاك، احتراسا من ضعيف يتوهم أن الغرق لعمومه ربما يشمل غير المستحق.

(١١) الانسجام، فإن الآيه منسجمه كالماء الجارى فى سلاسته.

(١٢) حسن التنسيق، فإنه تعالى قص القصة و عطف بعضها على بعض بحسن الترتيب.

(١٣) ائتلاف اللفظ مع المعنى، لأن كل لفظه لا يصلح لمعناها غيرها.

(١٤) الإيجاز فإنه سبحانه و تعالى، أمر فيها و نهى و أخبر و نادى و نعت و سمى، و أهلك و أبقى و أسعد و أشقى، و قص من الأنبياء ما لو شرح لجفت الأقلام.

(١٥) التسهيم: إذ أول الآيه يدل على آخرها.

(١٦) التهذيب: لأن مفرداتها موصوفه بصفات الحسن، لأن كل لفظه سهله مخارج الحروف عليها رونق الفصاحه، سليمه من التنافر، بعيده عن عقاده التراكيب.

(١٧) حسن البيان: لأن السامع لا يشكل عليه فى فهم معانيها شىء.

(١٨) الاعتراض، و هو قوله: وَ غِيْظَ الْمَاءِ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى .

(١٩) الكنايه فإنه لم يصرح بمن أغاض الماء. و لا بمن قضى الأمر، و سوى السفينه، و لا بمن قال و قيل بعدا. كما لم يصرح بقائل: يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ اقْلَعِي فى صدر الآيه سلوكا فى كل واحد من ذلك سبيل الكنايه.

(٢٠) التعريض: فإنه تعالى عرض بسالكي مسالكهم فى تكذيب الرسل ظلما، و أن الطوفان و تلك الصوره الهائله ما كانت إلا بظلمهم.

(٢١) الأبداع الذى نحن بصدد الاستشهاد له، و فيها غير ذلك، و قد أفردت هذه الآيه

الشريفه بتأليف عديده لما اشتملت عليه من البلاغه، حتى عد بعضهم فيها مائه و خمسين نوعا، وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشر عاجز عن الإتيان بمثلها.

(٣٣) الأسلوب الحكيم

أسلوب الحكيم: هو تلقى المخاطب بغير ما يترقبه.

١- إما بترك سؤاله: و الإجابة عن سؤال لم يسأله. تنيبها على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال

٢- وإما بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد و يريد، تنيبها على أنه كان ينبغي له أن يقصد هذا المعنى.

فمثال الأول، قوله تعالى: **وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ** [البقره: ٢١٥] سألو النبي عليه الصلاه و السلام عن حقيقه ما ينفقون من مالهم، فأجيبوا ببيان طرق إنفاق المال: تنيبها على أن هذا هو الأولى و الأجدر بالسؤال عنه. و قال تعالى: **يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجَّ** [البقره: ١٨٩] (١).

و مثال الثانى: ما فعل القبعثرى بالحجاج (٢)، إذ قال له الحجاج متوعدا (لأحملنك على الأدهم).

ص: ٣٢١

١- ١) . بيان ذلك: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله سألوه عن الأهل؟ لم تبدو صغيره، ثم تزداد حتى يتكامل نورها. ثم تتضاءل حتى لا ترى «و هذه مسأله دقيقه من علم الفلك» تحتاج إلى فلسفه عاليه و ثقافه عامه. فصرفهم عنها ببيان أن الأهل و سائل للتوقيت فى المعاملات، و العبادات، إشاره إلى أن الأولى بهم أن يسألوا عن هذا.

٢- ٢) . هو الحجاج بن يوسف الثقفى، كان عاملا على العراق و خراسان: لعبد الملك بن مروان، ثم للوليد من بعده، و كان شديد البطش قاسيا، حتى ضرب المثل بجوره و ظلمه توفى سنه ٩٥ هـ

يريد الحجاج: القييد الحديد الأسود: فقال القبعثرى: «مثل الأمير يحمل على الأدهم و الأشهب» يعنى الفرس الأسود، و الفرس الأبيض، فقال له الحجاج: أردت الحديد فقال القبعثرى: لأن يكون حديدا خيرا من أن يكون بليدا، و مراده تخطئه الحجاج بأن الأليق به الوعد لا الوعيد (١).

و قال ابن حجاج بغدادى: [الخفيف]

قال: ثقلت، إذ أتيت مرارا

قلت: ثقلت كاهلى بالأيدى

قال: طولت، قال: أوليت طولاً

قال: أبرمت، قلت: حبل و دادى (٢)

فصاحب ابن حجاج، يقول له: قد ثقلت عليك بكثرة زيارتى، فيصرفه عن رأيه فى أدب و طرف و ينقل كلامه من معنى إلى معنى آخر: و قول الشاعر: [الطويل]

و لما نعى الناعى سألتناه خشيه

و للعين خوف البين تسكاب أمطار

أجاب قضى: قلنا قضى حاجه العلا

فقال: مضى قلنا: بكلّ فخار

و يحكى: أنه لما توجه خالد بن الوليد لفتح الحيره، أتى إليه من قبل أهلها رجل ذو تجربه فقال له خالد: فيم أنت؟ قال: فى ثيابى، فقال: علام أنت؟ فأجاب على الأرض فقال كم سنك؟ قال: اثنتان و ثلاثون فقال: أسألك عن شىء و تجيبنى بغيره، فقال: إنما أجتك عما سألت.

ص: ٣٢٢

١- ١) . سبب ذلك: أن الحجاج بلغه أن القبعثرى لما ذكر الحجاج بينه و بين أصحابه فى بستان، قال: اللهم سود وجهه، و اقطع عنقه و استقنى من دمه، فوشى به إلى الحجاج فلما مثل بين يديه، و سأله عن ذلك، قال: إنما أردت «العنب» فقال له الحجاج ما ذكر.

٢- ٢) . فقد وقع لفظ «ثقلت» فى كلام المتكلم بمعنى «حملتك المؤونه» فحملة المخاطب على الإكثار من المنن و الأيدى «و أبرمت» وقع فى كلامه بعضى «أملت» فحملة المخاطب على إبرام حبل الوداد و إحكامه، و ليس فى طولت الأولى التى سمى

من طول الإقامه، و تطولت من التطول و هو التفضل: شاهد.

(٣٤) تشابه الأطراف

تشابه الأطراف: قسمان معنوى و لفظى.

فالمعنوى: هو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه فى المعنى كقوله: [الطويل]

ألد من السحر الحلال حديثه

و أعذب من ماء الغمامه ريقه

فالريق: يناسب اللذه فى أول البيت.

و اللفظى نوعان: الأول: أن ينظر الناظم أو الناثر إلى لفظه وقعت فى آخر المصراع الأول أو الجملة، فيبدأ لها المصراع الثانى، أو الجملة التالىة، كقوله تعالى: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ [النور: ٣٥] و كقول أبى تمام: [الطويل]

هوى كان خلصا إن من أبرد الهوى

هوى جلت أفيائه و هو خامل

الثانى: أن يعيد الناظم لفظه القافيه من كل بيت فى أول البيت الذى يليه، كقوله: [الطويل]

رمتنى و ستر الله بينى و بينها

عشيه آرام الكناس رميم

ريمم التى قالت لجيران بيتها

ضمنت لكم ألا يزال يهيم

(٣٥) العكس

العكس: هو أن تقدم فى الكلام جزءا ثم تعكس، بأن تقدم ما أخرت، و تؤخر ما قدمت، و يأتى على أنواع:

أ- أن يقع العكس بين أحد طرفى جملة، و ما أضيف إليه ذلك الطرف نحو: كلام الملوك ملوك الكلام و كقول المتنبى: [الطويل]

إذا أمطرت منهم و منك سحابه

فوابلهم طَلَّ و طَلَّكَ و اَبَلَ

ص: ٣٢٣

ب- أن يقع العكس بين متعلقى فعلين فى جملتين كقوله تعالى: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ [الروم: ١٩].

ج- أن يقع العكس بين لفظين فى طرفى الجملتين كقوله تعالى: لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ [الممتحنة: ١٠].

د- أن يقع العكس بين طرفى الجملتين نحو قول الشاعر: [الطويل]

طويت بإحراز الفنون و نيلها

رداء شباب و الجنون فنون

فحين تعاطيت الفنون و حظها

تبين لى أن الفنون جنون

ه- أن يكون العكس بترديد مصراع البيت معكوسا نحو قول الشاعر: [الخفيف]

إن للوجد فى فؤادى تراكم

ليت عينى قبل الممات تراكم

فى هواكم يا سادتى مت وجدا

مت وجدا يا سادتى فى هواكم

(٣٦) تجاهل العارف

إشاره

تجاهل العارف: هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقه، تجاهلا لنكته، كالتوبيخ، فى قوله: [الطويل]

أيا شجر الخابور ما لك مورك

كأنك لم تجزع على ابن طريف

أو المبالغه فى المدح، كقول البحرى: [البيسط]

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح؟؟

أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى

أو المبالغه فى الذم، كقول زهير: [الوافر]

و ما أدرى و سوف إخال أدرى

أقوم آل حصن أم نساء

أو التعجب نحو: أفسحُرْ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ [الطور: ١٥] إلى غير ذلك من الأغراض البديعية التى لا تحصى.

ص: ٣٢٤

بين الأنواع البديعية فيما يلي:

١- قال بعضهم فى وصف إبل: [الرجز]

صلب العصا بالضرب قد أدامها

تودّ أن الله قد أفناها (١)

٢- وللغزاه شىء من تلفته

و نورها من ضيا خديّه مكتسب (٢)

[البسيط]

٣- أفنى جيوش العدا غزوا فلست ترى

سوى قتيل و مأسور و منهزم (٣)

[البسيط]

٤- ولا عيب فيهم غير أن ذوى الندى

خساس إذا قيسوا بهم و لثام (٤)

[الطويل]

٥- على رأس عبد تاج عز يزينه

و فى رجل حر قيد ذل يشينه (٥)

[الطويل]

ص: ٣٢٥

١ - ١). الضرب: لفظ مشترك بين الضرب بالعصا و هو المعنى القريب الذى لم يقصد، و السير فى الأرض، و هو المعنى البعيد المقصود و المراد بالتوريه.

- ٢-٢) . فيه استخدام: إذ أراد بالغزاه الحيوان المعروف، و بضمير (نورها) الغزاه بمعنى الشمس.
- ٣-٣) . فيه تقسيم: إذ هو قد استوفى جميع أقسام جيش العدو، بحصرها فى الأقسام الثلاثة.
- ٤-٤) . فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم، فإنه استثنى من صفه ذم منفيه. صفه مدح.
- ٥-٥) . فيه مقابله بين سته و سته: فقد قابل بين على و فى. رأس و رجل، حر و عبد، تاج و قيد، عز و ذل، يزين و يشين.

٦- فلا الجود يفنى المال و الجدّ مقبل

و لا البخل يبقى المال و الجدّ مدبر (١)

[الطويل]

٧- رحم الله من تصدّق من فضل

أو آسى من كفاف، أو آثر من قوت (٢)

[الخفيف]

٨- آراؤكم و جوهكم و سيوفكم

فى الحادّثات إذا دجون نجوم (٣)

[الكامل]

٩- ما زلزلت مصر من كيد ألم بها

لكنها رقصت من عدلكم طربا (٤)

[البسيط]

١٠- أراعى النجم فى سيرى إليكم

و يراه من البيدا جوادى (٥)

[الوافر]

تطبيق عام على البديع المعنوى

يا سيدا حاز لطفًا

له البرايا عبيد

أنت الحسين و لكن

جفاك فينا يزيد

-
- ١-١ . فيه مقابله: بين الجود و البخل، يفنى و يبقى، مقبل و مدبر.
- ٢-٢ . فيه تقسيم: باستيفاء أقسام الشيء، لأن طبقات الناس هذه الثلاثة ليس غير.
- ٣-٣ . فيه الجمع، فقد جمع بين ثلاثة أشياء في حكم واحد.
- ٤-٤ . فيه حسن التعليل فقد جعل عله زلزال مصر طربا من عدل الممدوح لا لمكروه نزل بها، و هى لا شك غير العله التى يتعارفها الناس فيما بينهم.
- ٥-٥ . فيه استخدام: إذ النجم الأول الكوكب، و أعاد عليه الضمير بمعنى النبات الذى لا ساق له.

فى هذا الكلام توربه؁ مهياه بلفظ قبلها؁ فإن ذكر «الحسين» لازم لكون يزيد اسما بعد احتمال الفعل المضارع المورى عنه.

حماه فى بهجتها جنه

و هى من الغم لنا جنّه

لا تياسوا من رحمه الله فقد

رايتم العاصى فى الجنه

[السريع]

فى هذا الكلام توربه مرشحه؁ فإن ذكر الرحمه ترشيح للفظ العاصى المورى به الذى هو من العصيان؁ و المورى عنه النهر المعروف الذى عبر حماه.

فإن ضيعت فيه جميع مالى

فكم من لحيه حلقت بموسى

[الوافر]

فيه التوربه المرشحه؁ بذكر اللحيه و الحلق؁ و هما يناسبان المورى به و هو «موسى الحديد» و المورى عنه الاسم المذكور.

يا عدولى فى مغن مطرب

حرك الأوتار لَمَا سفرا

لم تهز العطف منه طربا

عند ما تسمع منه و ترا

[الرمل]

فيه توربه فى لفظ و ترا فإن معناه البعيد المراد هو الرؤيه؁ و القريب أحد الأوتار و لفظ تسمع هيا قوله و ترا للتوربه.

سألته عن قومه فأنثنى

يعجب من إفراط دمعى السخى

و أبصر المسك و بدر الدجى

فقال ذا خالى و هذا أخى

[السريع]

فيه توريه فى لفظ خالى فمعناه البعيد المراد، النقطة السوداء فى الخد، و القريب أخ الأم، و لفظه أخى هى التى هيأت خالى للتوريه و هى بعيدة.

ص: ٣٢٧

١-١) . و يقال له التجنيس، و التجانس، و المجانسه. و لا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى، و وازى مصنوعه مطبوعه، مع مراعاة النظير، و تمكن القرائن، فينبغى أن ترسل المعانى على سجيته ليكتسى من الألفاظ ما يزينها حتى لا يكون التكلف فى الجناس مع مراعاة الالتئام. موقعا صاحبه فى قول من قال: [الكامل] طبع المجنس فيه نوع قياده أو ما ترى تأليفه للأحرف و بملاحظه ما قدمنا يكون فيه استدعاء لميل السامع و الإصغاء إليه، لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه، و يأخذها نوع من الاستغراب. و تلخيص القول فى الجناس: أنه نوعان: تام. و غير تام: فالتام، هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان فى أمور أربعه: نوع الحروف. و شكلها من الهيئه الحاصله من الحركات و السكنات. و عددها. و ترتيبها. و غير التام، و هو ما اختلف فيه اللفظان فى واحد من الأمور الأربعه كقول الله تعالى: وَالتَّتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ و كقول الشاعر: [الطويل] و سميته يحيى ليحيا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل و كقوله: [مجزوء الكامل] أشكو و أشكر فعله فاعجب لشاك منه شاكر طرفى و طرف النجم فى ه كلاهما ساه و ساهر

الجناس: هو تشابه لفظين في النطق، و اختلافهما في المعنى.

و هو ينقسم إلى نوعين: لفظي و معنوي.

أنواع الجناس اللفظي

١-منها: الجناس التام: و هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء نوع الحروف، و عددها، و هيئاتها الحاصله من الحركات و السكنات، و ترتيبها مع اختلاف المعنى.

فإن كان اللفظان المتجانسان من نوع واحد كاسمين، أو فعلين، أو حرفين سمي: الجناس مماثلا (١) نحو: وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ [الروم:٥٥] فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة، و بالساعة الثانية المدة من الزمان، و نحو: رحبه رحبه. فرحبه الأولى: فناء الدار، و رحبه الثانية: بمعنى واسعته.

و إن كانا من نوعين: كفعل و اسم، سمي: الجناس مستوفيا. نحو ارع الجار و لو جار و كقول الشاعر: [الكامل]

ما مات من كرم الزمان فإنه

يحيا لدى يحيى بن عبد الله

فيحيا الأول فعل مضارع، و يحيى الثانى اسم الممدوح. و نحو: [السريع]

إذا رماك الدهر فى معشر

قد أجمع الناس على بغضهم

فدارهم ما دمت فى دارهم

و أرضهم ما دمت فى أرضهم

(١)

و كقول ابن الفارض: [الكامل] هلا نهاك عن لوم امرىء لم يلف غير منعم بشقاه و قول المعرى: [البيسيط] لم نلق غيرك إنسانا يلاذ به فلا برحت لعين الدهر إنسانا

ص: ٣٣٠

و الجناس التام: مما لا يتفق للبلغ إلا على ندور و قله، فهو لا يقع موقعه من الحسن حتى يكون المعنى هو الذى استدعاه و ساقه، و حتى تكون كلمته مما لا يتغى الكاتب منها بدلا، و لا يجد منها حولا.

و أما: الجناس غير التام: فهو ما اختلف فيه اللفظان فى واحد أو أكثر من الأربعة السابقة، و اختلفهما، يكون إما:

بزيادة حرف. فى الأول: نحو: دوام الحال من المحال. أو فى الوسط نحو: جدى جهدى أو فى الآخر نحو: الهوى مطيه الهوان. و الأول يسمى مردوفا. و الثانى يسمى مكتنفا. و الثالث مطرفا.

او باختلاف حرف فى الأول كقوله تعالى: **ذِكْرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ** [غافر: ٧٥] و فى الوسط كقول الشاعر: [الوافر]

فإن حلوا فليس لهم مقرّ

و إن رحلوا فليس لهم مقر

و فى الآخر كقوله عليه السلام: «الخيال معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة» .

و من اختلاف أعدادها، قولك: هذا بناء ناء.

و من اختلاف ترتيب الحروف، قوله: فى حسامه فتح لأوليائه، و حتف لأعدائه.

و من اختلاف الهيئه، قول الشاعر: [البسيط]

الجدّ فى الجدّ و الحرمان فى الكسل

فانصب تصب عن قريب غايه الأمل.

٢- ومنها: الجناس المطلق: و هو توافق ركنيه فى الحروف و ترتيبها بدون أن يجمعهما اشتقاق، كقوله صلى الله عليه و آله «أسلم» سالمها الله، «و غفار» غفر الله لها، «و عصيه» عصت الله و رسوله.

فإن جمعهما اشتقاق نحو: **لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** [الكافرون: ٣]

فقليل: يسمى جناس الاشتقاق (١).

٣- ومنها: الجناس المذيل، و الجناس المطرف.

فالأول: يكون الاختلاف بأكثر من حرف في آخره.

ص: ٣٣٢

١-١) . كقوله: فيا دمع أنجدنى على ساكنى نجد و كقوله: [الخفيف] و إذا ما رياح جودك هبت صار قول العذول فيه هباء و قول النابعة: [الطويل] فيا لك من حزم و عزم طواهما جديد الردى بين الصفا و الصفائح و قول البحترى: [الوافر] نسيم الروض فى ریح شمال و صوب المزن فى راح شمول و كقوله: [الوافر] أراك فيمتلى قلبى سرورا و أخشى أن تشط بك الديار فجر و اهجر وصل و لا- تصلنى رضيت بأن تجور و أنت جار و كقوله: [مجزوء الكامل] من بحر جودك أعترف و بفضل علمك أعترف و كقولهم «خلف الوعد خلق الوغد» و كقول البشتى: [الوافر] بسيف الدوله اتسقت أمور رأيناها مبدده النظام و كقول الشبكي: [الكامل] كن كيف شئت عن الهوى لا- أنتهى حتى تعود لى الحياء و أنت هى و كقوله: [الوافر] سما و حمى نبى سام و حام فليس كمثلته سام و حام و قول أبى نواس: [الكامل] عباس عباس إذا احتدم الوغى و الفضل فضل و الربيع ربيع

و الثاني: يكون الاختلاف بزيادة حرف في اخره.

فالجناس المذيل: كقول الخنساء: [المجزوء الكامل]

انَّ البكاء هو الشفا

ء من الجوى بين الجوانح

و الجناس المطرف: كقول أبي تمام: [الطويل]

يمدون من أيد عواص عواصم

تصول بأسياف قواض قواضب

٤- ومنها: الجناس المضارع و الجناس اللاحق.

فالجناس المضارع، يكون باختلاف ركنيه في حرفين، لم يتباعدا مخرجا

إما في الأول: نحو: ليل دامس، و طريق طامس.

و إما في الوسط: نحو: وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ، وَ يَنْأَوْنَ عَنْهُ [الأنعام: ٢٦].

و إما في الآخر: نحو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله «الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» .

و الجناس اللاحق يكون في متباعدين.

إما في الأول: نحو هَمَزَهُ لَمَزَهُ [الهمزة: ١].

و إما في الوسط: نحو: إِنَّهُ عَلِيٌّ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ، وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ [العاديات: ٧، ٨].

و إما في الآخر: نحو قوله تعالى: وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ [النساء: ٨٣].

٥- ومنها: الجناس اللفظي و هو ما تماثل ركناه لفظا، و اختلف احد ركنيه عن الآخر خطأ، إما الاختلاف في الكتابه بالنون و

التنوين. و إما الاختلاف في الكتابه بالضاد و الظاء، أو الهاء و التاء.

فالأول: و هو ما تماثل ركناه لفظا، و اختلف أحد ركنيه عن الآخر خطأ في الكتابه بالنون و التنوين قوله: [الرجز]

أعذب خلق الله نطقا و (فما)

إن لم يكن أحقّ بالحسن (فمن)

مثل الغزال نظره و لفته

من ذا رآه مقبلا و لا افتتن

ص: ٣٣٣

و الثاني: و هو اختلاف أحد ركنيه فى الضاد و الظاء نحو قوله تعالى: **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ** (إِلَىٰ رَبِّهَا **نَاظِرَةٌ**) [القيامة: ٢٢]، و كقول أبى فراس: [مجزوء الكامل]

ما كنت تصبر فى القدى

م فلم صبرت الآن عنا

و لقد ظننت بك الظنو

ن لأنه من (ضنّ ظنا)

و الثالث: و هو اختلاف أحد ركنيه فى الهاء و التاء كقوله: [البسيط]

إذا جلست إلى قوم لتؤنسهم

بما تحدّث من ماض و من آت

فلا تعيدن حديثا إنّ طبعهم

موكل (بمعاداه المعادات)

٦- منها: الجناس المحرّف و «الجناس المصحّف»

فالأول: ما اختلف ركناه فى هيئات الحروف الحاصله من حركاتها و سكناتها، نحو: جبه البرد جّته البرد. و نحو: إذا زلّ العالم، زلّ بزله العالم

و الثانى: ما تماثل ركناه وضعاء، و اختلفا نقطا، بحيث لو زال إعجام أحدهما لم يتميز عن الآخر كقول بعضهم: عزّك عزّك، فصار قصارى ذلك ذلك، فاحش فاحش فعلك، فعلك بهذا تهدى. و مثل قول أبى فراس: [مجزوء الكامل]

من بحر شعرك أعترف

و بفضل علمك أعترف

٧- منها: الجناس المركب و الجناس الملقق.

فالأول: ما اختلف ركناه أفرادا و تركيبا. فإن كان من كلمه و بعض أخرى سمى مرفّوا مثل قول الحريرى: [الطويل]

و لا تله عن تذكّار ذنبك و ابكه

بدمع يضاهى المزن حال مصابه

و مثل لعينيك الحمام و وقعه

و روعه ملقاه و مطعم صابه

و إن كان من كلمتين فإن اتفق الركنان خطأ سَمِيَ (مقرونا) مثل قوله: [الطويل]

إذا ملك لم يكن «ذاهبه»

فدعه فدولته «ذاهبه»

ص: ٣٣٤

و إلا سَمَى مفروقا مثل قوله: [الكامل]

لا تعرضنّ على الزّواه قصيده

ما لم تكن بالغت في تهذيبيها

فإذا عرضت الشر غير مهذب

عدّوه منك و ساوسا تهذى بها

و الثاني: و هو الجناس الملقق: يكون بتركيب الركنين جميعا مثل قوله: [الوافر]

و ليت الحكم خمسا و هي خمس

لعمري و الصبا في العنقوان

فلم تضع الأعدى قدر شاني

و لا قالوا فلان قد رشاني

٨- ومنها: جناس القلب و هو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف، نحو: حسامه فتح لأوليائه، و حتف لأعدائه. و يسمى قلب كلّ لانعكاس الترتيب.

و نحو: اللهم استر عوراتنا، و آمن روعاتنا، و يسمى قلب بعض.

و نحو: رحم الله امرأ، أمسك ما بين فكيه، و أطلق ما بين كفيه.

و إذا وقع أحد المتجانسين في أول البيت، و الآخر في آخره، سَمَى مقلوبا مجنحا كأنه ذو جناحين مثل قوله: [مجزوء الكامل]

لاح أنوار الهدى

من كفه في كل حال

و إذا ولي أحد المتجانسين الآخر قيل له المزدوج.

و إن كان التركيب بحيث لو عكس حصل بعينه فالمستوى و يسمى أيضا ما لا- يستحيل بالانعكاس نحو: كُذِّبَ فِي فَلَكٍ [الأنبياء: ٣٣] و نحو: وَ رَبِّكَ فَكَبِيرٌ [المدثر: ٣].

و بعد: فلا يخفى على الأديب، ما في الجناس من الاستدعاء لميل السامع، لأن النفس ترى حسن الإفاده، و الصورة صورته تكرر

وإعادته و من ثم تأخذها الدهشه و الاستغراب، و لأمر ما، عدّ الجناس من حلى الشعر.

ص: ٣٣٥

أنواع الجناس المعنوي

الجناس المعنوي: نوعان: جناس إضمار و جناس إشارة.

أ-جناس الإضمار أن يأتي بلفظ يحضر في ذهنك لفظا آخر و ذلك اللفظ المحضّر يراد به غير معناه، بدلاله السّياق مثل قوله:
[البسيط]

«منعم» الجسم تحكى الماء رفته

و قلبه «قسوه» يحكى أبا أوس

و أوس شاعر مشهور من شعراء العرب، و اسم أبيه حجر، فلفظ أبي أوس يحضر في الذّهن اسمه، و هو حجر؛ و هو غير مراد؛ و إنما المراد: الحجر المعلوم، و كان هذا النوع في مبدئه مستنكرا، و لكنّ المتأخرين و لعوا به، و قالوا منه كثيرا. فمن ذلك قول البهاء زهير: [البسيط]

و جاهل طال به عنائي

لا زمني و ذاك من شقائي

أبغض للعين من الأقداء

أثقل من شماته الأعداء

فهو إذا رآته عين الرائي

أبو معاذ أو أخو الخنساء

ب-و جناس الإشارة هو ما ذكر فيه أحد الركنين، و أشير للآخر بما يدل عليه، و ذلك إذا لم يساعد الشعر على التصريح به. نحو:
[المجتث]

يا «حمزه» اسمح بوصل

و امنن علينا بقرب

في ثغرك اسمك أضحى

مصحفا و بقلبي

فقد ذكر الشاعر أحد المتجانسين: و هو حمزه، و أشار إلى الجناس فيه، بأن مصحفه، في ثغره، اى خمرة و فى قلبه، اى جمره و بعد: فاعلم أنه لا يستحسن الجناس، و لا يعدّ من اسباب الحسن، إلا إذا جاء عفوا، و سمح به الطبع من غير تكلف، حتى لا يكون من أسباب ضعف القول و انحطاطه، و تعرّض قائله للسخرية و الاستهزاء.

ص: ٣٣٦

٢- التصحيف

التصحيف: هو التشابه في الخط بين كلمتين فأكثر: بحيث لو أزيل أو غيرت نقط كلمه، كانت عين الثانيه، نحو التخلّى، ثم التخلّى، ثم التجلّى.

٣- الازدواج

الازدواج: هو تجانس اللفظين المجاورين، نحو: من جدّ و جد، و من لجّ و لج

٤- السجع

السجع: هو توافق الفاصلتين (١) في الحرف الأخير من النثر. و أفضله: ما تساوت فقره، و هو ثلاثه أقسام:

أولها: السجع المطرف، و هو ما اختلفت فاصلته في الوزن، و اتفقتا في التقضيه، نحو قوله تعالى: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا [نوح: ١٣].

و نحو قوله تعالى: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا [النبأ: ٦].

ثانيها: السجع المرصيع، و هو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن و التقفيه، مثل قول الحريري: هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، و يقرع الأسماع بزواجر وعظه (٢)، و مثل قول الهمداني: إن بعد الكدر صفوا، و بعد المطر صحوا.

ثالثها: السجع المتوازي و هو ما لم تتفق فيه الفقرتان في الوزن و التقفيه نحو قوله تعالى: فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ [الغاشية: ١٤] لاختلاف سرر، و أكواب، وزنا

ص: ٣٣٧

(١- ١). «الفاصله» في النثر «كالقافيه» في الشعر، و السجع خاص بالنثر.

(٢- ٢). و لو أبدل الأسماع بالأذان كان مثالا للأكثر: و سمي السجع سجعا تشبيها له بسجع الحمام. و فواصل الأسجاع موضوعه على أن تكون ساكنه الاعجاز، موقوفا عليه، لأن الغرض أن يزاوج بينها، و لا يتم ذلك إلا بالوقف.

و تقيفه، و نحو قوله تعالى: وَ الْمُرْسِيَّاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِمَاتِ عَصْفًا [المرسلات: ٢] لاختلاف المرسلات، و العاصفات وزنا فقط، و نحو: حسد الناطق و الصامت، و هلك الحاسد و الشامت لاختلاف ما عدا الصامت، و الشامت: تقيفه فقط.

و الأسجاع مبنية على سكون أواخرها، و أحسن السجع ما تساوت فقره، نحو قوله تعالى: فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ، وَ طَلْحٍ مَّنْضُودٍ، وَ ظِلٌّ مَّمْدُودٍ [الواقعه: ٢٨]. ثم ما طالت فقرته الثانيه، نحو قوله تعالى: وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا مَدَّ أَصْبَاحُكُمْ وَ مَا غَوَىٰ [النجم: ٢] ثم ما طالت ثالثته، نحو قوله تعالى: أَلْتَارِ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَ هُمْ عَلَيْهَا مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ [البروج: ٥-٧] و لا يحسن عكسه، لأن السامع ينتظر إلى مقدار الأول، فإذا انقطع دونه، أشبه العثار (١)، و لا يحسن السجع إلا إذا كانت المفردات رشيقة، و الألفاظ خدم المعانى.

و لا يستحسن السجع أيضا إلا إذا جاء عفوا، خاليا من التكلف و التصنع، و من ثم لا تجد لبلوغ كلاما يخلو منه، كما لا تخلو منه سورة و إن قصرت.

و السجع: موطنه النثر. و قد يجيء في الشعر نادرا، مثل قوله: [مجزوء البسيط]

فنحن في جزل

و الروم في وجل

و البرّ في شغل

و البحر في خجل

و لا يقال في القرآن «اسجاع» لان السجع في الاصل هدير الحمام و نحوها؛ بل يقال: «فواصل»

٥- الموازنه

الموازنه: هي تساوى الفاصلتين في الوزن دون التقيفه، نحو قوله تعالى: وَ تَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَ زُرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ [الغاشيه: ١٦] فإن مصفوفه و مبثوته متفتتان في الوزن، دون التقيفه.

ص: ٣٣٨

١ - ١). يعنى أنه لا يحسن أن يوتى في السجع بفقره أقصر مما قبلها كثيرا، لأن السجع إذا استوفى أمده من الأولى لطولها، ثم جاءت الثانية أقصر منها، يكون كالشيء المبتور.

٦- الترصيع

الترصيع: هو توازن الألفاظ، مع توافق الأعجاز، أو تقاربها.

مثال التوافق: نحو قوله عز وجل: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ [الانفطار: ١٣].

و مثال التقارب: نحو قوله سبحانه: وَ آتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَشِينِ وَ هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الصافات: ١١٨، ١١٧].

٧- التشريع

التشريع: هو بناء البيت على قافيتين، يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما كقول الشاعر: [الكامل].

يا خاطب الدنيا الدينيه إنها

شرك الردى و قراره الأقدار

دار متى ما أضحكك في يومها

أبكت غدا تبا لها من دار

و إذا أضلّ سحابها لم ينتفع

منه صدى لجهامه الغرّار

غاراتها لا تنقضى و أسيرها

لا يفتدى بجلائل الأخطار

فتكون هذه الأبيات من بحر الكامل و يصح أيضا الوقوف على الردى و غدا و صدى، و يفتدى؛ و تكون إذا من (مجزوء الكامل) و تقرأ هكذا:

يا خاطب الدنيا الدينيه

إنها شرك الردى

دار متى ما أضحكك

في يومها أبكت غدا

و إذا أضلّ سحابها

لم ينتفع منه صدى

غاراتها لا تنقضى

و أسيرها لا يفتدى

و كقوله: [الكامل]

يا أيها الملك الذى عمّ الورى

ما فى الكرام له نظير ينظر

لو كان مثلك آخر فى عصرنا

ما كان فى الدنيا فقير معسر

ص: ٣٣٩

اذ يمكن أن يقال أيضا في هذين البيتين: [مجزوء الكامل]

يا ايها الملك الذى

ما فى الكرام له نظير

لو كان مثلك آخر

ما كان فى الدنيا فقير

٨- لزوم ما لا يلزم

لزوم ما لا يلزم: هو أن يجيء قبل حرف الرّوى، أو ما فى معناه من الفاصله، بما ليس بلازم فى التّفقيه، و يلتزم فى بيتين أو أكثر من النظم أو فى فاصلتين أو أكثر من النثر نحو قوله تعالى: فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ [الضحى: ٩، ١٠].

و كقول الطّغرائى فى أول لاميته المشهوره: [البسيط]

أصاله الرّأى صانتنى عن الخطل

و حليه الفضل زانتنى لدى العطل

و كقوله: [الكامل]

يا محرقا بالنار وجه محبّه

مهلا فإنّ مدامعى تطفيه

أحرق بها جسدى و كلّ جوارحى

و احرص على قلبى فإنّك فيه

و قد يلتزم أكثر من حرف، مثل قوله: [السريع]

كل و اشرب الناس على خبره

فهم يمزون و لا يعذبون

و لا تصدّقهم إذا حدّثوا

فإنهم من عهدهم يكذبون

٩-رد العجز على الصدر

٩-رد العجز على الصدر (١)

ردّ العجز على الصّيدر: في النثر هو أن يجعل أحد اللفظين، المكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما بأن جمعهما اشتقاق أو شبهه في أول فقره، ثم تعاد في آخرها، مثل قوله تعالى: وَ تَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ [الأحزاب: ٣٧] ونحو قوله سبحانه: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً [نوح: ١٠]. وقولك: «سائل» اللّيم يرجع ودمعه «سائل». فسائل الأول: من

ص: ٣٤٠

(١-١). وقد يسمّى ب «التصدير»

السؤال؛ و سائل الثاني من السيلان.

و اللذان يجمعهما شبه اشتقاق، نحو قوله عز و جل: **قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ** [الشعراء: ١٦٨].

ب-ردّ العجز على الصدر: في النظم هو أن يكون أحدهما في آخر البيت، و الآخر يكون. إما في صدر المصراع الأول، أو في حشوه، أو في آخره (١). و إما في صدر المصراع الثاني.

نحو قوله: [الطويل]

سريع إلى ابن العمّ يلطم وجهه

و ليس إلى داعي الندى بسريع

و قوله: [الوافر]

تمتع من شميم عرار نجد

فما بعد العشيّه من عرار

و نحو: [الطويل]

و ما لامرئ طول الخلود و إنما

يخلده طول الثناء فيخلد

١٠- ما لا يستحيل بالانعكاس

ما لا- يستحيل بالانعكاس: هو كون اللفظ يقرأ طرداً و عكساً نحو: كن كما أمكنك، كقوله تعالى: **وَ رَبِّكَ فَكْبُرُ** [المدثر: ٣]. و كقوله: [الوافر]

مودّته تدوم لكلّ هول

و هل كلّ مودّته تدوم

١١-المواربه

المواربه: هي أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يغيّر معناه بتحريف، أو تصحيف. أو غيرهما، ليسلم من المؤاخذه كقول أبي نواس: [المتقارب]

لقد ضاع شعري على بابكم

كما ضاع عقد على خالصه

ص: ٣٤١

١-١). كقوله: [الكامل] و من كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت بالبيض القواضب مغرما

فلما أنكر عليه الرشيد ذلك، قال أبو نواس: لم أقل إلا:

لقد ضاء شعري على بابكم

كما ضاء عقد علي خالصه

١٢- ائتلاف اللفظ مع اللفظ

□ ائتلاف اللفظ مع اللفظ: هو كون ألفاظ العبارة من واد واحد في الغرابه و التأمل، مثل قوله سبحانه: تَاللّٰهِ تَفْتُنًا تَدْكُرُ يُوسُفَ [يوسف: ٨٥].

لما أتى بالتاء التي هي أغرب حروف القسم، أتى بتفتأ التي هي أغرب أفعال الاستمرار.

١٣- التسميط

التسميط: هو أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام:

ثلاثة منها على سجع واحد، بخلاف قافية البيت كقول جنوب الهدليّ: [المتقارب]

و حرب وردت و ثغر سدوت

و علج شدت عليه الجبالا

و قوله: [البسيط]

في ثغره لعس في خده قيس

في قده ميس في جسمه ترف

١٤- الانسجام أو السهولة

الانسجام أو السهولة: هو سلامة الألفاظ، و سهوله المعاني مع جزالتها و تناسبهما مثل قول الشاعر: [المنسرح]

ما وهب الله لامرئ هبه

أفضل من عقله و من أدبه

هما كمال الفتى فإن فقدا

ففقده للحياه أليق به

الاكتفاء: هو أن يحذف الشاعر من البيت شيئاً، يستغنى عن ذكره، بدلاله العقل عليه، مثل قول الشاعر: [المتقارب]

فإنّ المتيه من يخشها

فسوف تصادمه أينما

أى أينما توجه (١).

١٦-التطريز

إشاره

التطريز: هو أن يكون صدر النثر أو الشعر مشتملاً على ثلاثة أسماء مختلفه المعانى و يكون العجز صفة متكرره بلفظ واحد كقول القائل: [الوافر]

و تسقيني و تشرب من رحيق

خليق أن يلقّب بالخلوق

كأنّ الكأس فى يدها و فيها

عقيق فى عقيق فى عقيق

ص: ٣٤٣

١-١). و كقوله: [الرجز] ما للنوى ذنب و من أهوى معى إن غاب عن إنسان عيني فهو فى و كقوله: [المجتث] يا لائمي فى هواها أفرطت فى اللوم جهلا ما يعلم الشوق إلا و لا الصبابه إلا و كقوله: [البسيط] ضلوا عن الماء لما أن سروا سحرا قومي فظلوا حيارى يلهثون ظما و الله أكرمنى بالماء بعدهم فقلت يا ليت قومي يعلمون بما و كقوله: [الكامل] الدمع قاض بافتضاحى فى هوى طبي يغار الغصن منه إذا مشى و غدا بوجدى شاهد و وشى بما أخفى فيالله من قاض وشا و كقوله: [الكامل] لا أنتهى أنشئى لا أرعوى ما دمت فى قيد الحياه و لا إذا

بين ما فى الأبيات الآتية من المحسنات اللفظه:

١-عَضْنَا الدَّهْرَ بِنَابِهِ

ليت ما حلّ بنابه (١)

[مجزوء الرمل]

٢-إِلَى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي

أرى قدمي أراق دمي (٢)

٣-لَنْ أَخْطَأَ فِي مَدِيحِ

ك ما أخطأت فى منعى (٣)

لقد أنزلت حاجاتي

بواد غير ذى زرع

[مجزوء الوافر]

ص: ٣٤٤

١- ١). فيه جناس تام: بين «بنابه» الأولى، أحد أنياب الأسنان «و بنابه» الثانية المركبه من «بنا» و «به» .

٢- ٢). فيه جناس تام: بين أرى قدمي، أى أنظر قدمي و أراق دمي أى صب و أهدر دمي أى قتلنى بلا ديه.

٣- ٣). فى الشطر الأخير من البيت الثانى، اقتباس من الآيه الكريمة رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَّكُنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ .

خاتمه فى السرقات الشعرية و ما يتبعها

السرقه: هى أن يأخذ الشخص كلام الغير، و ينسبه لنفسه.

و هى ثلاثة أنواع: نسخ، و مسخ و سلخ.

أ-النسخ: و يسمّى انتحالاً أيضاً: هو أن يأخذ السارق اللفظ و المعنى معاً، بلا تغيير و لا تبديل، أو بتبديل الألفاظ كلّها، أو بعضها بمرادفها، و هذا مذموم، كما فعل عبد الله بن الزبير بقول معن بن أوس (١): [الطويل]

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته

على طرف الهجران إن كان يعقل

و يركب حدّ السيف من أن تضيمه

إذا لم يكن عن شفره السيف مزحل

و أمّا تبديل الالفاظ بمرادفها، كما فعل بقول الحطيئه: [البسيط]

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

و اقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

فقال الآخر: [البسيط]

ذر المآثر لا تذهب لمطلبها

و اجلس فإنك أنت الآكل اللابس

و قريب منه: تبدل الألفاظ بضدّها، مع رعايه النظم و الترتيب، كما فعل بقول حسان: [الكامل]

بيض الوجوه كريمه أحسابهم

شمّ الأنوف من الطراز الأوّل

فقال غيره: [الكامل]

سود الوجوه لئيمه أحسابهم

فطس الأنوف من الطراز الآخر

ب-و المسخ: أو الإغاره: هو أن يأخذ بعض اللفظ، أو يغيّر بعض النّظم، فإن امتاز الثاني بحسن السبك فممدوح، نحو قول الآخر:
[البسيط]

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

و فاز بالطيبات الفاتك اللهج

ص: ٣٤٥

١-١). الزبير بفتح فكسر في هذا، و يوجد اسم آخر بضم ففتح، و معن بضم و فتح و معن بن زائده بفتح فسكون.

مع قول غيره: [البسيط]

من راقب الناس مات همًا

و فاز باللذّة الجسور

فإن الثاني أعذب و أخصر.

و إن امتاز الأول فقط فالثاني مذموم. و إن تساويا فالثاني لا يذمّ، و لا يمدح، و الفضل للسابق.

ج-و السّلخ: و يسمّى إماما: و هو أن يأخذ السّارق المعنى وحده، فإن امتاز الثاني فهو أبلغ، نحو قول الشاعر: [الطويل]

هو الصنع أن يعمل فخير و إن يرث

فللرّيث فى بعض المواضع أنفع

مع قول غيره: [الخفيف]

و من الخير بطء سبيك عنى

أسرع السّحب فى المسير الجهام

و إن امتاز الأول: فالثاني مذموم، و إن تماثلا فهو أبعد عن الذم، كقوله: [الوافر]

و لم يك أكثر الفتیان مالا

و لكن كان أرحبهم ذراعا

مع قول الآخر: [المتقارب]

و ليس بأوسمهم فى الغنى

و لكن معروفه أوسع

و يتّصل بالسرقات الشعريه؛ ثمانية أمور: الاقتباس، و التضمين، و العقد، و الحّلّ و التلميح، و الابتداء، و التخلّص، و الانتهاء.

١-الاقتباس: هو أن يضمّن المتكلم منشوره، أو منظومه، شيئا من القرآن، أو الحديث، على وجه لا يشعر بأنه منهما،؛ فمثاله من النشر. فلم يكن إلّا كلمح البصر، أو هو أقرب، حتى أنشد فأغرب. و نحو قول الحريري: أنا أتبتّكم بتأويله. و أميز صحيح القول من عليه. و كقول عبد المؤمن الأصفهاني: لا تغرّنك من الظلمه كثيره الجيوش و الأنصار،

إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ [إبراهيم: ٤٢] ومثاله من الشعر قوله (١): [المتقارب]

و ثغر تنضد من لؤلؤ

بألباب أهل الهوى يلعب

إذا ما ادلهمت خطوب الهوى

يكاد سنا برقه يذهب

و كقول الشاعر الآخر: [السريع]

إن كنت أزمعت على هجرنا

من غير ما جزم فصبر جميل

و إن تبدلت بنا غيرنا

فحسبنا الله و نعم الوكيل

و كقول القائل الآخر: [الخفيف]

لا تكن ظالما و لا ترض بالظلم

و أنكرك بكل ما يستطيع

يوم يأتي الحساب ما لظلوم

من حميم و لا شفيع يطاع

و كقول بعضهم: [الكامل]

إن كانت العشاق من أشواقهم

جعلوا التّسيم إلى الحبيب رسولا

فأنا الذي أتلو لهم يا ليتنى

كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

و كقول الشاعر: [الكامل]

رحلوا فلست مسائلا عن دارهم

«أنا باخع نفسي على آثارهم»

و كقول الآخر: [الوافر]

و لاح بحكمتي نور الهدى

فى ليال للظلاله مدلهمه

يريد الجاهلون ليطفئوه

و يابى الله إلا أن يتمه

ص: ٣٤٧

١-١). و لا بأس بتغيير يسير فى اللفظ المقتبس للوزن أو غيره، نحو: [البسيط] قد كان ما خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا و فى القرآن إنا لله و إنا إليه راجعون و يكون الاقتباس مذموما فى الهزل كقوله: [السريع] أوحى إلى عشاقه طرفه هيهات هيهات لما توعدون و ردف ينطق من خلفه لمثل هذا فليعمل العاملون

و مثاله من الحديث فى النثر قول الحريرى: شاهت الوجوه، و قبح اللكع و من يرجوه، و كقول الحريرى أيضا: و كتمان الفقر زهاده، و انتظار الفرج بالصبر عباده.

و مثاله من الحديث فى الشعر قول الشاعر: [مجزوء الرمل]

قال لى: إن رقيبى

سبىء الخلق فداره

قلت: دعنى وجهك «ال

جنه حفّت بالمكاره»

و كقول الشاعر: [الطويل]

فلو كانت الأخلاق تحوى وراثه

و لو كانت الآراء لا تتشعب

لأصبح كل الناس قد ضمّم هوى

كما أن كل الناس قد ضمّم أب

و لكنها الأقدار «كلّ ميسر

لما هو مخلوق له» و مقرب

و كقول القائل: [الرمل]

لا تعاد الناس فى أوطانهم

قلما يرعى غريب الوطن

و إذا ما شئت عيشا بينهم

خالق الناس بخلق حسن (1)

١-١) . و ينقسم الاقتباس: إلى ضربين. الأول: ضرب منه لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر، كما تقدم. الثاني: ما ينقل إلى معنى آخر، كقول ابن الرومي: [الزهج] لئن أخطأت في مديح ك ما أخطأت في منعى قد أنزلت حاجاتي بواد غير ذى زرع فقد كنى بلفظ «واد» عن رجل لا- يرجى نفعه، و لا- خير فيه، و هو فى الآيه الكريمة: بمعنى «واد» لا ماء و لا نبات. وقد أجازوا تغيير اللفظ المقتبس بزياده فيه أو نقص أو تقديم أو تأخير، كما سبق. و اعلم أن الاقتباس ثلاثه أقسام. ١- مقبول: و هو ما كان فى الخطب و المواعظ. ٢- و مباح: و هو ما يكون فى الغزل و الرسائل و القصص. ٣- و مردود: و هو ما كان فى الهزل، كما تقدم ذكره.

٢- والتّضمين: هو أن يضمّن الشاعر كلامه شيئاً من مشهور شعر الغير مع التّنبية عليه (١) إن لم يكن مشهوراً لدى نقاد الشعر، و ذوى اللسن، و بذلك يزداد شعره حسناً، كقول الصّاحب بن عبّاد: [البسيط]

أشكو إليك زمانا ظل يعركني

عرك الأديم، و من يعدو على الزمن

و صاحباً كنت مغبوطاً بصحبته

دهراً فغادرني فرداً بلا سكن

و باع صفو و داد كنت أقصره

عليه مجتهداً في السر و العلن

كأنه كان مطويّاً على إحن

و لم يكن في قديم الدهر أنشدني

«إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا

من كان يألفهم في المنزل الخشن»

ص: ٣٤٩

١- ١). أما تضمينه بلا تنبيه عليه لشهرته: فكقوله: [البسيط] أولى البريه طراً أن تواسيه عند السرور الذي و اساك في الحزن «إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كما يألفهم في المنزل الخشن) و كقوله: [الكامل] قد قلت لما اطلعت و جناته حول الشقيق الغض روضه آس أعذاره السارى العجول ترمقا ما في ووقفك ساعه من باس فالمصراع الأخير، مطلع قصيده مشهوره لأبى تمام: [الكامل] ما في ووقفك ساعه من باس تقضى حقوق الأربع الأدراس و أحسن التضمين: أن يزيد المضمن في كلامه نكته لا توجد في الأصل كالتوريه و التشبيه، كما في قول ابن أبى الأصبع: مضمناً [الطويل] إذا الوهم أبدى لى لما ها و ثغرها «تذكرت ما بين العذيب و بارق» و يذكرنى من قدها و مدامعى «مجرى عوالينا و مجرى السوابق» فالمصراعان الأخيران مطلع قصيده لأبى الطيب المتنبي: تذكرت ما بين العذيب و بارق مجرى عوالينا و مجرى السوابق يريد المتنبي: أنهم كانوا نزولاً- بين هذين الموضوعين، يجرون الرماح عند مطارده الفرسان، و يسابقون على الخيل، أما الشاعر الآخر: فأراد بالغذيب تصغير العذب و عنى به شفه الحبيبه، و أراد ببارق ثغرها الشبيه بالبرق، و بما بينهما ريقاً، و هذه توريه بديعه نادره فى بابها، و شبه تبختر قدها بتمايل الرماح، و تتابع دموعه بجريان الخيل السوابق.

و كقوله: [التقارب]

إذا ضاق صدرى و خفت العدا

تمثلت بيتا؛ بحالى يلىق

فبالله أبلغ ما أرتجى

و بالله أذفع ما لا أطيق

و كقول الحريرى: يحكى ما قاله الغلام الذى عرضه أبو زيد للبيع: [الوافر]

على أنى سأئشد عند بيعى:

أضاعونى و أى فتى أضاعوا (١)

فالمصراع الأخير للعرجى و هو محبوس و أصله: [الوافر]

أضاعونى و أى أضاعوا

ليوم كريبه و سداد نغر

و صبر عند معترك المنايا

و قد شرعت أستنها بنحرى

٣-و العقد: هو نظم النثر مطلقا لا على وجه الاقتباس، و من شروطه أن يؤخذ المنشور بجمله لفظه، أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه و ينقص، ليدخل فى وزن الشعر.

فعقد القرآن الكريم، كقوله: [الوافر]

أنلنى بالذى استقرضت خطا

و أشهد مشعرا قد شاهدوه

فإن الله خلّاق البرايا

عنت لجلال هيبة الوجوه

يقول: «إذا تداينتم بدين

إلى أجل مسمى فاكتبوه»

و كقوله: [البسيط]

و استعمل الحلم و احفظ قول بارثنا

سبحانه خلق الإنسان من عجل

ص: ٣٥٠

١-١). و لا بأس من التغيير اليسير. كقوله: [الوافر] أقول لمعشر غلطوا و غضوا من الشيخ الرشيد و أنكروه هو ابن جلا و طلاع
الثنايا متى يضع العمامه تعرفوه و كقوله: [السريع] طول حياه ما لها طائل تغص عندى كل ما يشتهى اصبحت مثل الطفل فى
ضعفه تشابه المبدأ و المنتهى فلم تلم سمعى إذا خاننى إن الثمانين و بلغتها

و عقد الحديث الشريف كقوله: [البيسط]

إن القلوب لأجناد مجنده

بالأذن من ربها تهوى و تأتلف

فما تعارف منها فهو مؤتلف

و ما تناكر منها فهو مختلف

٤-و الحل: هو نثر النظم و إنما يقبل إذا كان جيد السبك، حسن الموقع كقوله: [الطويل]

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

و صدق ما يعتاده من توهم

٥-و التلميح: هو الإشارة إلى قصه معلومه، أو شعر مشهور أو مثل سائر، من غير ذكره، فالأول: و هو الإشارة إلى قصه معلومه

نحو: [الجتث]

يا بدر أهلك جاروا

و علموك التجرى

و قبحو لك و صلى

و حسنو لك هجرى

فليفعلو ما أرادو

فإنهم أهل بدر

و كقوله تعالى: هَيْلٌ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا - كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ [يوسف: ٦٤] أشار يعقوب في كلام هنا لأولاده، بالنسبه إلى

حيانتهم السابقة في أمر أخيهم يوسف، و نحو قول الشاعر: [الطويل]

فو الله ما أدري أحكام نائم

ألمت بنا أم كان في الركب يوشع (١)

و الثانى: و هو الإشارة إلى شعر مشهور، نحو قول الشاعر: [الطويل]

لعمرو مع الرمضاء و النار تلتظى

أرق و أحفى منك فى ساعه الكرب

إشاره إلى قول الآخر: [البسيط]

المستجير بعمر و عند كربته

كالمستجير من الرمضاء بالنار

و الثالث: و هو الإشاره إلى مثل سائر من غير ذكره، نحو قول الشاعر: [البسيط]

من غاب عنكم نسيتموه

و قلبه عندكم رهينه

أظنكم فى الوفاء ممن

صحبتة صحبه السفينه

ص: ٣٥١

١ - ١). إشاره إلى استيقاف (يوشع) للشمس. يروى أنه عليه السلام: قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغرب قبل أن يفرغ من قتالهم، و يدخل يوم السبت، فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا الله فأبقى له الشمس، حتى فرغ من قتالهم.

٦-و حسن الابتداء: أو براعه المطلع: هو أن يجعل أول الكلام رقيقا سهلا، واضح المعانى، مستقلا عما بعده؛ مناسبا للمقام؛ بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكليته؛ لأنه أول ما يقرع السمع؛ و به يعرف مما عنده.

قال ابن رشيق: إن حسن الافتتاح داعيه الانشراح؛ و مطيه النجاح، و ذلك مثل قول الشاعر: [البسيط]

المجد عوفى إذ عوفيت و الكرم

و زال عنك إلى أعدائك السقم

و تزداد براعه المطلع حسنا، إذا دلت على المقصود بإشاره لطيفه.

و تسمى براعه استهلال (1) و هى أن يأتى الناظم، أو الناثر: فى ابتداء كلامه بما يدل على مقصوده منه، بالإشاره لا بالتصريح.

قول أبى محمد الخازن مهنئا لصاحب بن عبا بمولود: [البسيط]

بشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا

و كوكب المجد فى أفق العلا صعدا

و قول غيره، فى التهتهه ببناء قصر: [الكامل]

قصر عليه تحيه و سلام

خلعت على جمالها الأيام

و قول المرحوم احمد شوقى بك فى الرثاء [الكامل]

أجل و إن طال الزمان موافى

أخلى يدىك من الخليل الوافى

و قول آخر فى الاعتذر: [الوافر]

لنار الهم فى قلبى لهيب

فعفوا أيها الملك المهيب

و قد جاء فى الأخبار أن الشعر قفل، و أوله مفتاحه.

١-١). و براعه الطلب، هى أن يشر الطالب إلى ما فيه نفسه، دون أن يصرح بالطلب، نحو وَ نَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّنِى مِنْ أَهْلِى إِشَارَه إِلَى طَلَب النجاء لابنه. و كقولہ: [الطويل] و فى النفس حاجات و فيك فطانه سكوتى بيان عندها و خطاب

٧-و التخلص: هو الخروج و الانتقال مما ابتدء به الكلام إلى الغرض المقصود، برابطه تجمل المعانى آخذاً بعضها بقراب بعض، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب، إلى مدح، أو غيره، لشده الالتئام و الانسجام. و منه قول الشاعر: [الكامل]

و إذا جلست إلى المداد و شربها

فاجعل حديثك كله فى الكأس

و إذا نزع عن الغوايه فليكن

(لله) ذاك النزع لا للناس

و إذا أردت مديح قوم لم تلم

فى مدحهم فامدح بنى العباس

و قوله: [الكامل]

دعت النوى بفراقهم فتشتتوا

و قضى الزمان بينهم فتبددوا

و قد ينتقل مما افتتح به الكلام إلى الغرض المقصود مباشرة، بدون رابطه بينهما، و يسمى ذلك اقتضاباً كقول أبى تمام: [الخفيف]

لو رأى الله أن فى الشيب خيراً

جاورته الأبرار فى الخلد شيباً

كل يوم تبدى صروف الليالى

خلقا من أبى سعيد غريباً

٨-و حسن الانتهاء: و يقال له حسن الختام هو أن يجعل المتكلم آخر كلامه، عذب اللفظ، حسن السبك؛ صحيح المعنى. مشعراً بالتمام حتى تتحقق براعه المقطع بحسن الختام. إذ هو آخر ما يبقى منه فى الأسماع و ربما حفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به.

يعنى: أن يكون آخر الكلام مستعدباً حسناً، لتبقى لذته فى الأسماع مؤذناً بالانتهاء بحيث لا يبقى تشوقاً ألى ما وراءه كقول أبى نواس: [الطويل]

و إني جدير إذ بلغتك بالمني

و أنت بما أملت فيك جدير

فإن تولني منك الجميل فأهله

و إلا فإني عاذر و شكور

و قول غيره: [الطويل]

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله

و هذا دعاء للبريه شامل

ص: ٣٥٣

و قال ابن حججه: [الطويل]

عليك سلام نشره كلما بدى

به يتغالى الطيب و المسك يختم

و قال غيره: [البسيط]

ما أسأل الله إلا أن يدوم لنا

لا أن تزيد معاليه فقد كلمت

و الحمد لله الذى وفق عبده المفتاق الى رحمته تعالى السيد حميد الجزايرى لتصحيح هذا الكتاب القيم. و قد تمّ فى شهر رجب المرجب عام ١٤٢٣ (ه. ق). و نسأل الله تعالى أن يمنّ علينا بصيانته الحوزات العلميه فى جميع انحاء العالم. و نسأله التعجيل فى ظهور الامام الحجّه صلوات الله و سلامه عليه و على آبائه الطيبين الطاهرين المعصومين.

ص: ٣٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩